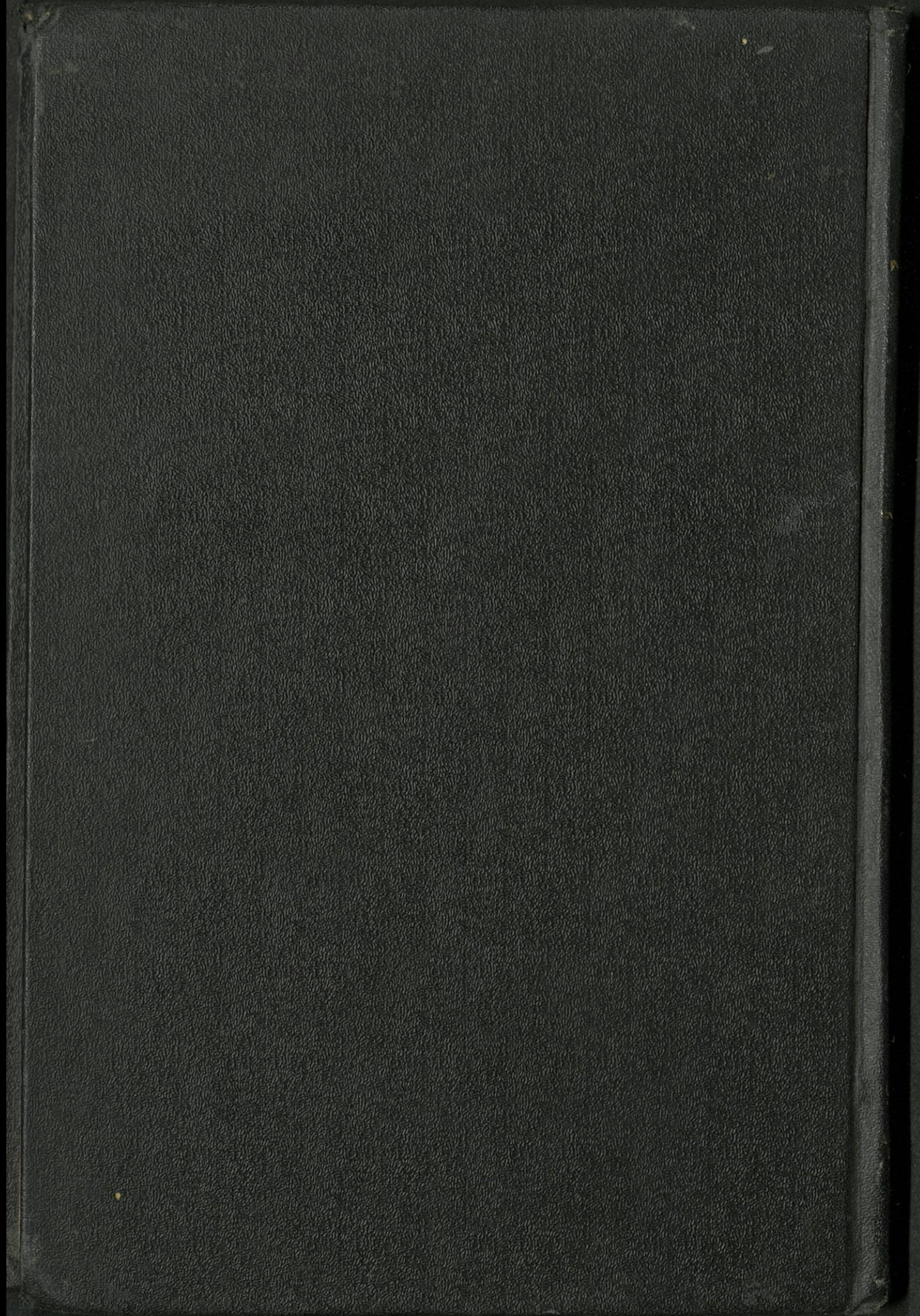
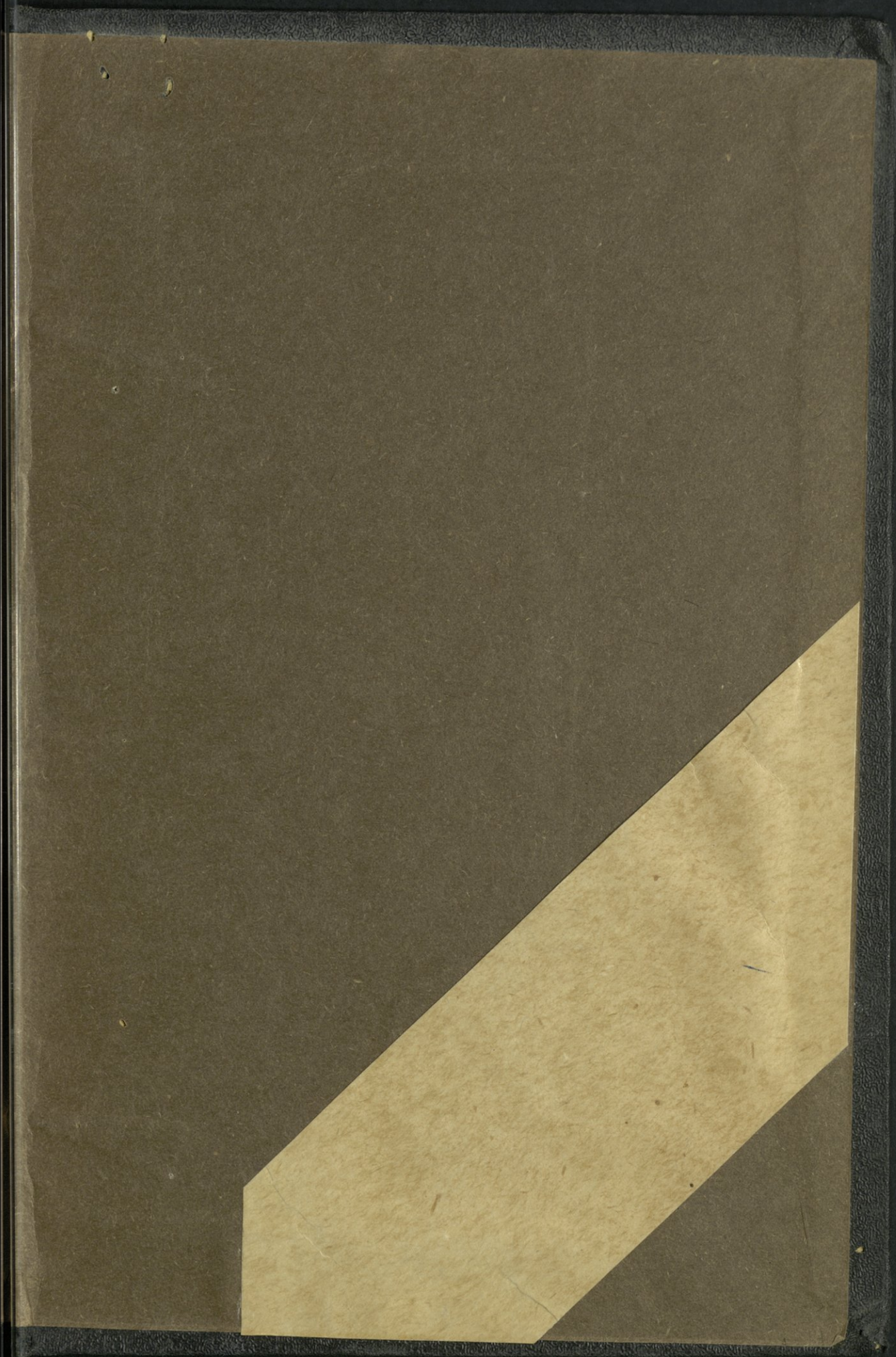


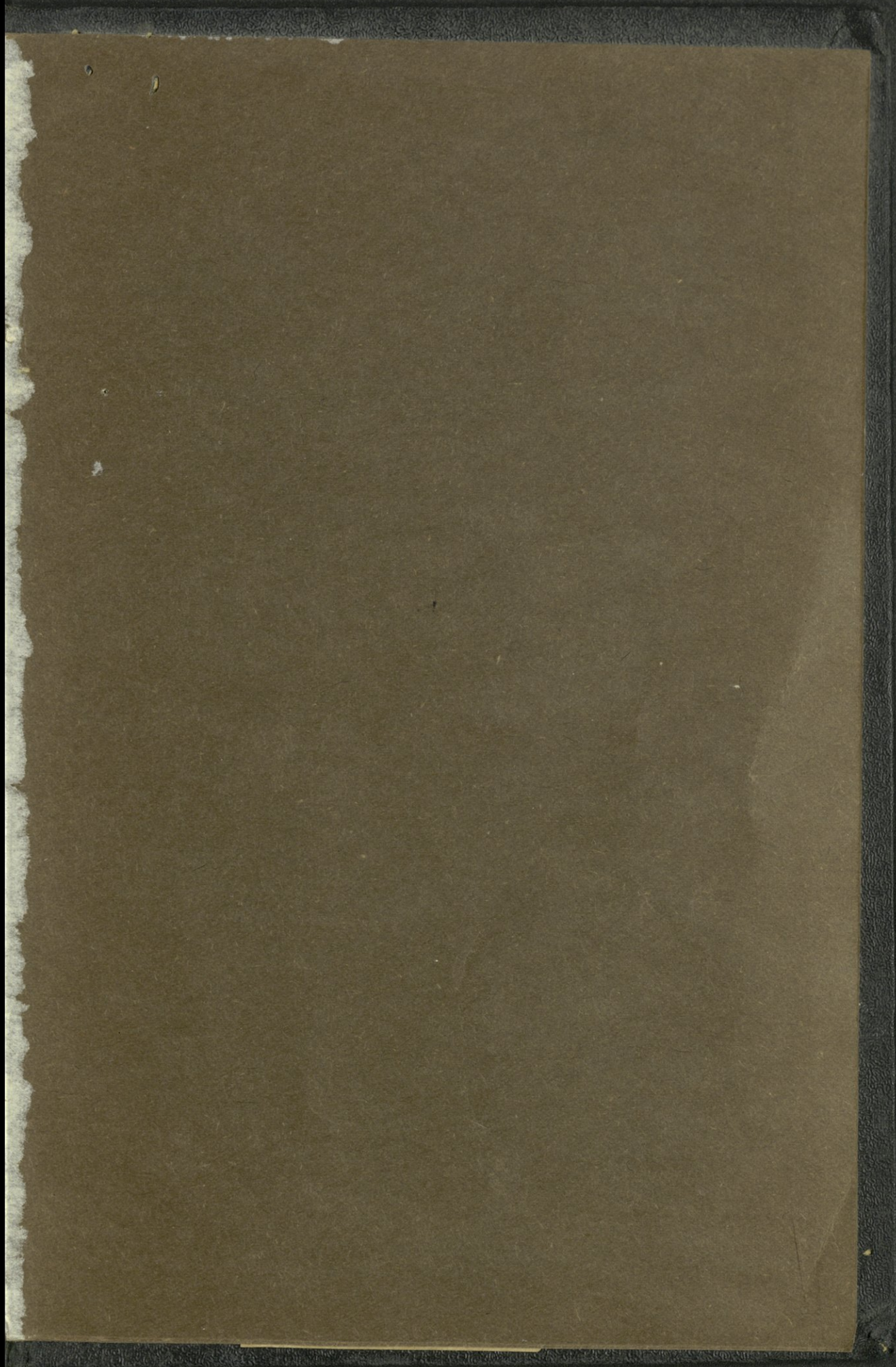




DATE DUE

JAFET LIB

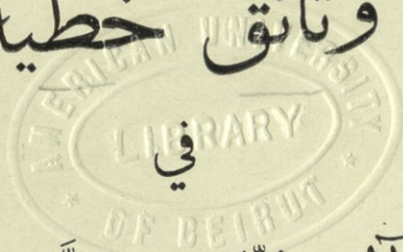
3 JUN 1983



281.5
A72wA
C.1

٩٠

وثائق خطية



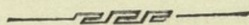
في

علائق آل طرازي بالملّة السريانيّة

بقلم

الخورفسقفوس اسحق ارملة

السرياني



48127

المطبعة الكاثوليكية

بيروت

١٩٣٤

Trist. Viscount Ph. de Talhary



مكتبة جامعة ديترويت

مكتبة جامعة ديترويت

مكتبة جامعة ديترويت

مكتبة جامعة ديترويت

مكتبة جامعة ديترويت

مكتبة جامعة ديترويت

مقدمة

نشر حضرة الشيخ الورع الخورفسقفوس ميخائيل اليان سر كيس مقالة ذات احدى وخمسين صفحة عنوانها «الذكرى الذهبية لاول قداس في كنيسة بيروت السريانية» . فتصفحناها ملياً وأثنتنا على مؤلفها الفاضل الذي خدم هذه الكنيسة خمسين عاماً خدمةً نصحاً تُضرب بها الامثال . وخلف فيها من الآثار الصالحة ما يدعو كل فردٍ من أفراد ملتنا السريانية الى الشناء عليه الشناء الجميل والاقرار له بالفضل الكبير.

وقد تضاعف اعتبارنا لهذا الاب الوقور اذ رأيناهُ يعترف صريحاً في توطئة كراسه بقوله: « انه فاتني شيء وشيء كثير مما لم انتبه اليه او مما لم أقف عليه راجياً العفو عما اقصر فيه في هذا الصدد سهواً او جهلاً مني» . فحبذا القول قوله ! ونعمت النية نيته ! وناهيك انه من أجلاء الكهنة الذين شرفوا هذا المقام المقدس قولاً وعملاً وكتابةً . ذلك ما يدعونا الى ان نوقره من أعماق قلبنا ونكرم في شخصه الفضل والفضيلة .

بناءً عليه رأينا اكمالاً لا اهملة سهواً او خفي عنه عنواً ان ندون في هذا الكتاب مجمل الاخبار التاريخية الراهنة التي لم يتوفق حضرته الى الوقوف عليها . وما هدفنا من ذلك الا هدفه الذي يرمي الى كشف الحقائق المنوطة بكنيسة مار جرجس خصوصاً وأبرشية بيروت عموماً . وعملاً

بسنة التوسع لا نرى مندوحة عن اثبات بعض الاجاث التي لم ينشرها كاتب ولم يروها قبل الآن مؤرخ . وهي تتعلق بموضوعنا تعلقاً وثيقاً . وسيطالع القراء فيه حوادث خطيرة بقيت مطوية في بطون الاوراق الى ما شاء الله لو لم نخط عنها اللثام . وسيكون نشر تلك الوقائع المطوية معززاً بلا ريب لتاريخ الملة التي نتشرف بالانتماء اليها .

ولما كانت أسرة طرازي الجليلة محور ابرشية بيروت السريانية كما يعترف به الخاص والعام فقد ألفيناها لذلك مرتبطة ارتباطاً محكمًا متيناً باخبار ملتنا النبلاء في كل أين . وأن . فضلاً عن انها تفردت بالحرص على آثار نسبها وعلى اهم الوثائق التي ورثتها عن اجدادها . واحتفظت بتلك الذخائر جيلاً بعد جيل على سبيل التيمّن والافتخار . ولعمري ان هذا الحرص لسجية تسجل لآل طرازي صفحة ذهبية في بطون التاريخ . وتبرهن عن شديد تشابهم بآثار السلف خلافاً لاكثر ابناء الشرق الذين يقرعون الغربيون لاهمالهم أخبار اجدادهم وعدم اكترائهم لها .

وتحقيقاً لما تحريناه من وضع كتابنا هذا رأينا ان نلجأ الى ما نعرفه محفوظاً في خزائن آل طرازي من الآثار القديمة والصكوك المهمة . وهي على كثرتها جديرة بان يُطلق عليها هذا المثل المشهور « كل الصيد في جوف الفرا » لا وعته من المسائل التي يعزّ الفوز بها في سوى تلك الخزائن الشمينية . فبين الوثائق التي استندنا الى محتوياتها المفيدة مجموعة خطية وحيدة في بابها تتألف من احد عشر مجلداً ضخماً موسومة بعنوان « العقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين » . شاهدناها بأم العين مصونة كائن ذخيرة في دار الفيكنت فيليب دي طرازي العامرة . وهي تشتمل على ألوف من الرسائل التي وجهها البطارقة والمطارنة وسائر آل الكهنوت الى أسرة طرازي من كل صوب في القرنين الاخيرين . والقسم الاوفر منها مخطوط بيدهم عربوناً لشديد اعتبارهم لتلك العترة المباركة .

ولا ريب فان لهذه المجموعة قيمتها التاريخية لانها تتضمن ايضاً اخباراً

ووقائع شتى منوطة ببلادنا الشرقية عموماً وبالملة السريانية خصوصاً . وما عدا ذلك كله فإنها تنطوي على حوادث نادرة واسرار وافرة هيهات ان يجد الباحثون لمثلها اثرًا في جميع سجلات البطريكية السريانية ومطرائياتها . يتضح من ذلك كله ان اسرة طرازي كانت المرجع الامين لأية السريان نظراً لثقتهم بها وثقتها بهم . فانهم كانوا يكشفونها بأرائهم ويعتمدون على اخلاصها وصدقها في الشئون الخطيرة .

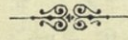
اننا لدى مطالعتنا تلك المجلّدات الضخمة تولّانا العجب من عبقرية الفيكنت فيليب الذي غني بضمّ شتاتها وضبط مفرداتها بكل دقة طبقاً لمراتب الاحبار مرسلها ووفقاً لتسلسل تواريخها . ولا يسعنا في هذا المقام الا ان نعلن آيات معرفة الجميل لآل طرازي لا بذلوه من الجهود حرصاً على هذه العتائق الثمينة . ثم نحض عواطف الشكر لعميدها الفيكنت المشار اليه لانه أذن لنا ان ننتقي منها ما رأيناه ذا علاقة بموضوعنا ومفيداً للقراء الكرام .

والذي الفراغ من وضع هذا الكتاب أسميناه « وثائق خطية في علائق آل طرازي بالملة السريانية » . فجاء وافياً بالمرام حاوياً لكثير من جلائل الحوادث في وجيز الكلام . نسأل الله سبحانه ان يفيد مطالعيه ويسدد خطواتنا لنشر كل ما يعود الى تعزيز الحق واعلاء منار الفضيلة والفضل . انه السميع المجيب .



القسم الاول

آل طرّازي وابريّة بيروت السريانية



الفصل الاول

نظر انتقادي

في

أغلاط « الذكري الذهبية »

قبل الخوض في ما عزمنا على سرده في كتابنا هذا رأينا خدمة للحقيقة التاريخية ان نشير في هذا الفصل الى بعض اغلاط طرأت في « الذكري الذهبية ». ونعتقد ان تلك الاغلاط لن تقل من قدر المقالة ولا سيما لان منشئها يقرّ كما يقرّ كل خبير عاقل بأن الكمال لله المتعال دون من سواه . فنقول :

١ : اول ما لفت نظرنا في « الذكري » المشار اليها ان حضرة مؤلفها الجليل قال في الصفحة ٤ ما نصّه : « ان وضع الحجر الاول في كنيسة مار جرجس جرى في عهد بيوس التاسع وفي خلافة السلطان عبد العزيز في ٢٥ اذار ١٨٧٨ » . والحال ان البابا المومأ اليه استأثرت به رحمة الله في ٧ شباط ١٨٧٨ كما ان السلطان عبد العزيز توفي في ٤ حزيران ١٨٧٦ . فيكون اذاً الاحتفال بوضع الحجر الاول قد جرى في عهد البابا لاون الثالث عشر وخلافة السلطان عبد الحميد الثاني .

٢ : قال في الصفحة ٨ : « ان البطريك اغناطيوس جرجس شلحت
دشن الكنيسة في ٢٧ كانون الاول ١٨٨٤ » . وحقيقة الامر أن التدشين
بالميرون المقدس جرى في ٢٧ كانون الاول ١٨٨٥ كما هو مدون صريحاً في
سجلات آل طرازي .

٣ : ذكر في الصفحة ١٢ : « أن اول من سُمّي نائباً بطريركياً في
بيروت [في عهد السيد اغناطيوس جبرائيل الاول الجزيل الطوبى] هو السيد
ثئوفيلس يوسف جرجي عام ١٩٢٩ » وأضرب عن ذكر السيد اثناسيوس
اغناطيوس نوري الذي خلفه رسمياً في النيابة منذ السنة ١٩٣٠ الى السنة
١٩٣١ . ومما يؤيد ذلك ان الملة البيروتية احتفلت اثنا نيابته هذه في ١٦
نيسان ١٩٣١ بيوبيله الكهنوتي الذهبي . ثم أُعيدت النيابة ثانية الى السيد
ثئوفيلس يوسف جرجي حتى هذا اليوم .

٤ : روى في الصفحة ١٢ : « أن الحوري يوحنا معمارباشي تولّى النيابة
البطريركية في بيروت من السنة ١٨٦٥ الى السنة ١٨٧٢ » . والصحيح ان
الحوري الموماً اليه لزم خدمة السيد اغناطيوس فيلبس الاول منذ السنة ١٨٦٨
وسافر معه الى رومية عام ١٨٦٩ لحضور المجمع الواتيكاني المقدس . وتزلا
معاً في سراي الامير تورلونيا في ساحة سكوتسا كافلي . وقد اطلعنا على
حقيقة ذلك في رسائل أنفذها الحوري يوحنا عينه عام ١٨٦٩ من رومية الى
الكننت نصر الله دي طرازي . على انه لما توقف المجمع المشار اليه عاد
الحوري يوحنا الى ماردين صحبة السيد البطريك . ثم شخص الى بيروت
وتولّى فيها النيابة البطريركية للمرة الثانية منذ السنة ١٨٧٧ .

٥ : ان المدة التي ذكرها المؤلف عن نيابة الحوري يوحنا معمارباشي في
الصفحة ١١ لا تستند الى امر راهن ولا تتفق مع الوثائق المحفوظة لدى آل
طرازي . فقد كانت سياسة رعية بيروت في السنة ١٨٦٨ منوطة بالقس لويس
صابونجي دون سواه . ثم عُين القس الياس شدياق معاوناً له في خدمة النفوس
بضعة أشهر . يؤيد ذلك منشور رسمي رأيناه بعيننا ما بين الرسائل المصونة

لدى آل طراي وهو مزين في اعلاه بصورة مار اغناطيوس النوراني شفيح الكرسي الانطاكي ومؤرخ في ٢٤ نيسان ١٨٦٩ . ثم انه لما سافر القس لويس للطواف حول الكرة الارضية عام ١٨٧١ نصب الخوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة وكيلاً في بيروت مع بقائه رئيساً على الدير المذكور .

٦ : لا صحة لما ذكره المؤلف في الصفحة ١٦ عن ان «الخوري يوسف مهارباشي افضت اليه النيابة البطريركية عام ١٨٧٥» لان الخوري المشار اليه كان رئيساً على دير الشرفة ولم يتولّ النيابة في بيروت رسمياً .

٧ : اثبت المؤلف في الصفحة ١٩ اسم عمه الخوري موسى سر كيس في سلسلة النواب البطريركيين . مع انه لم يكن إلا خادماً للرعية ومعلماً في الوقت ذاته في مدرسة الآباء اليسوعيين .

٨ : اغفل المؤلف ذكر القس حنا طباع في زمرة الكهنة الذين خدموا رعية بيروت . وغير خاف ان هذا الكاهن تولى تلك الخدمة منذ ٢٠ اذار ١٨٨٠ حتى ١٠ كانون الثاني ١٨٨١ وخلفه القس موسى سر كيس .

٩ : قال في الصفحة ٢٣ : « ان الكنت شول كابل البلجكي تبرع على كنيسة بيروت في ٢٨ شباط ١٨٩٢ بستة شمعدانات كبيرة جميلة » وأهمّل ذكر الشمعدانات الستة الكبيرة الثمينة التي أتى بها القس كنت سليم دي طرازي عام ١٨٩٧ من اوربا وأهداها الى الكنيسة . وهي تفوق الشمعدانات الاولى قيمةً وجمالاً وقياساً .

١٠ : صرح في الصفحة ٢٧ : « ان الخوري افرام حيقاري اتفق مع رئيس الجمعية الخيرية شقيقنا يوسف اليان سر كيس ومع معاونيه الفاضلين القس كنت فيليب دي طرازي والخوارجا نجيب موصلي وحصلوا لهم (يعني للمهاجرين) ما كفاهم لسد حاجتهم » . وفاته ان المرحوم يوسف شقيقه لم يتراأس الجمعية الخيرية الا بالاسم فقط ولم يتعاط شأناً من شؤونها . ولم يكن القس كنت دي طرازي والخوارجا نجيب موصلي معاونين له اصلاً بل

لم يجتمعوا معه لشؤون الجمعية مطلقاً . وكلُّ يعلم ان الخواجا موصلي لم يقبل يوماً من الايام — عن حكمة يُشكر عليها — وظيفة في الجمعية الخيرية على الاطلاق . ومما يؤيد حقيقة قولنا ان سجل الجمعية المذكورة — اللهم ان كان لها سجل او شبه سجل — لا يحتوي على توقيع واحد مُمضى باسم الرئيس الموما اليه .

١١ : روى في الصفحة ٢٧ عينها ما نصه : « فقد جدّ الخوري افرام (حيقاري) مع القيسكنت فيليب والخواجا نجيب المشار اليهما في جمع طائفة من المال عام ١٩٢٤ من ابناء الملة وغيرهم . واشتروا ارضاً ابتنوا فيها بيوتاً خشبية لايواء المهاجرين وأطلقوا عليها اسم «حارة مار يعقوب» . والحال ان هذه الرواية عارية عن الصحة بل مخالفة للحقيقة . فان الخوري افرام حيقاري الموقر لم يكن له علاقة بجمع الاموال لمشتري بقعة الارض المذكورة . وانما يعود الفضل كله في ذلك اولّ بدء الى القيسكنت فيليب ثم الى صديقه الخواجا نجيب دون غيرهما . على اننا ما برحنا نحن نذكر عدة رسائل استكتبنا اياها القيسكنت المشار اليه وأرسلها الى اعيان الابريشيات السريانية والى رؤساء جمعياتها الخيرية استنهاضاً لهم في هذا المشروع المبرور . كما اننا نذكر ايضاً رحلة القيسكنت الغيور الى الاسكندرية والقاهرة في هذا السبيل عينه . وقد جمع حضرته من مكارم المحسنين سواء أمن ابناء الملة ام من غيرهم المبلغ الكافي لمشتري بقعة الارض المذكورة . وتأييداً لهذه الحقيقة الراهنة نروي هنا ما نشرته «جمعية المساعي الخيرية السريانية» في برنامجها عن السنين ١٩٢٤ و ١٩٢٥ و ١٩٢٦ صفحة ٦ فما بعد ونصه :

« وكان صندوق الجمعية في ذاك الحين خالياً من المال . بل ان موارد اوقافها لم تكف تكفي بحاجة فقرائها الوطنيين دون سواهم . فدفعت الغيرة عضوين (لا ثلاثة) من اعضائها هما القيسكنت فيليب دي طرازي ونجيب افندي موصلي لعمل اكتاب يُرصد ريعه لمشتري بقعة ارض وتعمير مساكن فيها تقي فقراء المهاجرين من قىظ الصيف وبرد الشتاء . فتكللت مساعيها

بالنجاح واستطاع من فضل اهل الاحسان وذوي الحنان ان يقتنيا بقعة ارض
تبلغ مساحتها ثلاثة عشر الف ذراع مربع .

فاستناداً الى نص هذا البرنامج الذي وافق عليه رسمياً السيد اغناطيوس
افرام الثاني البطريرك الانطاكي يتضح جلياً ان هذين العضوين النشيطين قد
استقلّا وحدهما دون الحوري افرام حيقاري الموقر بجمع تبرعات المحسنين
واستطاعا ان يقتنيا بقعة الارض المذكورة .

١٢ : فات المؤلف ان يثبت اسم الكنت انطون دي طرازي (صفحة
٤٠) في زمرة المحسنين الى كنيسة بيروت مع انه سرد اسما . كثيرين ممن
لم يحسنوا اليها بجزء يسير مما احسن اليها هو . وقد اطلعنا في سجلات آل
طرازي على عدة وثائق تصرّح بماقي الكنت المشار اليه ومساعدته ولا سيما عند
انشاء اليانصيب عام ١٨٨٢ في سبيل كنيسة بيروت . فعرفنا بنوع خاص انه
أهدى الى هذه الكنيسة شمعدانين كبيرين بشكل ثرياً يرتكزان على
قاعدتين خشبيتين الى جانب المذبح الكبير في المواسم الحافلة .

١٣ : عثرنا ايضاً في الوثائق المصونة لدى آل طرازي على ان المرحوم
نعمة الله شقال أحسن بسخاء الى كنيسة بيروت وقت المباشرة ببنائها . وقد
تبرّع ايضاً خاله المرحوم جبرا شقال بمبلغ من المال كما هو مدوّن في لائحة
الاكتتاب الاول لبناء الكنيسة . أمّا كان يجدر اذا بمؤلف « الذكرى
الذهبية » ان يذكر اسميهما في جملة المتبرعين ؟

١٤ : أهمل المؤلف اثبات اسم المرحوم ابراهيم قزما في فئة المحسنين الى
كنيسة بيروت . وقد عرفنا معرفة تامة ان هذا الرجل يُعدّ من اقدم
المحسنين اليها لان اسمه ورد صريحاً في اول اكتتاب جرى عام ١٨٧٨ بحضور
السيد البطريرك مار اغناطيوس جرجس الخامس وفي الاكتتاب الثاني الذي
تلاه . وعلاوة على ذلك فان شيوخ الملة السريانية في بيروت يذكرون الى
هذا اليوم بالرحمة مريم زوجة ابراهيم قزما المعروفة بأم حبيب قزما . وهي التي
خدمت الكنيسة نيقاً وعشرين سنة خدمة مجّانية اذ كانت تجلس يومياً الى

باب الكنيسة من اول قداس حتى آخر قداس لجباية صدقات المؤمنين .
فاقتضى اذاً ان نثبت اسمها واسم قرينها بالدعاء والرحمة .

١٥ : لم ينوه مؤلف « الذكري » بفضل نعمة الله وفتح الله طرازي .
مع اننا قرأنا اسميهما في طليعة المحسنين الى كنيسة مار جرجس بعد اسم
شقيقهما البكر الكنت نصرالله وقبل اسماء سائر المتبرعين . واستدللنا
كذلك من الوثائق المصونة لدى آل طرازي على انهما رحمهما الله تعالى كانا
متولين قضاء مصالح الملة في مرسيليا . وكان البطارقة والاساقفة لدى
ذهابهم الى اوربة يحلون عليهما ضيوفاً كراماً كما كانوا يحلون على اسرتهما
في بيروت .

١٦ : عثرنا ما بين الوثائق المخزونة لدى عميد الاسرة الطرازية في
بيروت على اسم رجل سرياني من أسرة « حن » الحليّة توفاهُ الله تعالى دون
عقب . وقد خلف في وصيته الاخيرة مبلغاً من المال معتبراً بقي وديعة في
مصرف امين باطلاع السيد البطريرك ماراغناطيوس جرجس الخامس والكننت
نصر الله دي طرازي شيخ الملة السريانية . ثم استدان دير الشرفة هذا
المبلغ بفائدة معلومة في عهد رئاسة الخوري يوسف معارباشي . وقد ضم
بعد ذلك الى المبالغ المجموعة في سبيل بناء كنيسة بيروت . فكانت
معرفة الجميل اذاً تحتم ان يُدون اسم هذا المحسن البار في عداد المحسنين
لانه سبقهم جميعاً في مد يد الاسعاف لتشييد كنيسة بيروت .

١٧ : لم يصرح صاحب « الذكري » بالقدايس الخمسة التي سجّلها
السيد المطران ثيوفيلس انطون قندلفت للمرحوم افرام بطيخنة . ونحن
نعلم ان حضرة الخوري ميخائيل التقي ما برح الى هذا اليوم يقرب بذاته
تلك القدايس الخمسة لراحة نفس الواقف الكريم .

١٨ : قال المؤلف في الصفحة ٢٦ : « ان قيمة الدار الموقوفة من مريم
موصلي بلغت الف ليرة ذهبية » ولم يذكر ما أنفق على المعاملات القانونية
وقدره خمسون ليرة ذهبية .

١٩ : ذكر المؤلف في الصفحة ٢٦ ايضاً : أن المونسنيور افرام حيقاري « صرف المساعي في انشاء يا نصيب خيري عام ١٩٢٨ أنفق ريعه البالغ مائة وخمسين ليرة ذهبية في ترميم موفه كنيسة بيروت وتعميد فنائها » .
وغمض عن ذكر اليانصيب الاول الكبير الذي نهض به آل طرّازي يوم بناء الكنيسة . وقد بلغت اوراقه خمسة آلاف ورقة قيمة كل منها خمسة فرنكات ذهبية أنفقت على بناء الكنيسة لا على فنائها . فوجب اذا ان ثبت ههنا ذكر هذا اليانصيب تخليداً للناهضين به واستدرازا لغيوث المراحم العلوية على أجدانهم .

٢٠ : روى في الصفحة ٤٠ قوله : « اشتروا في محلة راس النبع ارضاً خصصوها بالمقبرة وتبرّع بشمها آل طرّازي وشقال وموصلي » . فذكر ارض المقبرة واهمل ذكر ارض الوقف الملاصقة لها وهي المعروفة اليوم رسمياً باسم « حارة مار افرام » . وهما منفصلتان الواحدة عن الاخرى ولا علاقة للواحدة بالثانية . وغني عن التصريح بأن ارض الوقف هذه لعبت دوراً مهماً في تاريخ ابرشية بيروت السريانية لانها كانت من اكبر الدواعي الى تعزيز الملة ونموها . وسنذكر ذلك مفصلاً في فصل « آل طرّازي وجمعية المساعي الخيرية السريانية ووقفها في بيروت » حيث تتضح الحقيقة جلياً كالشمس في رابعة النهار . وقد كنّا نودّ لو ان المؤلف الورع اشار الى هذا الوقف وكتب عنه كما كتب في الصفحة ٢٧ عن ارض الوقف المعروفة باسم « حارة مار يعقوب » وان كانت كتابته عن هذه الارض ايضاً لا تخلو من الغلط .

٢١ : ادرج المؤلف الورع في الفصل التاسع (صفحة ٣٩ - ٤٣) اسماء العشرات ممن تبرّعوا على كنيسة بيروت بحجة ان اسماهم منقوشة على نذورهم . وبين اولئك المحسنين من لم يتجاوز احسانه الدينار او الدينارين او ثلاثة دنانير . وغمض عن ذكر اسماء المتبرعين على بناء الكنيسة او الذين اتحفوها بهدايا ثمينة دون ان يخطر ببالهم ان ينقشوا اسماهم على تقادهم تواضعاً . فتخليداً لحسناتهم رأينا من الواجب ان نثبت ههنا اسماء

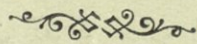
من توقفنا الى الوقوف على تقادهم في وثائق آل طرازي وهم : ١ : السيد اغناطيوس جرجس الخامس فقد اتحف الكنيسة بصورة مار جرجس الكبيرة .
 ٢ : الكنت انطون دي طرازي الذي زينها بالشمعدانين الكبيرين اللذين ذكرناهما في هذا الفصل تحت الرقم ٩ وأهدى اليها ايضاً قنديلين فضين وغير ذلك . ٣ : الفيكنت سليم دي طرازي الذي أتحفها ما عدا صور درب الصليب الجميلة بستة شمعدانات ثمانية وست مزهريات . ٤ : الكونتس مئة دي طرازي التي قدمت للكنيسة مبخرة من الفضة والشمعدانين المرتكزين في عمودي الكنيسة الوسطانيين . ٥ : نعوم بشنجي الذي زين الكنيسة بتمثال قلب يسوع الاقدس . ٦ : جرجس رباط^(١) الذي وقف للكنيسة ساعة كبيرة ما برحت الى هذا اليوم محفوظة في الموفه .
 ٧ : الحور فسقفوس يوسف اسطنبولي الذي أهدى الى الكنيسة كرسي العرش البطريركي ووقف لها ايضاً جانباً من املاكه في بيروت . ٨ : جبرا بن يوسف رباط الذي قدم للكنيسة اول ثرياً علقت في سقفها . ٩ : ذهني افندي النجا الذي أهدى اليها ستة شمعدانات ونجله فريد الذي ادخل اليها عام ١٩٢٢ الاضواء الكهربائية . ١٠ : ام رزق الله شغال التي أهدت الى الكنيسة ثلاث صور منصوبة فوق الابواب الثلاثة غربي الكنيسة .
 ١١ : الفيكنت فيليب دي طرازي الذي أهدى الى الكنيسة ثريات صغيرة علاوة على الثريا الكبيرة الثمينة الخ الخ .

٢٢ : نشر المؤلف الجليل رسوماً وتراجم للنواب البطريركيين في بيروت وأضرب عن نشر رسوم ذوي العبقرية والفضل من العالمين . وغير خاف ان معرفة الجميل كانت تفرض عليه ان يثبت رسوم مثل هؤلاء كي ينهج غيرهم منهاجهم في التنافس والغيرة على بيت الله تعالى اذ خافاً للشواهد في الملكوت الساوي .

(١) هو والد العالم البجائثه الاب انطون رباط (سرياني اليسوعي شقيق الكومندور سليم رباط كبير اعيان الملة السريانية في الاسكندرية

٢٣ : أخيراً سها مؤلف «الذكرى الذهبية» عن التنويه باسم الخوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة الذي وقف داراً كانت واقعةً جنوبي التياترو الكبير في يومنا . وخصص نصف تلك الدار بفقراء السريان في بيروت والنصف الآخر بدير الشرفة . على ان المطران ثيوفيلس انطون قندلفت باع تلك الدار عام ١٨٩٢ وأنفق قيمة الحصة العائدة الى ابرشيّة بيروت في تكميل بناء الطبقة السفلى من قلالية كنيسة مار جرجس .

اننا نقف عند هذا الحد في كشف النقاب عمّا ورد من الاغلاط في «الذكرى الذهبية» وعمّا كان يجب ان يثبت فيها من الحقائق المقررة . ولولا ايثارنا الاليجاز وخوفنا ملل القراء لسردنا اغلاطاً غير التي بسطناها في هذا الفصل . فترجو من حضرة الاب الجليل الخورفسقفوس ميخائيل اليان سر كيس الموقر ان يثق بصدق ولائنا وينظر الى انتقادنا بعين الحلم والانصاف ويعتقد اننا أثبتنا ونشني على فكرته في كتابة ما كتبه وان كان كما قال حضرته : « قد فاته الشيء الكثير منه » .



الفصل الثاني

آل طرازي وتكوين الملة السريانية في بيروت

يعلم كل خبير بتاريخ الملة السريانية أن أول سرياني يتم مدينة بيروت واستوطنها في مطلع القرن التاسع عشر كان من آل طرازي. وكان اسمه المقدسي انطون (١٧٨٩—١٨٥٥) ابن المقدسي نصر الله (١٧٥١—١٨٠٨) بن الياس (١٧١٥—١٧٩٢) بن بطرس (١٦٨٧—١٧٩٦) بن يعقوب (١٦٤٥—١٧١٣) بن بطرس (١٥٩٧—١٦٧٨) جد الأسرة الطرازية الاعلى. زایل المقدسي انطون طرازي مدينة حلب وطن أجداده عام ١٨٠٨ وشخص الى بيروت حيث اشترى قيصرية^(١) في سوق البازر كان وفتح فيها محلاً تجارياً. وما مرَّ عليه القليل من الزمان حتى رمقته عين العناية الالهية بالآلها وشملته بمزيد توفيقاتها. فراجت اسواق تجارته وتضاعف راس ماله بحيث تيسر له ان يؤسس فروعاً لاشغاله في بعض انحاء سوريا واوربا. ثم اقتنى بقعة ارض في محلة «خندق العميق»^(٢) شيد فيها داراً فسيحة قضى فيها ايامه باليمن والسلام.

(١) كان يُطلق اسم «قيصرية» في بيروت على ابنية ضمن اسواقها العتيقة حافلة بأهل الحرف والصناعات. فمنها ما كان يُعرف باسم بانيتها كقيصرية الامير منصور وقيصرية الامير منذر. ومنها ما تغلبت عليها اسماء الصناعات او المهن كقيصرية الصباغة وقيصرية الحرير وخلافها. والقيصرية بوجه عام بناية ضخمة ذات بايين كبيرين يُفتحان نهاراً ويُغلقان ليلاً. وكانت تتألف من ساحة فسيحة لا سقف لها تحيط بها الاروقة والدكاكين من جهاتها الاربع. وتعلوها طبقتان كانت غرفهما مأهولة على الاغلب بالتجار الغريباء. ولما هُدمت اسواق بيروت القديمة وشيدت بدلاً منها الاسواق الجديدة خفيت معالم تلك القيصريات واصبحت اثرًا بعد عين.

(٢) أطلقت بلدية بيروت على الشارع الممتد بين شارع سوريا والبسطة والمؤدي الى دار آل طرازي من ناحيتها الشمالية اسم «شارع نصر الله طرازي» اقراراً بفضله.

وقد استقى المقدسي انطون من والده المقدسي نصرالله روح الفضيلة والفضل . وامتاز مثله بالغيرة على المشاريع المبرورة والاهتمام بمصالح الملة روحياً ومادياً كما قرّر السيد اغناطيوس ميخائيل الرابع في رسالة انفذهـا اليه بتاريخ ٢٩ تموز ١٨٠٨ من دير مار افرام الرغم . وفي هذه الرسالة يعزّيه البطريرك بوفاة والده المقدسي نصرالله الذي لفظ روحه في حلب . بتاريخ ٢٩ ايار ١٨٠٨ قال ما نصه :

« باسفر لا مزيد عليه بلغنا . . . خبر وفاة ابننا الروحي والدم المقدسي نصرالله رحمه الله تعالى . فشق ذلك كثيراً على قلبنا الابوي وجشناكم الان بسطور البركة لتعزيكم ونشارككم في احزانكم . وهذا السهم الذي اصابكم قد نالنا منه القسم الاوفر لاننا اكثر من الجميع قد اخترنا فضائل المرحوم وغيرته على الديانة واهتمامه بمصالح الطائفة . . . وقد صار مقرراً عندنا انكم تسلكون مسلكه حتى تستمرّ النعمة في عائلتكم ويتعزّى قلبنا بابناء صالحين نظيركم . . . » .

وعندما انتقلت أسرة طرّازي بعد وفاة نصرالله كبيرها الى مدينة بيروت واصل انطون ابنه خدمته في سبيل الملة السريانية وتعزيها . وقد اصبحت داره منذ صدر القرن التاسع عشر محط رحال البطارقة والمطارنة والرؤساء والاعيان . ولما اخذ ابنا الطائفة يزدادون في بيروت رفع عريضة الى السيد اغناطيوس سمعان الثاني مصرحاً له بانهم محتاجون الى اسقف يدبّر شؤونهم الروحية ومقرراً بانه يقبله ضيفاً في داره مدة حياته . فما كان من هذا البطريرك المغبوط الا ان اجاب الى إلحاح المقدسي انطون . ثم رقى الى الكرامة الاسقفية على بيروت كاهناً جليلاً ورعاً من ديار بكر وأسماه كوارتس انطون . وكتب في ذلك الى المقدسي انطون طرّازي رسالة مؤرخة في ١٠ تشرين الاول ١٨١٧ قال :

« ان حضرة الاخ المحترم كوارتس انطون راعيكم الجديد . . . يسافر في الاسبوع القادم لاستلام زمام رعيّتنا المباركة في مدينة بيروت المحروسة . فنتأمل

من تقواكم ان تقوموا باكرامه وتستقبلوه بما فطرتكم عليه من اللطف وحسن
التدين. وحيث ان اقامته ستكون في منزلكم العامر كما طلبتم
لعدم وجود محل آخر نزع ان تجمعوا ابناء طائفتنا عندهم بعد وصوله
لتصير تلاوة منشورنا البطريركي في تعيين اخوته مطراناً عليكم. فنبتهل الى
• اله الجود ان يبارك هذه الغرسة التي زرناها في حقل ابرشيتكم حتى تأتي
بالثمار الصالحة لخيركم الابدي ويفرح قلبنا بنجاحكم روحاً وجسماً. لا نقدر
يا ولدنا العزيز ان نكافئكم على اتعابكم وفضلكم ومحبتكم. وعلى الخصوص
لانه ليس لنا احدٌ غيركم نعتمد عليه لاجل قضاء مصالح
الطائفة في طرفكم. بلغوا منا السلام والدعاء والبركة لجميع اولادنا
الروحانيين ولكل من يلوذ بكم، والبارئ تعالى يحفظكم.

فن نص هذه الرسالة البطريركية الجليلة يتضح صريحاً انه لم يكن
للاكليس السرياني مرجع يعولون عليه الا آل طرازي. ولم يكن
لهم محل يأوون اليه ويقضون فيه فروضهم الدينية الا دار آل طرازي
الذين فتحوها على مصراعيا لقبولهم فيها بالتجلة والاعتبار. وقد كتب آل
طرازي على انفسهم ان يقوموا بحاجات ارباب الكهنوت والتوسعة عليهم
غير مذبذخين في ذلك مالا وسعيًا وتعباً. على ان الخبر الجديد السيد
كوارتس انطون المشار اليه قضي حياته الاسقفية التي استغرقت اربعاً وعشرين
سنة (١٨١٧-١٨٤١) في دارهم كأنه هو صاحبها وهم ضيوفها. وعلى هذا
النمط استمر أخبار الطائفة السريانية قاطبة منذ عهد البطريرك اغناطيوس
ميخائيل الرابع حتى عهد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني يحاؤون ضيوفاً
مبجلين مكرميين على دار آل طرازي. ويقضون على يدهم مصالحهم المدنية
في بيروت واوربة بموجب وكالات رسمية. وكان آل طرازي بدورهم
يؤدون لهم هذه الخدمة بما عرفوا به من الهمة والغيرة والتفاني لوجه الله
تعالى وخير الملة.

وثائق خطية

ومأ يستحق الذكر في هذا المقام رسالة تاريخية كتبها العلامة الدكتور
لويس صابونجي من لوس انجلوس باميركا الشالية الى الفيكنت فيليب دي
طرازي بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٨ نقتطف منها^١ ما يلي :

« ربما لا تذكرون تماماً الباعث على شدة تعلقي بأسرة طرازي الكريمة
وصدق مودتي القديمة لافرادها النجباء . وعليه اود ان أعيد على سماعكم
شذرة من تاريخ هذه الصداقة كما هو مطبوع في ذاكرتي رغماً من مرور
نحو ثمان وسبعين سنة على تاريخ تلك الصداقة . وهام تفصيل ذلك : بعدما
نجوت من غائلة المذحجة ونهب منازل المسيحيين وكنائسهم في حلب في شهر
تشرين الاول ١٨٥٠ قدمت بيروت مصحوباً بالارشمندريت عبد الله كاتم
اسرار البطريرك مكسيموس مظلوم . فقابلني المرحوم جدكم انطون
طرازي في انطوش مدرسة الشرففة . فوجدته شخصاً لطيفاً رباعاً نحيف
البنية وعلى رأسه عمامة صغيرة قماشها أسود . وكان سرواله . كذلك من
الجوخ الاسود . ومن كرم آل طرازي المهود احضر لي الطعام . وكانت
تلك آخر ليلة من عام ١٨٥٠ . وأعتبر هذا الصنيع اول لطف وأجل
احسان ناله غريب مثلي في السن الثامنة عشرة من مكارم أسرة طرازي .
فاذكر ذلك بملء السرور واشكره . وفي الغد حضر الي المرحوم جدكم
وسار بي الى مدرسة الشرففة . واعتاد جدكم النبيل كلما زار مدرسة
الشرففة ان يسأل عني ويطلب مشاهدي ويلاطفني ببشاشة طبعت في فؤادي
صدق الوداد له ولكل من افراد ذريته النجيبة . وما زلت محافظاً على هذه
الصداقة بوفاء وضمائم ولن انسها حتى أدرج في الاكفان .

« هذه نبذة وجيزة من تاريخ صداقتي لجدكم المرحوم وافراد عائلته
الافاضل . وقد انتقلت منه الى والدم الكنت نصرالله دي طرازي رحمه
الله تعالى . ثم انتقلت صداقتي الى نجله البكر الكنت انطون دي طرازي

(١) طالع نص هذه الرسالة برمتها في الصفحتين ٤٦ و ٤٧ من كتاب « الحلل
الطرازية في الأسرة الطرازية » .

الذي زارني في باريس عام ١٨٨٩ أثناء معرضها العام . واذ لم يكن ضليعاً باللغة الانكليزية طلب مني ان ارافقه الى لندن فجاريته . ثم لجّ عليّ بالذهاب معه الى الاستانة فانقدت لطلبه . وصار ذلك باعثاً على طلب السلطان عبد الحميد الثاني لادخل في خدمته بصفة كاتب خاص ومستشار سياسي .

وفي السنة ١٨٥٨ اراد البطريرك مار اغناطيوس انطون الاول ان ينصب القس افرام كرش مرش اسقفاً على بيروت . ولا ندري البواعت التي دعت به بعد ذلك الى الاحجام عن هذا التدبير . وقد اشار الخوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة الى هذا التعيين في رسالة كتبها بتاريخ ٨ ايار ١٨٥٨ الى آل طرازي قال :

« ... ان القس يوسف سكر نجبرنا ان غبطته معتمد على سيامة اربعة اساقفة . فالثلاثة هم الذين اخبرناكم عنهم حين كنا بطرفكم والرابع هو القس افرام من ابرشية ماردين سيجعله اسقفاً على بيروت . ولا ريب ان اقامته تكون بدير الشرفة وكيلاً لغبطته على الدير المذكور ودير ماري افرام . نسأله تعالى ان يجعله اسقفاً غيوراً على خلاص الرعيّة وتاجراً اميناً بالوزنة الانجيليّة يشمر اثماراً صالحة ... وينمي الطائفة بالخيرات الروحية والزمنية . ثم انه على ما يبين لي ان غبطته لا بدّ قبل رسامة الاب المذكور نجبركم عن ذلك قانونياً ولياقةً ... »

ولبت آل طرازي يواصلون اهتمامهم بكل وسيلة ناجعة لضمّ شتات ابناء الملة السريانيّة في بيروت وجمع شملها وتعزيز مقامها بين الملل الاخرى . فكانوا لا يضنون بشيء من المال والنفوذ في سبيل الوصول الى هذا الهدف المشكور . وقد قرّط الرؤساء حميتهم هذه قولاً وكتابةً في آونة مختلفة . واليك ما كتبه اليهم البطريرك اغناطيوس انطون الاول بهذا المعنى من ماردين في ٢٣ تموز ١٨٦٣ . قال : « ولقد مدحنا غيرتكم وهمتكم في تجميع اولاد طائفتنا المتبددة . نسأل الله ان لا يضيع اجركم ... »

وكان آل طرازي يتوقون شديد التوق الى رؤية كنيسة لماتهم في بيروت يحضرون فيها الاحتفلات الدينية حسب طقسهم السرياني . وقد طال ما راسلوا في هذا الصدد بطاركة الملة واستنھضوا همهم ليحييوا الى طلبتهم ويحققوا نيتهم هذه الصالحة . وحدث في تلك الاثناء ان الآباء الكبوشيين عقدوا النية على ابتناء دير جديد لرهبانيتهم جنوبي باب ادريس ببيروت بدلاً من ديرهم القديم الذي كان واقعاً في محلة « باب الدركاه » . فجرت المفاوضة اذ ذاك بين رئيسهم الاب زكريا فنشويولي وبين آل طرازي لاجل مشترى الدير القديم مع كنيسة وحديقته وسائر مشتملاته بمبلغ ثلاثة آلاف ليرة عثمانية ذهبية . فعرض آل طرازي هذا الامر على السيد ديونوسيوس جرجس شلحت رئيس اساقفة حلب الذي كان في ذاك العهد نائباً رسولياً اثناء فراغ الكرسي البطريركي . فأجابهم النائب المشار اليه بتاريخ ٢٨ شباط ١٨٦٥ بما نصه :

« . . . نجيب ثانياً بخصوص مشترى كنيسة الآباء الكبوشيين مع جزء من الجنيحة برسم محل الصلاة للطائفة عموماً في بيروت وتخصيصكم باقي الدير لحسابكم الخاص فقد مدحنا هذا الرأي . وان شاء الله بعد ان يصل حضرة القس حنا معمارباشي لطرفكم نتخبر معه ومعكم بهذا الشأن . . . »
وقبل اجراء المعاملات الرسمية لانتقال هذا الدير الى آل طرازي والطائفة السريانية طرأت صعوبات حالت دون المشتري . لان الباب العالي تأخر كثيراً في منح الآباء الكبوشيين فرماناً سلطانياً يؤذن ببناء ديرهم الجديد . فكان ذلك التأخر باعثاً لالغاء العقد وإبطال مشترى الدير المشار اليه .

ولما التأم مجمع الانتخاب البطريركي عام ١٨٦٦ في حلب رفع اليه سريان بيروت عريضة يطلبون فيها ان يكون تدبيرهم منوطاً برئيس اساقفة حلب . وصرحوا بما حملهم على ذلك الطلب وهو ينحصر في ثلاثة امور :
اولاً لان الفريق الاوفر منهم يمت الى اصل حلي . ثانياً لان مدينة ماردين

مركز الكرسي البطريركي تفصلها مسافة عظيمة عن بيروت فيتعذر بسببها على البطريرك زيارة هذه الابرشية كلما دعت الضرورة الى ذلك . ثالثاً لان سريان بيروت وهم قليلو العدد لا تتوفر لديهم الوسائل الكافية للنهوض بأود مطران خاص بهم .

• فبعد ما اطلع آبا. هذا المجمع على العريضة المشار اليها ودرسوها ملياً استصوبوا ان تكون سياسة ابرشية بيروت تابعة لرئيس اساقفة حلب ودونوا ذلك في اعمال مجمعهم . ثم رفع البيروتيون عرائض شتى في هذا المعنى الى بطريركهم مار اغناطيوس فيلبس الاول والى رئيس مجمع انتشار الايمان في رومية يلتمسون فيها تأييد قرار مجمع الشرفة . وقد رأينا نص تلك العرائض والوسائل المنوطة بها محفوظاً في خزائن آل طرّازي .

وعلى اثر ذلك خطر ببال السيد غريغوريوس يعقوب حلياني مطران دمشق ان يضم ابرشية بيروت الى ابرشيته متعهداً ببناء كنيسة فيها والقيام بجميع حاجاتها . وحثه في ذلك حق الشفعة لسبيين : اولاً لان بيروت الى دمشق اقرب منها الى حلب . ثانياً لان بيروت ودمشق واقعتان ضمن ولاية واحدة اي ولاية سورية بعكس حلب التي لها ولايتها الخاصة . يتبين ذلك من رسالة لمطران دمشق المشار اليه مؤرخة في ٩ تشرين الثاني ١٨٧٠ ومن رسائل اخرى موفدة الى ارخندس السريان في بيروت .

اطلع آل طرّازي على هذا الخلاف الذي نشب بين مطراني حلب ودمشق وشعروا ان بطريرك الملة يؤيد نظرية مطران دمشق^(١) . فقرروا • حين ذاك الغاء فكرتهم في ضم بيروت الى حلب وآثروا استقلال ابرشيتهم متشبثين بالبقاء تحت رعاية الكرسي البطريركي . فما كان من رئيس احبار الملة مار اغناطيوس فيلبس الاول الا ان اتنى على سداد رأيهم ووثيق تعلقهم

(١) طالع رسالة السيد ديونوسيوس جرجس شلحت مطران حلب في ٢٨ شباط ١٨٦٧ ورسالتين للسيد اثناسيوس رافائيل جرخي اوفد الاولى في ١٦ شباط ١٨٦٧ من بغداد وسير الثانية من رومية في ١ كانون الاول ١٨٦٩ الى آل طرّازي

به واخذ يبذل عنايته الخاصة في تدبير شؤونهم . تؤيد ذلك رسالته التي انفذها من ماردين الى الكنت نصر الله دي طرازي بتاريخ ١٧ كانون الاول ١٨٦٨ ووقعها بامضائه . وامضاها ايضاً القاصد الرسولي في ما بين النهرين السيد نقولا كستلس والسيد اثناسيوس رافائيل جرخي رئيس اساقفة بغداد . واليك نصّها :

« نعلم جنابكم بانه قد ترتبت جمعية من المدونة اسمائهم هنا بأمر المجمع المقدس المثبت من قداسة سيدنا الحبر الاعظم لاجل الفحص عن تركة البطريرك اغناطيوس انطون سمحيري وعن احتياجات جميع ابرشيات الطائفة السريانية وكنائسها . بناء على ذلك وبما انكم متقدمو ابرشية بيروت المحبوبة لدينا فقد وجهنا الحاظنا نحوم لكي تعلمونا بالتفصيل ما هي احتياجات ابرشية بيروت سواء كان من جهة الكنيسة ام من جهة رعاية النفوس وخدمتها بالنوع الذي يقتضي لنجاح تلك الابرشية وزوم ان تشرحوا كل شيء بالتفصيل »

ثم كتب البطريرك والقاصد الرسولي المشار اليها بتاريخ ٢٤ نيسان ١٨٦٩ الى الكنت نصر الله دي طرازي عينه ما نصّه : « تداولنا في هذا الامر . ولاجل بعض الملاحظات ارتضينا بما ارتأيتم وحولنا القضية لذمتكم لثقتنا بتقواكم . لان - حشرتكم اخبر منا في ذلك . ونحن خوفاً من الوقوع تحت المسؤولية امام الله قد تم رأينا ان نحول المادة لحقانيتكم وذمتكم . ومهما حكمتكم به فنحن راضون به من دون مراجعة لزيادة ثقتنا وامانتنا بذمتكم »

يتضح اذاً مما سبق بيانه ان الملة السريانية في بيروت كانت مجسمة في آل طرازي الذين كانوا المرجع الوحيد والعماد المتين لرؤسائها في جميع الشؤون . وعليهم كان يعول البطارقة في المصالح المهمة . يؤيد ذلك

• ثبات من الرسائل محفوظة بكل حرص في خزائن هذه الاسرة المباركة .
 اذاً بكل حق وبكل صواب وبكل امان نستطيع ان ننادي باعلى
 صوتنا على رؤوس الاشهاد ونقول القول الفصل بدون ادنى محاباة : ان
 الفضل بل كل الفضل في تكوين ابرشية بيروت السريانية لا يعود الا الى
 آل طرازي وحدهم دون سواهم . فمن انكر هذه الحقيقة الراهنة التي
 يعترف بها الرئيس والمرووس والقاصي والداني لا يُعدّ الا مكابراً او جاهلاً
 او متجاهلاً .

الفصل الثالث

آل طرازي وبناء كنيسة بيروت وقلايته

افرح بنو طرازي كل جهد وجدّ في ابتناء كنيسة مار جرجس
 السريانية ببيروت . وكانت زوجة المقدسي انطون السيدة كاترين بنت
 يوسف خوّام^(١) المشهورة بتقواها تتنفس الصعداء مبتهلة الى الله تعالى مراراً
 ليمنّ عليها ان تشاهد بأمّ عينها قبل وفاتها كنيسة للسريان تمارس فيها
 فروضها الدينية . وقد استجاب عزّ وجلّ طلبتها المقدسة وانعم عليها بان
 تحضر بنفسها احتفال البطريرك بوضع الحجر الاول في أساس تلك الكنيسة
 في ٢٥ آذار ١٨٧٨ . وعربوناً لشديد ابتهاجها بذلك الاحتفال نزعّت من
 فورها خاتمتها الثمين ودفعته الى السيد البطريرك ليضمّ ثمنه الى المبالغ التي
 جمعت لبناء الكنيسة . ومنذ ذاك التاريخ الى حين وفاتها في ٦ آذار ١٨٧٩

(١) كان للسيدة كاترينا خوّام زوجة انطون طرازي ثلاثة اخوة انتظموا في سلك
 الرهبانية الباسيلية للروم الملكيين قبل انقسام تلك الرهبانية الى بلدية وحلبية .

كانت تردد مع شمعون الشيخ : « الآن يا سيد أطلق عبدك حسب قولك
بسلام لان عيني قد ابصرتا خلاصك » (لوقا ٢٩: ٢ و ٣٠) .

اما نجلها الكنت نصرالله فكان من نيته ان يبني تلك الكنيسة
بنفقته الخاصة . يتضح ذلك من المكاتيب الشتي التي تبودلت في هذا
الشأن بين البطريرك الانطاكي وبينه . بيد ان السيد البطريرك ثبّطه عن
انجاز مقصده الحميد رغبة ان يشترك جميع ابناء الابرشية البيروتية في هذا
الصنع المبرور احرازاً للشواب في الدارين . وبهذه الوسيلة المقدسة تغلب
السيد البطريرك على فكرة الكنت نصرالله مقنعاً اياه بالعدول عن رأيه .
فاخذ من ثم الكبير والصغير والغني والفقير يشتركون في هذا العمل المقدس
كما اعلن حقيقة ذلك الاب افرام ايض في خطاب ألقاه صباح الاحد ١١
تشرين الثاني ١٨٨٣ لدى احتفاله بالقداس الاول اذ قال ما ملخصه :

« قد شملكم السرور ايها الاحباء يا ابناء الطائفة السريانية الاعزاء .
اذ شاهدتم بابراركم ثمة اتعابكم أثناء خمس سنوات ... فقد فزتم بمراي
معبد جديد شيّد الله تعالى في بيروت على اسم مار جرجس الشهيد ... اني
اشكر جميع الذين اعتنوا ببناء بيت الله هذا وساعدوه بيد سخية ...
واخص بالذكر المرأة الغيرة الافاضل نصرالله طرازي وانجالة ، ورزق الله
شقال وميخائيل موصلي ... واشكر الفاضل ميخائيل اليان سركيس
العامل الادبي . ثم اشكر اخوتنا الاكارم الروم الملكيين والموارنة واللاتين
والارمن ... »

الارمن

أخذ اذاً المحسنون في ذلك الحين يتسابقون فيكتبون بما جادت به
اريجيتهم . وكان الكنت نصرالله دي طرازي وشقيقاه نعمة الله وفتح الله في
طليعة الذين اكتبوا بسخاء في هذا المشروع الجليل . على ان نجلته السيدة
ادما شات وهي لم تتجاوز يومئذ ثمانية عشر ربيعاً ان تسبق الجميع في
مساعدة هذا المشروع المبرور فتبرعت من جيبها الخاص بقيمة بناء اساسات
الكنيسة تمجيداً لله تعالى واحرازاً للاجر السماوي .

غير انه ما كاد يرتفع البناء ويصل الى منتصفه حتى نفذت النقود
المجموعة بتمامها . فاقترح شيخ الطائفة الكنت نصر الله انشاء يانصيب
خيرى يُرصد ريعه لانجاز العمارة . وقرّر الرأي على ان يكون مجموع اوراق
ذلك اليانصيب خمسة آلاف ورقة قيمة كل منها خمسة فرنكات ذهبية .
• واخذ الكنت نصر الله والكنتس مئة زوجته وانجالهما على عهدهم توزيع
الاوراق على اصحابهم واصدقائهم . وصرفوا في ذلك المشروع همهمة لا
تعرف الكلال حتى فازوا بالضالة المنشودة .

ومن جملة الذين اشتركوا على يدهم في هذا اليانصيب الخيري نذكر
خصوصاً : السيد غريغوريوس الاول بطريرك الروم الكاثوليك . والسيد
لودوفيك بيا في القاصد الرسولي . ورستم باشا متصرف جبل لبنان . ونسيب
باشا جنبلات كبير اعيان الطائفة الدرزية . واصحاب المروءة والشهامة
بشاره الخوري ونخله مسعد وحبيب دوماني وبشاره هاني وارملة متى
فرح واسكندر سرسق وجرجس تويني وسأوم بسول والكنت دي
برتوي في بيروت . ثم فرج الله موصلي وقسطنطين كحيل في القاهرة .
وجبرائيل مخلع ويوسف نصر والكنت دي زغيب وفيليب بولاد في
الاسكندرية . وسليم نصر الله خوري في حيفا . وجبران سعد في عكا .
وانطون تيان وبطرس روك في يافا . والمركيز جورج صعب في منشستر .
وسليم دي بسترس في لندن وشكر الله حمصي وفرنسيس ضاهر في مرسيليا .
والكنت رشيد الدحداح في باريس . واسرة المركيز غنطوس كبه في ليفورنو .
والقس رافائيل ابن المركيز فتح الله بن شكر الله جروة في البندقية .
وفيليب افندي مؤسس جريدة « طريق » الشهيرة في الاستانة .

فان كلاً من هؤلاء الافاضل جاد بمبلغ خمسين ورقة اعني بمائتين وخمسين
فرنكاً ذهباً . ولما نجز المشروع وسُجبت اوراق اليانصيب تبرّع اصحاب النحر
الراجعة على الكنيسة بما رجوه من اموال اليانصيب فاضافوا بذلك مبرةً جديدة
الى مبراتهم . نستثني منهم قساً سريانياً اصابته ورقة بمبلغ مائة فرنك ذهباً

فقبضها لحسابه الخاص .

وكان آل طرازي يراقبون بناء الكنيسة بانفسهم ويسمرون على اتقان العمل حتى يأتي كل شيء مطابقاً للفن . فلما بلغ مسمعي البابا لاون الثالث عشر ما قام به خصوصاً والدهم الكنت نصرالله من المساعي المشكورة في سبيل بناء هذه الكنيسة وملحقاتها ألبى قداسته ألا ان يبدي له عاطفة الرضى والاستحسان . فاهدى اليه بتاريخ ٢٠ شباط ١٨٨٠ « وسام القديس سلوسترس » مكافأةً على اتعابه ومبراته وتنشيطاً لغيره على اقتفاء حميد آثاره .

وقد عرف ابو الطائفة المغبوط مار اغناطيوس جرجس الخامس لآل طرازي مكارمهم الجمة وجهودهم المتواصلة في سبيل كنيسة بيروت فكتب الى الكنت نصرالله بتاريخ ١ كانون الاول ١٨٨٤ اعني على اثر الاحتفال باقدس الاول ما نصه : « . . . هل نصمت ايها الابن العزيز عن امتداح المساعي الحسنة المقترنة بالتوفيقات العلية المبذولة من بنوتكم خاصة . . . في انشاء بيت الرب هذا ؟ فليجزل لكم الثواب تعالى في الدارين . . . »

فكل ما اثبتناه في هذا الفصل عن اهتمام آل طرازي بكنيسة ملتهم يصدق ايضاً على دار القلاية المجاورة لها . فانهم بالاشتراك مع النائب البطريركي السيد ثنوفيلس انطون قندلفت بذلوا مساعيهم لانجاز بناء الطبقة الاولى . ولدى الاحتفال بافتتاحها رسمياً في ٢ شباط ١٨٩٣ كلفوا نيافة القاصد الرسولي السيد غودنسيو بنفيلي ومطارنة بيروت وبعض الاعيان ان يتناولوا طعام الغذاء على مائدة النائب المشار اليه . وفي ٨ كانون الاول ١٨٩٦ نجح بناء الطبقة الثانية فاستقل النائب البطريركي بسكنائها وخصص الطبقة الاولى بسكنى الكهنة .

وما كاد يتم بناء القلاية حتى انتبه الفيكنت فيليب دي طرازي الى ان الاساس الذي شيدت عليه لا يتجاوز عمقه الاربعين سنتماً . وقد كان

ذلك الاساس لدى بنائه خاصاً بسور (تصوينة) باحة الكنيسة . ومن المعلوم ان عمق اربعين سنتمترًا لم يكُ كافياً لحمل ائقال بناية ذات طبقتين . ولما كان الصخر في تلك المحلة لا يقل عمقه عن خمسة امتار خشي الفيكنت ان يفاجئ القلاية طارئاً يقوضها ويجرّ وراءه ضحايا بشرية . فدفعته الغيرة الى استدراك الخطر قبل حدوثه واستدعى مهندساً بارعاً وبنائين ذوي خبرة وباحثهم في هذا الشأن . فقرّر رأيهم قاطبةً على تشييد اساس متين يحيط بالقلاية ويدعمها حتى تكون في امان من كل خطر . وقد ادّى الفيكنت جميع النفقات التي تطلبها هذا الاصلاح فاطمأنت الخواطر منذ ذاك الحين ولم يحدث والحمد لله في العمارة ادنى خلل .

ولما ألفت بلدية بيروت سنة ١٩٢٢ لجنة لوضع اسماء شوارع هذه المدينة عينت الفيكنت فيليب عضراً فيها . فانتهر هذه الفرصة واقترح على اللجنة ان يُسمّى الشارع الواقع جنوبي القلاية المار ذكرها باسم « شارع البطريركية السريانية » . فوافقت اللجنة على هذا الاقتراح وأيده المجلس البلدي .

الفصل الرابع

آل طرّازي وترين كنيسة بيروت الكاتدرائية

ما كادت تنجز عمارة كنيسة بيروت على ما وصفنا حتى نهض آل طرّازي يسعون السعي الحثيث بأموالهم واتعابهم في تزيينها كما يليق ببيت الله تعالى . فصرفت أهمهم الكونتس مئة اطيب الجهود في تجهيز الاقشة لمذابجها وتطريز اغطيتها . وراحت تهني مع بناتها الحلل لكهننتها والالبسة لشمامستها . ولم تقتصر على اعداد ما يلزم الكنيسة من الاقشة والبذللات الحريرية والبطرشيكلات السوداء . لاسبوع الآلام بل اخذت تعدّ كذلك كل ما يلزم الخبائز

كالقمصان والالوشحة وما شاكلها . وقد نهضت تلك الكونتس النشيطة هي وبناتها بمشترى الاقشة وتفصيلها وخياطتها بما لا يوصف من العناية والدراية . واعتادت الحضور الى الكنيسة معهن في كل موسم ليعتنين بغسل اغطية المذابح وقصان الكهنة وأردية المرتلين وكيها المرة بعد المرة . وواصلن هذه الخدمة الحميدة نحو الثلاثين سنة بما عُرفن به من الغيرة والتفاني في خدمة بيت الرب . وكانت الكنتس منة اذا رأت الكنيسة محتاجة الى شيء من الزينة أقبلت على مشترائه بكرمها المشهور .

والى هذه الكونتس الجليلة يعود الفضل في مشترى مبخرة فضية وشمعدانين كبيرين مركوزين الى اليوم في عمودي المذبح الكبير . وقد اتحف الكنت نصرالله هذه الكنيسة بصورة زيتية تمثل السيد المسيح في العشاء السري يحيط بها اثنتا عشرة صورة على شكلها تمثل آباءنا الرسل العظام . وفي السنة ١٨٨٣ زين مذبحها اليمين بصورة والدته الله مريم عليها السلام . وأهدى اليها ابنه الكنت انطون قنديلين من الفضة^(١) مع شمعدانين كبيرين بشكل ثريا يركزان في جناحي المذبح الكبير ايام المواسم السيديّة . وأهدى اليها الفيكنت سليم صور درب الصليب مرسومة بالزيت وهي من ابداع ما صورته ريشة مصور . وأضاف الى ذلك ستة شمعدانات كبيرة من النحاس الاصف مع ستة زهور مذهبة تُرتن بها درجات المذبح الكبير في المواسم الكبرى . ووقفت السيدة ادما دي طرازي قرينة نخله مسعد قنديل فضة كبيراً سنة ١٨٩٥ .

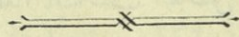
اما الفيكنت فيليب فقد اهدى الى هذه الكنيسة الثريا الكبيرة المعلقة في وسطها وأغلب الثريات الاخرى مع خزائن الموفه التي استصنتها المعالم يوسف النجار على طراز خزائن موفه كنيسة اليسوعيين . ثم ذهب درجات المذابح الثلاثة وبيوت القربان بعد ما وسع على نفقته مذبحي والدته الله والقديس

(١) سُرق هذان القنديلان في ٥ تموز ١٨٩١ مع المبخرة الفضية التي اهدتها الكنتس منة طرازي رحمها الله تعالى

افرام الملفان . ووقف للكنيسة ايضاً خزانتي راکرتين الى جانبي صورة مار جرجس الشهيد لتوضع فيهما النذور والتقدم . ويُشاهد بينها ندورُ شتي وقفتهما الاسرة الطرازية .

ولما عزم آل طرازي عام ١٩٠٠ على دهن سقف الكنيسة وجدرانها بالالوان الزيتية الجميلة وعلى صنع منبري الاعتراف كانوا في مقدمة المتبرعين على هذا المشروع . اذ انهم جادوا وقتئذٍ بمبلغ اربعين ليرة ذهبية وهو اكثر من نصف المبلغ الذي أنفق في السبيل المذكور . امّا المبلغ الباقي فقد جمع من سائر ابناء الملة . وقد عرف لهم البطريرك اغناطيوس افرام الثاني هذه المكرمة فكتب اليهم بخط يده في ١٥ آب ١٩٠٠ يبيدي لهم آيات الشناء الى ان قال : « .. نهنيشكم بدهن الكنيسة ونحن نعلم كم هي غيرتكم على الطائفة ومجدها وكم هي محبتكم للكنيسة وللعبادات . نسأل الله ان يحفظكم لنا مديداً ويزيدكم جاهاً وفضلاً » .

ومما نذكره لآل طرازي بالامتنان والشناء انهم استنهضوا غيرة بعض ذوي الاحسان من كهنة وعالمين لاجل صنع الصور والقناديل وسائر انواع الزينة التي دُججت بها جدران هذه البيعة الكاتدرائية ومذابجها .



الفصل الخامس

آل طرازي وجمعية المساعي الخيرية السريانية وأوقافها في بيروت

على أثر الاحتفال بالقدس الاول في كنيسة مار جرجس بيروت رأى اعيان الملة ان يؤسسوا جمعية خيرية تقوم بمساعدة الفقراء واغاثة الغرباء من ابناء جنسهم . فالتأموا صباح عيد الدفح (الغطاس) ٦ كانون الثاني ١٨٨٤ بعد القداس الالهى في غرفة النائب البطريركي القس افرام أبيض . واقتروا

على ان يكتب ذور اليسار بمبلغ سنوي يدفع الى صندوق الجمعية وينفق على يدها بالطريقة القانونية . وفي ذلك الاجتماع عين الكنت نصرالله دي طرازي باتفاق الكلمة والصوت الحي رئيساً للجمعية الخيرية لما اشتهر به من الحمية الطائفية وعمل المبرات . وقد وقفنا على ابيات شعرية نظمها نجله الفيكنت فيليب تاريخاً لتأسيس تلك الجمعية هذا نصها :

جمعية البر للسريان أنشأها افاضل ألفوا الاحسان والورعاً
حنانة في سبيل الله غايتها اسعاف من في شقاء العمر قد وقعاً
أجازها بطريقك طاب عنصره على الصلاح ونفع الناس قد طبعاً
نالوا الثناء لما أبدوه من همم وأحرزوا الأجر مشفوعاً بكل دُعا
فتلك مأثرة نادى مؤرخها يا حبذا الدين والدنيا متى اجتمعا

١٨٨٤

واصل الكنت نصرالله دي طرازي مساعيه الطيبة في تعزيز هذه الجمعية وجاد عليها كل سنة وفي اوقات ممتازة بالعوارف العديدة التي خلّدت له فيها اجمل تذكّار . وراح أعضاؤها يبدون لرئيسهم الجليل عاطفة عرفان الجميل فنصبوا رسمه في قاعة الجمعية عربوناً لشكرهم وتقديرًا لمكارم رئيسهم النبيل . وقد دون هذا الكنت الفاضل في حك وصيته الاخيرة مبلغ خمسمائة ليرة ذهبية توزّع بعد وفاته في سبيل المشاريع المبرورة . فقام ابنائه بتنفيذ الوصية لدى انتقاله في ١٠ كانون الاول ١٨٩٥ الى جوار ربّه . ولم يكتفوا بذلك بل اضافوا الى المبلغ الموصى به مبلغاً آخر يضاھيه قدرًا . ولذا أقامت اديار الملة وبعض ابرشياتها قداساً وجزائراً حافلين عن روح هذا الراحل الكريم اقراراً بحسناته .

ولما استعفى الكنت نصرالله من الرئاسة أنيطت شؤونها بنجله الفيكنت فيليب الذي خدمها الاعوام الطوال بما عرف به من الحصافة والغيرة والحنكة والسخاء . وخلف فيها كوالده الحميد الذكر آثاراً تذكر فتشكر على توالي الاعصار . وقد طالما رأينا الفقراء والمعوذين يتراكمون

اليه ويطلبون مساعدته . ولسنا نبالغ ان قلنا ان هذا الفيكنت الكريم لم يرد سائلاً ولم يجيب طالباً في كل حياته .

ومن آثار الفيكنت فيليب في هذه الجمعية انه وقف لها في حياته بقعة الارض الملاصقة لمقبرة الملة في راس النبع والتي أطلق عليها بمساعيه بعد ذلك اسم « حارة مار افرام » الملفان . وقد عُرف ذلك رسمياً لدى الحكومة وسجل في مجلس بلدية بيروت . وكان الفيكنت متولياً على هذه البقعة طبقاً لحجة شرعية مؤرخة في ١١ ذي الحجة ١٣١٥ هجرية . على ان البقعة المذكورة كان وقفها آل طرازي ورزق الله شقال وميخائيل . وصلي^١ في سبيل البر . وجعلوا الولاية الشرعية عليها الفيكنت فيليب الموما اليه ولرزق الله شقال مدة حياتهما . وشرطوا ان يتولاهما بعد وفاتهما الأرشد فالأرشد من أسرتي طرازي وشقال المشار اليهما الى ما شاء الله . بيد ان الفيكنت فيليب بعد ما انفق على الوقف المذكور مبالغ طائلة من جيبه الخاص مدة خمس وثلاثين سنة متوالية أحب عربوناً لشديد غيrote على مصالح ملته وتقانيه في سبيل رقيها الروحي والزمني ان يتنزل برضاه ومل . اختياره عن ولايته هذه الشرعية . وحين ذاك حول الوقف المذكور بصفة رسمية الى جمعية المساعي الخيرية السريانية . وقد كتب في هذا الصدد الى المقام البطريكي بتاريخ ٦ تموز ١٩٣٢ مشيراً الى هذا الامر بقوله :
« . . . اوضحت لغبطتكم اني توليت ادارة هذا العقار الموقوف معظمه مني ومن اخوتي منذ انشاء المقبرة سنة ١٨٨٥ بموجب حجة شرعية . . . »

(١) بعد ما وقف المرحوم ميخائيل موصلي حصته في هذه البقعة الملاصقة للمقبرة ساءت احواله المالية وخسر ثروته . فأدى له الفيكنت فيليب قيمة حصته واخذ منه في ذلك وصلاً رسمياً . وبدلاً من ان يسجل الفيكنت تلك الحصّة باسمه أولاً ثم يحولها الى وقف أشار على المرحوم ميخائيل المذكور ان يسجلها رأساً باسم الوقف في المحكمة الشرعية اقتصاداً في نفقات الفراغ والانتقال . اما حصص الواقفين لهذه البقعة فكانت تتوزع كما يأتي : عشرة قراريط للفيكنت فيليب وستة قراريط لآخوته انطون وسليم وادوار وثمانية قراريط لرزق الله شقال . فيكون مجموع الحصص الموقوفة اربعة وعشرين قرارطاً .

وبالحقيقة فان هذا الوقف كان وسيلة بل وسيلة كبرى في اوقات الشدائد والنكبات لايواء ابناء ملتنا المهاجرين الذين طردتهم تركيا من ولاياتها . وما هو اعظم من ذلك فانه كان اقوى ذريعة لاكتساب جمهور من اخوتنا اليعاقبة الذين اتحدوا معنا لاثدين بكرسيكم الانطاكي المقدس . وهم ما برحوا يسكنون في تلك البقعة منذ احدى عشرة سنة بلا اجرة البتة . هكذا تحققت الاماني والامال التي عقدت على انشاء هذا الوقف الذي عاد الآن بالخير والبركة روحياً ومادياً على ملتنا السريانية وفقرائها وواقفها . قلنا احدى عشرة سنة لانه كما تعلمون ايها الخبر المغبوط لو اضطر اخوتنا هولاء المهاجرون ان يتخذ كل منهم غرفة لسكنائه في المدينة اسوة بامثالهم لتعذر عليهم استئجار منزل باقل من ثلاث ليرات سورية شهرياً . فمذ حلولهم في هذه البقعة المعروفة رسمياً لدى الحكومة والمجلس البلدي باسم « حارة مار افرام » قد وفرنا عليهم — وكانوا تسعين عائلة — مبلغاً لا يقل عن خمسة وثلاثين الف ليرة سورية . وهو مبلغ لا يستهان به .

ولدى تنزل الفيكنت فيليب عن ولايته هذه الشرعية تبرع بتاريخ ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٢ على الوقف المذكور بمبلغ مائتين وتسع واربعين ليرة عثمانية ذهباً طبقاً لصك رسمي . وقد سبقت الجمعية الخيرية فسجلت له في السنة ١٩٢٦ مكرمة ثانية لا تقل عن الاولى . فانها اثبتت في الصفحة التاسعة عشرة من برنامجها ما تبرع به عليها وقدره ١٢٨٠٧٥٨ غرساً لبنانياً سورياً .

ازاء هذه الحسنات الوافرة المتواترة يشق علينا جداً أن فريقاً من أعضاء جمعية المساعي الخيرية السريانية اعاروا آذانهم عن جهل او عن قلة روية لسفسطات بعض ذوي الاغراض . فتسرعوا الى التجاذ قرار لا يستند الى أساس راهن وألبسوه غير ثوبه الحقيقي . ولو أنصفوا لدرسوا قضية الوقف المختف عليه درساً مدققاً كما يعلمه العدل ويوحيه الوجدان الطاهر ويتطلبه خير الجمعية التي سلمت اليهم أقدارها . بل كان الاجدر بهم ان يقابلوا

صنيع الواقف الكريم ونيتته الصالحة وسعيه المشكور بالثناء والدعاء .
 وناهيك ان الفيكنت فيليب لم يقف عند هذا الحد من الاجتهاد والجد .
 بل دَفَعَتْهُ غَيْرَتُهُ الى ان ينهض عام ١٩٢٥ نهضة البطل في جمع الاموال
 الوافرة من سخاء رجالات الخير والاحسان في بيروت والقاهرة والاسكندرية
 وبغداد والبصرة واوربة واميركة . وخصص ذلك لمشتري بقعة ارض جديدة
 تضم ابناء الملة الذين طردتهم تركية من بلادها منذ السنة ١٩٢١ وأقبلوا
 الى بيروت واستوطنوها . فقصد الفيكنت النشيط القطر المصري مسافراً على
 نفقته الخاصة وجمع هناك مبلغاً من المال لهذه الغاية . ثم راسل باسمه اصدقاءه
 في المدن المذكورة وما عثم ان وردته الاجوبة بالثناء والاجابة الى طلبته .
 وبعد هذا فافوض الفيكنت فيليب صديقه الخواجا موصلي واطلعه على
 مساعيه المذكورة . ثم سأل ان يجولا معاً في بيروت ويقصدا بيوتات التجارة
 والمصارف المالية ويستنديا اكف المحسنين لنجاح هذا المشروع . فحبذ
 الخواجا نجيب فكرة صديقه وطافا كلاهما وجعا في مدة وجيزة المبالغ المالية
 الكافية لمشتري بقعة الارض الواقعة جنوبي مستشفى « اوتيل ديو » البالغة
 مساحتها ثلاثة عشر الف ذراع مربع . ويحيط بهذه البقعة الجميلة الموقع
 والفسيحة الارزاء اربع طرق من جهاتها الاربع . وهي تشتمل على أغراس
 ليمون وعلى ناعورة غزيرة المياه يستقي منها جميع سكان تلك الناحية .
 وبعد ما تم مشتري البقعة المذكورة اخذ الفيكنت وحده يسعى في تنظيمها
 وتسويتها وتعميرها . وجمع فيها اكثر من مائة عائلة سريانية فقيرة كانت
 مشتتة في اكثر انحاء المدينة . وخصص بكل منها بيتاً تسكنه دون اجرة .
 واصطنع عند هولاء الفقراء البائسين ما سبق فاصطنعه عند اخوانهم الذين
 أسكنهم في « حارة مار افرام » على ما ذكرنا .
 وكان الفيكنت فيليب يتفقدهم كل يوم صباحاً ومساءً ويسأل عن
 أحوالهم ويبذل لهم الاحسان . وبلغت به شهامته وأريحيته الى ان يستدعي
 شيوخهم الى منزله مراراً لتناول الطعام على مائدته . وكان يستقبلهم بصدر

رحب ويتولى خدمتهم بنفسه ويبدل لهم النصائح ليجتذب قلوبهم ويوظفهم في المبادئ . القوية . و اضاف الى ذلك كله انه كان يشترك في افراحهم و اتراحهم فيحضر عماد الجاهلهم و أعراس شبانهم و جنائز موتاهم . وسعى ايضاً في ايجاد مصالح يرتقون بها ويتكسبون معيشتهم ليعدلوا عن التسول في الشوارع . على ان الفيكنت الغيور قام بذلك كله بهمة شريفة لم نعهدها حتى الآن باحد ابناء الملة على الاطلاق .

من ذلك كله يتضح جلياً لكل ذي بصيرة وبصر أن جمعية المساعي الخيرية لم تكن لها علاقة اصلاً بانشاء هذه الاوقاف والمشاريع التي قام بها آل طرازي ولا سيما سليلهم الفيكنت فيليب .

وفي هذا المقام لا نرى بداً من التنويه بان الجمعية الخيرية السريانية كان قد انفرط عقدها اثناء الحرب العظمى لدواعٍ شتى . اما الفيكنت فيليب فانه أبى الا ان يأخذ على عهده في تلك الاوقات العصيبة اغاثة فقراء ملته ومساعدة غيرهم من منكوبي سائر الملل والمذاهب . فأحرز ثناء الجميع حتى ان جريدة « المقتبس » الدمشقية لمؤسسها السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي كتبت في عددها ٢٥٠٢ الصادر بتاريخ ١١ كانون الثاني ١٩١٨ في مقالة عنوانها « المحسنون » ما نصه :

« . . . وكالفيكنت فيليب دي طرازي في بيروت الذي لم يدع ستاراً في بيته الا وخاطه ألبسة المحتاجين . وهو قد جعل ديدنه صباح مساء ان يوزع الخبز والطحين على معسري بلده » .

وعرفاناً لمبرات هذا الشهم الكريم في ايام الحرب الكبرى قرّطه ايضاً كثير من الرؤساء والشعراء فنفعوه بالرسائل البليغة والقصائد الرنانة . كاللغوي العلامة الشيخ عبدالله البستاني والصحافي الشهير طانيوس عبده والاستاذين الياس بهنا وحنا زهيا وغيرهم من حملة الاقلام . واليك ابياتاً من قصيدة نظمها فتح الله بك خياط السرياني وارسلها اليه من الاستانة قال :

يا من غدا حُرزي الحُرِيزَ وعوذتي من فتنة الدُّنيا ومن عدوانها

ما انتَ للاوطان الا قطبها ورسول بعثتها ورفعته شأنها
 إن رمتُ احصاء الرجال بربعها ما كنتُ الا العينَ من اعيانها
 أوليتُ بيروت النضيرة بهجة منّتُ بها عطفاً على لبنانها
 اني لاشكر من جميلك أنعماً قد نلتها حاشاي من نكرانها
 كم من يد لك في السخاء ومنحة تستغرق العافين في طوفانها
 تلك اليد البيضاء ما شمتنا يداً لا في سماحتها ولا إحسانها
 نُشرتْ لنعمك الصحائف في الوري فقرأتُ سطر الحمد من عنوانها
 فاسلم وُدُم سوراً لسوريا وسُد ما دامت الدنيا على أركانها
 ونُختم هذا الفصل بذكر ماثرة جلييلة للفيكنت فيليب المشار اليه .
 وهي انه جرد همته لإنشاء محلة يأوي اليها العمال من أبناء الطائفة الذين
 تساعدتهم احوالهم المالية على تعمير بيوت اسكانهم توفيراً لراحتهم وضماناً
 لمستقبلهم . وقد عالج هذه الفكرة زماناً وعجمها حتى وقع اختياره على
 الاراضي الواقعة شرقي « اوتيل ديو » والقريبة من سائر اوقاف الجمعية
 الخيرية ومن الصرح البطريركي السرياني . ثم قصد السيد البطريرك وفاوضه
 في الامر . فأعجب صاحب الغبطة بهذا الرأي المصيب وأثنى على الفيكنت
 النجيب^(١) واشترى البقعة المذكورة التي أصبحت مسكناً لعدد غير يسير من
 أبناء الملة . وما برح هؤلاء جميعاً يطلقون اللسنة بالادعية الحميمة لمن
 اصطنع عندهم هذا الصنع الجميل .

والخلاصة ان الفيكنت فيليب دي طرازي صرف اقواله واعماله
 وامواله في تعزيز كنيسة بيروت وجمعيتها الخيرية منذ نشأتها حتى اليوم . ولم
 يرضَ عليها بكتاباتهِ ومسابيه وبنات افكاره ايضاً . بل نشر المقالات وألف
 التواريخ والقى الخطب ونظم القصائد ورتب الحفلات وسهر الليالي وعانى
 الاسفار حباً لورقي ملته واعلاء شأنها في هذه الديار .

(١) يؤيد ذلك رقيم بطريركي انقذه صاحب الغبطة مار اغناطيوس جبرائيل الاول
 من حلب بتاريخ ٩ نيسان ١٩٣٠ الى الفيكنت فيليب دي طرازي في بيروت .

الفصل السادس

آل طرازي والمقبرة السريانية في بيروت

كما ان السريان لم يكن لهم كنيسة في بيروت يؤدّون فيها فروضهم الدينية كانوا ايضاً لا يملكون مقبرة لدفن موتاهم . وكان الآباء الكبوشيون يرخصون لهم ان يدفنوا امواتهم في مقبرة اللاتين بشرط ان لا يبنوا فوق مدافنهم اضرحة حجرية كاضرحة اموات الملة اللاتينية . وكان آل طرازي يؤدّون للآباء الكبوشيين بدلاً من ذلك مبلغاً من المال سنوياً اعراباً عن معرفة الجميل كما يتضح ذلك من الوصولات المحفوظة حتى الآن وهي موقعة بخط يد رئيس الكبوشيين ومذيلة بنجم ديرهم .

وما كاد يشيد السريان كنيستهم الكاتدرائية عام ١٨٨٣ حتى وافى الاب الكبوشي اندراوس الكبير^(١) لزيارة الكنت نصرالله دي طرازي في منزله . وبعد التحيات والمجاملات المألوفة أبلغه أن مقبرة اللاتين اصبحت ضيقة عن استيعاب موتى هذه الملة فضلاً عن اموات غيرها من الملل . ثم رغب اليه ان يسعى في مشترى مقبرة خاصة بالملة السريانية التي كانت تنمو في ذاك العهد غواً محسوساً . فقابلته الكنت على ذلك بالشكر ووعدته بصرف الجهود التامة لاجابة رغائبه ورفع الثقل عن الملة اللاتينية .

وعلى اثر تلك الزيارة قرّر الكنت طرازي وجوب استقلال السريان بمقبرتهم مثلما استقلوا بكنيستهم . فاستدعى حالاً السمسار نقولا بن جرجس بن مرعب الشنتيري وفوض اليه ان يشتري من مشايخ آل بليبل بستاناً واقعاً على

(١) كان في دير الآباء الكبوشيين ببيروت راهبان يدعيان باسم واحد وهما : الاب اندراوس الكبير والاب اندراوس الصغير . وسبب تلقيبهما بالكبير والصغير تميزاً لاحدهما عن الآخر هو ان اولهما كان طويل القامة سمين البدن بعكس ثانيهما (الذي كان قصير القامة نحيف الجسم .

طريق الشام جنوبي مقابر اليهود والبروتستانت . ولم تنقضى ثلاثة ايام على ذلك حتى جرت رسمياً معاملات البيع والشراء وتمت في المحكمة الشرعية بتاريخ ٦ جمادى الاولى ١٣٠٠ هجرية (١٥ اذار ١٨٨٣ ميلادية) . وتبرع بدفع الثمن مناشئة كل من آل طرازي وشثال وموصلي . ومن شاء زيادة ايضاح عن تاريخ مشترى هذا البستان وكيفية تحويله الى وقف مؤبد من وليه الشرعي الفيكنت فيليب دي طرازي الى « جمعية المساعي الخيرية السريانية » عليه ان يراجع ما كتبناه بهذا الشأن في الفصل السابق .

وبعد مشترى البستان طرأت مصاعب جمّة حالت دون إحداث مقبرة جديدة للسريان في بيروت . فأخذ آل طرازي يعالجون هذه القضية بالغبطة والنشاط والصبر حتى فازوا برغبتهم . على ان القرار في احداث مقبرة جديدة كان يعود الى مرجعين رسميين : أولاً الى محكمة الاستئناف وعلى رأسها القاضي العادل اسمعيل رامز بك نائب الشرع الشريف . ثانياً الى مجلس بلدية بيروت وعلى رأسه الحاج محي الدين حماده ابن السيد الشهير عبد الفتاح حماده . وكان الرئيسان كلاهما من اغزّ اصدقاء آل طرازي لا يتقاعسان عن تسهيل مصالحهم . فعرض آل طرازي عليها مشكلة المقبرة المشار اليها وطلبوا اليها بالحاح ان يملأها بطريقة لا ينجم عنها اجحاف بملتهم . فاوعز اليهم الرئيسان ان يتربّص السريان عن دفن موتاهم بصورة علنية في البستان برهة من الزمان . وأشارا ان يُدفن فيه عددٌ وافرٌ من الفقراء سرّاً تحت جناح الليل . وقرّرا انه حينما يتم ذلك يبادر آل طرازي الى الحكومة طالبين اليها ان تستعرف تلك المقبرة القديمة العهد رسمياً وترخص في تسويرها حرمةً للموتى وصيانةً للصحة العمومية .

فاستحسن آل طرازي رأي القاضي ورئيس البلدية ونفّذوه بتمامه . غير انه تعذّر عليهم ايجاد عددٍ وافرٍ من الموتى الفقراء في ملتهم السريانية التي كانت صغيرة في ذلك العهد بالنسبة الى سائر الملل . اذ لم يكن يتجاوز عدد موتاهم الفقراء ثلاثة او اربعة انفار في السنة . فلجأوا اذ ذاك الى

وسيلة اخرى لبلوغ امنيتهم باسرع ما يكون من الزمان . وهي انهم فاوضوا في هذا الامر كاهناً مارونياً يسمّى الخوري جبرائيل ملحمه^١ الذي كان مؤسساً ومرشداً لجمعية دفن الموتى المارونية . ثم اتفقوا معه على ان ينقل الى المقبرة السريانية جميع الموتى الفقراء والغرباء من ابناء الملة المارونية . وتكفلوا له بتأدية جميع ما ينفق في هذا السبيل من جيبيهم الخاص . فقام الخوري جبرائيل بهذه المهمة خير قيام ودفن في المقبرة السريانية اثنين وثمانين فقيراً مارونياً في مدة السنتين ١٨٨٦ و ١٨٨٧ .

وكان الخوري جبرائيل ملحمه يتقاضى اربعة ريالات مجيدية أعني ثمانين غرشاً ذهباً عن كل دفنة متكفلاً باجرة الحفارين وحاملي الصليب والتابوت . يُضاف الى ذلك ربع ريال مجيدي اجرة سائس للحمار الذي كان يركبه هو نظراً لشيخوخته وهو راجع من الدفن الى بيته . وكان القوم يمتطون في تلك الايام الخيل والجحاش . ذلك قبل انتشار العربات والسيارات كما هو جارٍ في عهدنا الحاضر .

على ان آل طرازي لما رأوا ان عدد الاموات الذين دُفِنوا في مقبرتهم اصبح كافياً لاستيعابها رسمياً طلبوا من المرجعين المارّ ذكرهما اصدار القرار بذلك فنجحوا في مساعيهم . وبعد حصولهم على القرار من محكمة الاستئناف ومجلس البلدية أيّدوه ايضاً في مجلس الادارة عام ١٨٨٨ مديلاً بنجتم علي باشا والي الولاية .

واول عمل أجراه آل طرازي بعد الفراغ من المعاملات الرسمية انهم

(١) كان هذا الكاهن الجليل يُعرف لدى العامة بالخوري جبرائيل ابي شلحي . وسبب نعته بهذا اللقب أن جده جبور ملحمه كان يُعدّ من ابطال عصره . وكانت جريدته دون جريد سائر الفرسان تملّق فوق قلعة جبيل كما روى لنا احد شيوخ بيروت نقلاً عن لسان أجداده . وكان سيف جبور يتأراً يضرب به المثل حتى صار الفرسان يعيّر بعضهم بعضاً بهذه العبارة : « هل سيفك أمضى من سيف ابي شلحي ؟ » ومن ذاك العهد تغلّب لقب « ابي شلحي » على جبّور وعلى سلالة التي تفردت به دون سائر افراد اسرة ملحمه .

اهتموا بتسوير المقبرة من اطرافها الاربعة . ثم عني احدهم الفيكنت فيليب بتخطيطها وتنظيم طرقها وغرس اشجارها وجلب المياه اليها كي تكون لائقة بسكانها الراقدين بالرب . وكان يتعهدا يومياً بلا انقطاع وينفق من جيبه للمحافظة عليها . اما بعض الذين أدرجت تراجمهم ورسومهم في « الذكرى الذهبية » وكان هذا الامر من اختصاصاتهم فقل ما اكتبوا للمقبرة سواء عمرت ام خربت .

وقد نظم الفيكنت فيليب جميع الابيات التاريخية المنقوشة على أضرحه المقبرة بلا استثناء ما عدا ضريح أسرته الخاص . فان التاريخين المنقوشين عليه جنوباً وشمالاً هما من نظم العلامة الشيخ ابراهيم الحوراني . وقد اشار هذا الشيخ في ابياته المحفورة في ناحية الضريح الجنوبية الى مبرات الكنت نصر الله والى شعار^(١) آل طرازي وهو : تاج الحكمة مخافة الرب (ابن سيراخ ١ : ٢٢) قال :

يا ساكن الرمس والآثار شاهدة	بكل ما شئت من مجد وإعزاز
قد كنت في الناس ممتازاً بكل على	وانت في فعل خير خير ممتاز
غزت بالجو فينا كل نائبة	فيلت اكليل نصر ايها الغاوي
مخافة الرب تاج الحكمة ارتسمت	في لوح صدرك حرزاً فوق أحراز
فأنشدت ألسن الاقوام خاشعة	على ضريحك تكراراً بايجاز
يا ديمة الرحمة العظمى مؤرخة	أمي ترى الكنت نصر الله طرازي

١٨٩٥

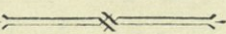
اما ابيات الشيخ الحوراني المنقوشة على الضريح المشار اليه في الناحية الشمالية فهي :

هذا مقام الكنت طرازي الذي في جنة الرضوان أدرك ما قصد
حملته من دار الفناء ملائكة علوية قصدت به عرش الصمد

(١) تيمنت الاسرة الطرازية بهذا الشعار منذ القرن الثامن عشر . ثم أيده (البابا لاون الثالث عشر عندما منح هبدها نصر الله لقب « كُنت روماني » عام ١٨٩٤

فالروحُ عند الله لكن رَمْسُهُ يُسْقَى بدمع الحزن ما طال الأمدُ
 فإذا مررتَ به فقف متخشعاً وقل السلامُ على الذي فيه رَقِدَ
 هُنْتُتَ نصر الله بالصَّرح الذي شِدَّتْهُ للنفسِ في دار الأبدِ
 وعليك خيرُ تحيةٍ ما أرَّخوا وعلى ضريحك رَحْمَةُ الحَيِّ الأَحَدِ

١٨٩٥



الفصل السابع

آل طرازي وأقدم المدارس السريانية في بيروت

تأسست أقدم مدرسة سريانية في بيروت عام ١٨٢١ بهمة السيد
 كورتس انطون دياربكرلي مطران هذه المدينة . وتعهده المقدسي انطون
 طرازي بدفع اجرة مكانها السنوية تسهيلاً لنجاحها واسعافاً لمنشئها . وكانت
 تلك المدرسة واقعة في محلة « الكراويا » كما ورد في الصفحة ٤٠٤ من
 كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابريشيات السريانية » . ويستخلص من
 الوثائق الخطية المصونة لدى آل طرازي أن سليمان نصر الله وشقيقه نعمة الله
 تلقنا فيها مبادئ العلوم . وقد استغرق عمرها عشرين حولاً ولم تقفل ابوابها
 الا بوفاة منشئها عام ١٨٤١ .

(١) كانت محلة « الكراويا » تشتمل في ذلك العهد على البقعة الممتدة الآن من شارع
 الامير بشير شمالاً الى شارع ناصيف البازجي جنوباً ومن شارع الشام شرقاً الى شارع سوريا
 غرباً . وهي اول محلة تناولها العمران خارج سور بيروت بعد ما ضاقت المدينة العتيقة
 عن استيعاب سكّانها . واصبحت محلة « الكراويا » هذه حافلة بمنازل الاعيان لتوفر مياهها
 دون سائر انحاء بيروت . لان مياه راس النبع كانت متصلة بها فكانت توزع على البيوت
 والمعابد والحمّامات والسبل العامة الخ . ذلك ما حمل راهبات المحبة وجميع الملل المسيحية
 وغير المسيحية على تشييد الاديوار والكنايس والجوامع في « الكراويا » وفي الاراضي
 المجاورة لها ضمن السور . ولبثت هذه المحلة لا تمتازعها محلة اخرى حتى جرت مياه نهر
 الكلب عام ١٨٧٤ الى بيروت . فكان ذلك من اقوى الدواعي لاتساع نطاق هذه
 المدينة وانتشار العمران في جميع انحاءها الواقعة خارج السور .

اما المدرسة الثانية فقد أنشأها عام ١٨٥٣ المطران ديونوسيوس يوسف سمحه بتنشيط المقدسي انطون طرازي المشار اليه ومساعدته . فعاشت ستة اعوام فقط كما أيد ذلك صاحب « السلاسل التاريخية » في الصفحة ٢٣٧ . وظلت مدينة بيروت الى مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر لا تحتوي الا على كتاتيب يتلقى فيها صغار الاولاد العلوم الابتدائية . واول من برز في انشاء مدرسة نظامية للعلوم العالية واللغات العصرية كان المعلم بطرس البستاني صاحب « المدرسة الوطنية » عام ١٨٦٣ . وفي تلك السنة عينها أنشئت مدرسة « الثلاثة الافار » للعملة الارثوذكسية . ثم ابنتى البطريرك غريغوريوس الاول عام ١٨٦٥ مدرسته البطريركية . وفي السنة ١٨٦٦ أسس المرساون الاميركيون الكلية السورية الانجيلية التي تعرف اليوم باسم « الجامعة الاميركية » .

على ان السريان بالرغم من قلة عددهم لم يروا ان يتخفوا في تلك الحقبة عن سائر الملل في تأسيس مدرسة عصرية لتهديب الناشئة البيروتية . ولا سيما لانه كان يتولى خدمتهم الروحية في ذلك العهد كهنان من اجل كهنة الشرق ثقافة وعلماً وفضلاً : احدهما الخورفسقوس يوحنا معمارباشي كاتم اسرار البطريركين اغناطيوس انطون الاول واغناطيوس فيلبس الاول . والآخر القس لويس صابونجي تلميذ مدرسة بروغندا في رومة صاحب التصانيف المشهورة والمواقف الماثورة . فهذان الابوان بعد ما فاوضا كبير اعيان الملة الكنت نصرالله دي طرازي واستطلعا رأيه في هذا الشأن قرّر ثلاثتهم انشاء مدرسة نظامية تعدّ ثلاثة المدارس التي اقامها السريان في بيروت في القرن التاسع عشر . وجعلوا تدريس اللغات العربية والسريانية والفرنسية اجبارياً واللغات اللاتينية والايطالية والانكليزية والتركية اختيارياً .

وكان الكنت نصرالله دي طرازي اعظم مساعد لهذين الكاهنين قولاً وعملاً . فانه خصّص بها على نفقته داراً لسكناهما ومكاناً فسيحاً

للمدرسة مجاوراً لداره في محلة خندق الغميق . وراح يحث جميع اصدقائه على ارسال اولادهم لاقتباس المعارف في هذا المكتب الجديد . وقد جرى افتتاحه بتاريخ ١ تشرين الاول ١٨٦٥ والقي القس لويس في قاعته خطاب الترحيب مشفوعاً بقصيدة عصماء من نظمه .

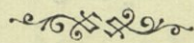
واشتهرت هذه المدرسة لدى الخاص والعام بمن تخرج فيها من العلماء والاعيان وحمله الاقلام . نخص منهم بالذكر : الكنت انطون ابن الكنت نصرالله دي طرازي وشقيقه سليم . وانطون بك شحيد رئيس شركة مار منصور دي پول الخيرية ورئيس محكمة تجارة بيروت سابقاً . ونجيب بك بولس طراد ترجمان قنصلية ايران سابقاً . وسليم شلفون من قدماء محوري الصحف في بيروت والاسكندرية . ونذكر منهم ايضاً صبحي بك وشوكت بك وحشمت بك النجال كامل باشا متصرف بيروت الذي صار بعد ذلك صدرًا اعظم في دار الخلافة العثمانية . وتخرج فيها عددٌ وافر من الطلبة غير من ذكرنا لا يتسع المجال لسرد اسمائهم .

واستمرت علائق الولاء والوفاء غير منقصة بين الاستاذ صابونجي وطلبته على رغم تشتتهم في مختلف البلدان . فكان يحن اليهم ويراسلهم ويراسلونهُ كما يتضح ذلك من قصيدة نظمها لتلميذه القديم الكنت انطون دي طرازي عام ١٨٩٤ وأرسلها اليه من جزيرة الامراء قال في مطلعها :

والى حماك سعى قريضي وافداً	الشوق مني أم دارك قاصداً
متذكراً ذاك الزمان البائداً	من مشرق البسفور أقرئك الثنا
هياتِ ننظرهُ الينا عائداً	زمنٌ بيروت الفتاة قضيتُهُ
من بات في حلك المقابر راقداً	زمنٌ له في مهجتي أسفٌ على
أعتدُّهم في المكرمات فراقداً	زمنٌ عرفتُ به افاضل بلدة
ألفيتُ فيها الكلَّ شهماً ماجداً	زمنٌ يذكرني بأسرتك التي
كنت المجاني بينهم والسائداً	لا شيء يُنسني تلامذتي الألى

أحرزت ناصية الذكا والنبل بل فيهم سموت فضيلة ومقاصدا
 حقت آمالي قلبي اليوم من طرب وإسعاد غدا متايذا . . .
 وواصلت هذه المدرسة تعليم اللغات والقاء الدروس على طلبتها الكثيرين
 مدة سبعة اعوام . ولم تقفل ابوابها الا عندما باشر القس لويس صابونجي في
 ١٣ آب ١٨٧١ رحلته الشهيرة حول الكرة الارضية . وهو اول رحالة من
 آل سام بن نوح أتيح له هذا الطواف فأنشد فيه الايات الآتية :

اني انطلقت أجوب انحاء الورى متفقدا اهل البسيطة ناقدًا
 سافرت مغتربا وشهرة جواتي غت بها اهل البلاد نشائدا
 ما طاف من أبناء سام طائف قبلي ولا مثلي أجاد وشاهدا
 في الحافقين رحلت رحلة عالم يحلو الغوامض راشدا لا شاردا
 جبت البلاد سهولها وجبالها وبها شهدت محافلا وموائد
 وطرقت أسواق المدائن كلها ما كان منها رائجا او كاسدا
 قابلت من بعض الشعوب ملوكها وحضرت في أقصى الجهات مشاهدا
 جالست أقطاب المذاهب باحثا فعرفت أمرارا لهم وعقائدا
 ولذا تحريت الكنائس جلها فصوامعا فعبدا فمساجدا
 كيف اتجهت من الصباح الى المساء كان الاله مساندا ومساعددا
 سميت في عرف الملا جوالا جوابة في كل قطر رائدا
 لما انتهيت كتبت قصة رحلة فيها نشرت من الرسوم قلائدا
 اني بعثت بنسخة منها لكي تبقى وقائعها لديك^١ شواهدا



(١) اشار الناظم هنا الى الكنت انطون دي طرازي الذي اليه ارسل هذه الفصيدة .

الفصل الثامن

آل طرّازي ومجلة «النحلة» والمطبعة السريانية في بيروت

برز القس لويس صابونجي بين علماء عصره بمعرفة أهم اللغات الشرقية والغربية . وامتاز باستقلال الفكر وحب التجسّد وتنشيط الفنون وبعض الاختراعات التي تنطق بذكائه وطول بابه^١ . وقد اتضح له ان أنجع طريقة بعد المدارس لترقية الشرق هي تعزيز الصحافة التي كانت حين ذاك في اول عهد تكوينها . فانشأ بتاريخ ١١ ايار ١٨٧٠ مجلة «النحلة» التي أحرزت مقاماً رفيعاً في عالم الادب لوفرة أبحاثها وشهرة مؤسسها العلامة .

ولما كان هذا المشروع لا ينهض الا بالمال فقد اعتمد القس لويس على صديقه الكنت نصرالله دي طرازي في تحقيق أمنيّته . فلبى الكنت رغبته وأمدّه لساعته برأس مال كاف لما عهد فيه من الكفاءة الصحافية والحمية على نشر العلم . على ان مساعدة الكنت المادية لمنشئ «النحلة» لم تكن باقل من مساعدة الادبية . فانه بذل الجهود في نشر تلك المجلة بين أعيان البلاد الشرقية وتجارها وأدبائها . وصرف المساعي في ترويجها ايضاً في كثير من أنحاء اوروبا بواسطة شقيقه نعمة الله طرازي في مرسيليا وفتح الله طرازي في منشستر .

أوجزنا الكلام عن مجلة «النحلة» والآن نتطرق الى ذكر المطبعة السريانية في عاصمة الجمهورية اللبنانية فنقول :

لما ارتقى البطريرك مار اغناطيوس افرايم الثاني الى السدة الانطاكية سنة ١٨٩٨ وقرّر الإقامة في بيروت أراد ان ينصرف الى نشر المعارف وتعزيز الآداب الآرامية . فرأى ان افضل وسيلة لتحقيق هذه الفكرة هو تأسيس

(١) راجع ترجمته في «تاريخ الصحافة العربية» للفيكننت فيليب دي طرازي مجلد ٢ :صفحة ٧١-٨١ وطالع اخبار مجلته «النحلة» في الصفحة ٤٧ الى ٥١ من الكتاب عينه .

مطبعة ينشر فيها المؤلفات العائدة بالفائدة على الملة السريانية . وكان انشاء المطابع في عهد الدولة العثمانية لا يتم الا برخصة رسمية من الباب العالي بعد اجراء المعاملات القانونية في مركز الولاية اولاً ثم في عاصمة السلطنة . فبعد التفكير رأى السيد البطريك الموماً اليه ان الرجل الوحيد الذي يستطيع التعويل عليه في تأدية هذه الخدمة العلمية هو الفيكنت فيليب دي طرازي . ذلك نظراً لثقافته العالية ووجهته عند الناس وغيرته على الملة وصداقته مع الحكام . فطلب منه ان يسعى في نيل الامتياز بمطبعة يُطلق عليها اسم « المطبعة السريانية » للغاية الآتفة الذكر .

فما كان من الفيكنت الا أن أجاب بكل رضى الى رغبة السيد البطريك ورفع استدعاءً في ١٩ تموز ١٨٩٦ الى وزارة الداخلية يطلب فيه امتيازاً سلطانياً بالمطبعة المذكورة . ولم ينقض الشهران على تقديم هذا الاستدعاء حتى وردت براءة الامتياز على يد رشيد بك والي بيروت . وبعد تهيئة اكثر المواد اللازمة لمباشرة الاشغال رأى السيد البطريك والفيكنت ان الحكمة تقضي بالتربص عن اخراج هذا المشروع الى حيز العمل . خصوصاً لان ارباب المطابع كانوا يعانون حين ذاك المصاعب الكثيرة بداعي المراقبة الشديدة على المطبوعات في الدولة العثمانية .

وبعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ في اواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني تبدلت الاحوال وأطلقت الحرية للمطبوعات . فصرف السيد البطريك نظره عن مطبعة بيروت وحصر اهتمامه في تعزيز مطبعة دير الشرفة وتحسينها وتوسيع نطاقها . ثم اضاف اليها آلتين للطباعة مع حروف جديدة سريانية وعربية وافرنجية . وظل ينشر فيها كتباً ذات شأن في اللغات المذكورة حتى السنة ١٩٢٥ . فأنشأ مطبعة جديدة في بيروت وجعل مركزها في دار اشتراها بجوار كنيسة مار جرجس . وفي هذه المطبعة نشر مجلته البطريكية المعروفة بعنوان « الآثار الشرقية » التي عاشت اربع سنوات وتوارت بعد وفاته رحمه الله تعالى .

القسم الثاني

آل طرّازي واحبار الملة السريانية

الفصل الاول

آل طرّازي وضيافتهم لاحبار ملتهم

امتاز آل طرّازي منذ قديم الزمان بعواطف الاحترام ووافر الاجلال لاحبار ملتهم السريانية . وبذلوا في سبيل تعزيز مقامهم لدى الخاص والعام كل ما امكنهم من النفوذ والجهود والتضحيات . وقد تشرّبوا هذا الروح الطيب من والده جدّهم الياس طرّازي (١٧١٥-١٧٩٢) بن بطرس طرّازي الثاني . اعني بها السيّدة مَرْوم ابنة القس شكرالله نشاد وخالة السعيد الذكر مار اغناطيوس ميخائيل الثالث (جروة) البطريرك الانطاكي (١٧٨٢-١٨٠٠) . وهذه صلات القربى المتينة وثقت عرى الالفه والصداقة بين أُسرتي طرّازي وجروة النبيلتين والكريمتي المحدث . وحملت الياس طرّازي المومأ اليه على بذل النفس والنفس لابن خالته البطريرك ميخائيل المغبوط في مشاريعه العظيمة وملّماته الوافرة التي يعرفها كل من له الملم باخبار الملة السريانية الكاثوليكية . وقد اتصل بالحبر الاعظم البابا بيوس السادس (١٧٧٥-١٧٩٩) خبر تلك العوارف المشهورة فأنعم في ٢٨ آب ١٧٨٥ على مصطنعها الياس المشار اليه بنوط «المهّاز الذهبي» مكافأة له على غيرته

النادرة ومزايه' الفريدة . وما برحت براوة ذلك النوط الشريفة مصونة حتى اليوم عند سلالة كذخيرة ثمينة . وفيها يصف خليفة مار بطرس ذلك الرجل « بالمحسن الوافر السخا . لكنيسته والجندي الباسل المتطوع لحرارة كرم الرب وخدمة الاعمال الصالحة منذ حداثة » .

وقد ورث آل طرازي تلك العواطف الشريفة والعوارف الحسنة خلفاً عن سلف حتى تجلت باعظم مظاهرها في جدّهم انطون الذي نزح الى بيروت كما ذكرنا آنفاً . فانه جعل منزله فيها محطة لرحال البطارقة والاساقفة منذ السعيد الذكر مار اغناطيوس ميخائيل الرابع (١٨٠٢-١٨١٠) خليفة مار اغناطيوس ميخائيل الثالث (جوة) الى البطريرك مار اغناطيوس سمعان الثاني (١٨١٤-١٨١٨) الى البطريرك مار اغناطيوس بطرس السادس (١٨٢٠-١٨٥١) الى البطريرك مار اغناطيوس انطون الاول (١٨٥٣-١٨٦٤) الى البطريرك مار اغناطيوس فيلبس الاول (١٨٦٦-١٨٧٤) الى البطريرك مار اغناطيوس جرجس الخامس (١٨٧٤-١٨٩١) الى البطريرك مار اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٣-١٨٩٧) الى البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨-١٩٢٩) . ذلك كل مرة يَمُوموا بيروت غادين وراحين وانطلقوا الى دير الشرفة او الى عاصمة الكشاكسة او الى عاصمة السلطنة او الى بلاد اوربة . وكثيراً ما صادف ان البطريرك الانطاكي وجميع مطارنته مع حاشيتهم^١ حلّوا ضيوفاً أغزاء في وقت واحد على آل طرازي كما جرى الامر

(١) عثرنا في الجزء الرابع من « العقد الثمين » على رسالة رقيقة للشمّاس دانيال الموصلي الذي ارتقى الى الكرامة الاسقفية باسم قرّس بولس دانيال (١٨٩٤-١٩١٦) على دارا شرفاً . وقد وجهها بتاريخ ١١ شباط ١٨٥٤ من دير الشرفة الى انطون طرازي يشكر له ضيافته . وكان هذا الشمّاس قائماً بخدمة البطريرك مار اغناطيوس انطون الاول اثناء حلوله في دار آل طرازي قال :

« ... وصلنا الى دير الشرفة يوم السبت صحبة غبطة السيد البطريرك الجزيل الطوبى والسيد يعقوب (حلياني) المحترم بالخير والسلامة . وما صعب علينا سوى فراقكم العزيز . نسأله تعالى ان يمنّ علينا بمشاهدة حضرتكم وانتم موجودون بكامل الافراح

لدى انعقاد المجامع الطائفية في دير الشرفة عام ١٨٥٣ و ١٨٧٤ و ١٨٨٨
ومجمع حلب عام ١٨٦٦ والمجمع الواتيكانى عام ١٨٧٠ الخ الخ . وكانت
السيدة كاترين^١ تضاهي زوجها انطون طرّازى بكرمها ولا تقل عنه تأهيلاً
باولئك الائمة اثناء اقامتهم في دارهما على الرحب والسعة .

ويطول بنا المجال لو رمنا ان نسرّد ههنا اسما سائر ابحار الطائفة
السيرانية الطيبي الذكر الذين يربو عددهم على العشرين وقد حلّوا ضيوفاً في
تلك الدار المباركة في ازمّة مختلفة . نذكر منهم : السادات كوارتس
انطون الدياربكرلي . ويوليوس انطون الدياربكرلي . وديونوسيوس
ميخائيل هدايا . وكوارتس يوسف حائك . وديونوسيوس يوسف سمّنة .
واقليميس بولس صعب . وايونيس متى نقار . وغريغوريوس يعقوب حلياني .
وفليمانس بطرس متاح . واثناسيوس رافائيل جرخي . وايونيس ايليا عتمة .
واوسطاثيوس افرام تكمجى . وغريغوريوس جرجس شاهين . ويعقوب
متى احمدقنه . واقليميس يوسف داود . وثئوفيلس انطون قندلفت .
ويوليوس باسيل قندلفت . وماروثا بطرس طوبال . وقراس بولس دانيال .
وغريغوريوس عبد الله سطوف الخ الخ . وهذه رسائلهم التي ضمّنها آيات
الشكر والثناء وانفذوها بخطوط أيديهم الى عميد الاسرة الطرازية وانجالة
واحفاده من بعده هي أقوى برهان على ما نقوله . وما برحت تلك الرسائل
محفوظة بكل اجلال في خزائن تلك الاسرة الكريمة اعني لدى الفيكنت
فيليب دي طرّازي . وهي تحتوي كما قلنا غير مرة على احد عشر مجلداً
ضخماً عنوانها : « المقدّ الثمين في رسائل الآباء الى البنين » .

ويسمعنا عنكم اخبار الفرح والسرور التي تبهجنّا . فحينما تتذكّر محبتكم ومودتكم
ولطفكم وأنسكم وافضالكم علينا في هذه المدّة التي استقمناها عندهم نسأل الله ان
يعوّض عليكم عوض الواحد مئة . وتنالون منه المكافأة عتاً روحياً وجسدياً وتكون
داركم عامرة وتسكنون فيها بالفرح والسرور طول ايام حياتكم

(١) راجع ما كتبناه عن هذه السيدة الفاضلة في صدر الفصل الثالث من القسم
الاول تحت عنوان « آل طرّازي وبناء كنيسة بيروت وقلّاتها »

ففي تلك المجلدات التاريخية الضخمة يرى القارئ الوفاً من رسائل البطارقة والمطارنة والكهنة والاعيان . وكلها تشتمل على مدح الاسرة الطرازية والاقرار بماًتيها المشكورة في سبيل الامة السريانية لا في بيروت فحسب بل في جميع الابريشيات . والى القارئ اللبيب نتفأ من الاوصاف التي اطلقها اولئك الاحبار النبلاء في رسائلهم على عميد آل طرازي الكنت نصرالله الخالد الاثر . فقد سموه بكل عدل واستحقاق : « شيخ الطائفة السريانية وكبير اعيانها وعمادها — مصباح الطائفة المنير في الآفاق الشامية — الرجل المنقطع النظر والمحلى بفرائد الاوصاف — رأس الطائفة السريانية في بيروت وفي كل موضع — فخر الطائفة السريانية بأسرها بل فخر النصرانية قاطبة — المولى الجليل رفعةً وقدرًا — المفطور على الشيم الكريمة النادرة الوجود — صاحب الفضل المندفق المفرق — صاحب اليد البيضاء التي تعاو على كل يد — ذا النفس المشهورة بالسخاء والمروءة والوفاء والبر والاحسان — ذا النفس النجيبة الجليلة التي فاقت الاولين والآخرين في الجود والكرم مما لم يُسمع مثله في الاخبار ولا قرأ احدٌ مثاله في الاسفار — مَنْ حُبّه وكرمه قد استعبد القلوب والنفوس — مَنْ بلغ كرمه حدًا يقف دونه كلٌ وصف — المميز بحامد ومكارم لم يسخُ الله بها الا على من حكم بتشريفهم على عامة الخلق في أعلى طبقة — الدرّة اللامعة في هامة الطائفة السريانية الخ الخ .

وكانت منزلة الكونتس منة كمنزلة قرينها الكنت نصرالله في عيون أخبار الملة السريانية . فانها كانت في ضيافتها لهم تعتي عناية وافرة بشؤونهم وتسهر على راحتهم سهر الابنة الوفية على راحة والديها متفئنة في تأدية فروض الضيافة وضروب اللياقة لهم بما فطرت عليه من السخاء واللطف والمناقب الفريدة . ولذلك نرى جميع الرسائل التي وجهها اولئك الاحبار الى الاسرة الطرازية طافحةً بعبارات الشناء وعواطف الاجلال والشكر لهذه الكونتس الفاضلة . وعلى سبيل المثال نورد فقرةً من رسالة كتبها

بخط يده الحبر العلامة اقليميس يوسف داورد رئيس اساقفة دمشق الى الكنت نصرالله دي طرازي في ٢ شباط ١٨٨٢ ودبجها بهذه العبارات الرقيقة قال :

« ... ولم ازل منذ ساعة الرحيل الى الآن اهذب بما حُزته لديكم في ايام اقامتي السعيدة في داركم العامرة من الترحاب والتكريم والاعزاز والتفضل الذي جعلني غارقاً كالعادة في بحر جودكم ... فما لي الا ان أُعيد على الدوام الادعية الحارة القلبية بدوام ذاتكم الشريفة فخراً لي وللطائفة السريانية بأسرها بل للامة النصرانية قاطبة . واني لا أنسى ما صنعته معي السيدة قرينتكم الجليلة الخاتون منة امي الكريمة . نعم لا يستحق غير هذه الخاتون الجليلة هذه التسمية مني كما سمعت من في يوم كنت عندكم » .

وكتب المطران عينه ار الكنت دي طرازي في ٩ تشرين الثاني ١٨٨٤ قال :

« اما بعد افخر السلام الابوي وأوفر الدعاء القلبي مع جزيل الاكرام والاجلال فبدعائكم وعونه تعالى وصلت الى مقر سكنائي وكسي رعايتي (بدمشق) . وانا منذ ساعة فرقتكم المرة ألهج في قلبي وكل جوارحي بما شاهدته وسمعتُه ومسته لديكم من آيات الكرم واللفظ والمجد التي تجلّ عن كل وصف ويحار بها كل عقل . فسبحان الكريم اللطيف المجيد الذي لاظهار علو كرمه وسمو لطفه وجلال مجده احب ان يخص بصفاته هذه الفاتحة اشخاصاً سعداء من بني آدم يتعظم بهم اسمه تعالى دون سائر خلائقه . ويا ما اندرهم وما اعزهم وما اشرفهم ! وكيف لا أودّي لكم ولدويكم الكرام هذه الشهادة وان ما صنعتوه معي في مدة اقامتي السعيدة القصيرة لديكم يحلّ عن كل شكر وكل ثناء ؟ وكيف يمكنني ان لا اقابل جليل المعروف بجليل الشكر وأحجم عن ذكر أوصافكم السامية وخلالكم النادرة وفضائلكم الشريفة التي يعترف بها كل قلب

ولسان وأقصر في المناداة بها بين الملائكة في كل ناد؟ وكيف استطيع ان انسى آيات الكرامة التي تسطع في بيتكم الميمون منبعشة من شمس نفسكم النيرة الى كل من فيه بل الى كل ما فيه حتى كأن الكرامة قد تلبسته وتحرقته بما فيه من كل ناحية؟ جعل الله هذه الشمس منيرة على الدوام عوض العائضين لبهجة الامة السريانية على الخصوص والجنس البشري على العموم وفخرهما «

على اننا لو شئنا سرد امثال هذه الرسائل في هذا الفصل لطلال بنا المجال جداً . انما نكتفي باثبات فقررة من رسالة انفذها البطريك مار اغناطيوس بهنام الثاني من الموصل بتاريخ ١٩ كانون الاول ١٨٩٦ الى الفيكنت فيليب . ذلك على اثر حلول المطران غريغوريوس عبد الله سطوف^١ ضيفاً في دار آل طرازي قال :

« ... اخبرتنا عن حلول الاخ السيد عبد الله الموقر ضيفاً كريماً في داركم العامرة . الا انكم لم تشاؤوا ان تتيحوا بما كان منكم من تجاوز حدود المروءة والكرم . فلقد وردتنا منه تشكرات عظيمة لجميع افراد عائلتكم المباركة بشأن معاملتكم الطيبة الفائقة الحد معه الخ . فعلى ما لاحظنا من كتابه انكم قد ادهشتم عقله بما أبدىتموه من المكارم والفضل ومبادئ التدبّر والفضيلة ولطف الاخلاق حتى اضحى عاجزاً عن وصف كل ذلك . وهذا ما زادنا طرباً وسروراً واستدعى مضاعفة ثنائنا ومدحنا وامتناننا لكم . فإله نسأل ان يصونكم بيمينه ويوتيكم بركاته السهاوية وسائر النعم والبطايا الالهية ... »

وما قلناه عن ضيافة آل طرازي لاحبار ملتهم يصدق على كرم ضيافتهم لسوى ارباب الطعمة الكهنوتية ايضاً . ومن هذا القبيل نورد ابياتاً ارتجلها الشاعر الحلبي نصر الله طرابلسي عندما كان هو وبعض الادباء ضيوفاً في

(١) ارتقى السيد عبد الله سطوف الى السدة الانطاكية على السريان اليعاقبة بتاريخ ١٩ آب ١٩٠٦ في دير الزعفران . وحلت وفاته في دير مار مرقس باورشليم سنة ١٩١٦

دار المقدسي يوسف طرّازي (١٧٨٥—١٨٤٥) ابن المقدسي نصرالله طرّازي
(١٧٥١—١٨٠٨) قال :

ان شئت تلقى المكرمات وأهلها فالكل أصبح ضمن هذي الدائرة
واذا تحرّيت الضيافة فهي في دار ابن نصرالله دوماً دائرة
فصديق هذي الدار عزّ مكانة وعدوها دارت عليه الدائرة

ونختّم هذا الفصل بآيات قصيدة نظمها الشيخ نوفل الخازن في الشاء
على اريحية ميخائيل طرّازي (١٨١٨—١٨٨٠) وكرم ضيافته قال :

في صبوتي يوماً دُعيت الى السّفر فشَدْتُ رَحْلَ مطيّتي عند السّحر
يَمُتُّ دار العلم بيروت التي قرّت برويتها البصيرة والبصر
فيها لقيتُ أحبةً ثَبَتُوا على عهد المودة والوفاء من الصّغر
وفدوا عليّ يَسْلَمُونَ وجلّهم في أطيب الحالات ألا ما نَدَرَ
أكرم بميخائيل طرّازي تسا مى بالنهى فيهم وبالادب اشتهر
شهمُ نسا من عترة حليّة برجالها الفضلاء لبنانُ افتخر
شهمُ لاسرته قديمُ علاقة بأبي وجدي منذ قرنٍ قد عبّر
أُفِيَتْ منه في المجالس عِزّة شهدت بها أهل الحضارة والوبر
بل نلتُ حسن ضيافة في بيته عن جودها حدّثتُ ما شاء القدر
في حلبة الاحسان أسبق فارس نعتدهُ والحُبُّ عندي كالخُبْر
حسناته في السرّ لا تخفى كما في الليلة الدهماء لا يُخْفِي القَمَر
وبكلّ مسألة تولّاهما نرى اكلامه الرأي الحصيف المعتبر
له في القلوب محبةٌ ومكانةٌ فهو الأبي الحازم السَّمْعُ الأغر
وله نسجل كل يومٍ مِنّةً في منّة تبقى مخلّدة الأثر
يسمى القريضُ الى حمّاه صاغراً واصوغ في شكرانه أغلى الدُرر

الفصل الثاني

آل طرازي وتعظيمهم لاحبار ملتهم

لا نرى عبارات تنوّه بتعظيم آل طرازي لاحبار ملتهم السريانية أفصح وأبلغ ممّا كتبه في هذا الصدد السيد البطريك مار اغناطيوس بهنام الثاني الى المطران ثيوفيلس انطون قندلفت نائبه في بيروت بتاريخ ٢٦ اذار ١٨٩٥ قال :

« اننا عندما تسلمنا لقب « الكنيّة » لحضرة الكنت نصرالله دي طرازي كانت غايتنا ورغبتنا ان نرى هذه العائلة الفاضلة الجليلة النبيلة المقدّمة في رأس طائفتنا قد ارتفع مقامها . فيعود ذلك علينا موضوع المسرة والمباهاة . على ان حضرة الكنت وعموم عائلته قد ادّوا لنا من الاعزاز واکرام المشوى ما يفوق الوصف كما هو معلوم مشهور في بيروت . وليس ذلك من باب المكافأة فانهم في كل وقتٍ وأنّ ادّوا لايمة طائفتنا ولاسيما لشخصنا مزيد الاكرام والاجلال . وقد شاهدنا منهم جميعاً من حسن التدبّر وروح التقوى والاخلاص البنوي والغيرة على الطائفة ما أترعنا حبوراً . وان احببتم ان تزيدكم علماً بهذا الشأن فانهم علاوة على ما تفضلوا به علينا مدة ضيافتهم لنا فقد قدّموا لنا حين مبارحتنا ايّاهم مبلغ ثلاثة آلاف فرنك (ذهبيّة) هديّة منهم لشخصنا وقبلنا ذلك بغاية الشكر . . . »

وفي الحق ان آل طرازي لم يدعوا فرصة الا اتخذوها لابداء مظاهر اجلالهم وعواطف احترامهم لاحبار ملتهم النبلاء . بل لم يذدخروا وسيلة الا تذرّعوا بها حباً لتعزيز ملتهم السريانية ورفع شأنها في كل صوبٍ وناحية . يتضح ذلك من الدعوات والضيافات والولائم المتواترة والاحتفالات والتكريمات المستمرة التي اقاموها في دارهم لاولئك الاحبار مدة تزيد على قرن كامل . هذا ما عدا اهتمامهم المتواصل بتسهيل مصالح اولئك الرؤساء لدى الحكومة توثيقاً لعرى الصداقة بينهم وبين الولاة العثمانيين .

واذا ضربنا الصفح عن تعداد ذلك كله بالتفصيل فلا يسعنا السكوت
 عما بذله آل طرأزي من الجهود على مرأى ومسمع منا لدى الاحتفال العظيم
 باليوبيل الاسقفي الفضي (١٨٨٧-١٩١٢) للسيد البطريرك مار اغناطيوس
 افرام الثاني ويوبيله الكهنوتي الذهبي (١٨٧٣-١٩٢٣) والبطريركي الفضي
 (١٨٩٨-١٩٢٣) . فانهم بالاتفاق مع سيادة الحبر الموقر المطران اقليميس
 ميخائيل نجاش ألقوا لجنة رسمية في بيروت لتهيئة معدات اليوبيلات
 المذكورة وتنظيم احتفالاتها كما يليق بشرف الملة ومقام بطريركهم المعبوط
 المحتفى به . ثم راسلوا جميع الابريشيات السريانية واستنهضوا المهنم الاشتراك
 في هذين المهرجانيين الطائفيين اللذين لم يسبق لهما مثيل في تاريخ الملة . وقد
 وافى الوفود زرافات من جميع المدن ورفعوا الهدايا تترى الى صاحب اليوبيل
 واعربوا لغبطته عن وثيق تعلقهم به وشديد اعتبارهم له .

واذا رمنا ان نخصص الكلام بالفيكنت فيليب عميد الاسرة الطرازية
 الآن قلنا انه حرسه الله قد تغانى في سبيل رقي الملة تغانياً كتب له اجل تذكار
 في قيودها . فانه اغتم الفرص في ازمنة مختلفة واحوال متعددة للاعراب
 عن شعوره الرقيق واخلاصه الحميم لاحبار الملة وكهنتها ووجهائها بل لكل
 فرد من أفرادها . فقد القى الخطب الرنانة في قلاية بيروت مثرماً على من
 استأثر بهم الله تعالى او مهتماً من ارتقى منهم الى الذروات المقدسة . فهو
 الذي آتب السيد اغناطيوس جرجس الخامس عام ١٨٩١ والسيد اغناطيوس
 بهنام الثاني عام ١٨٩٧ والسيد اقليميس يوسف داود عام ١٨٩٠ والسيد
 ثيوفيلس انطون قندلفت الذي توفي عام ١٨٩٨ في دير الشرفة . وأبن
 كذلك في ١٢ شباط ١٨٩٢ المرحوم الياس بن ميخائيل موصلي احد المحسنين
 الى كنيسة مار جرجس ببيروت .

اما قصائد التهانى التي نظمها هذا الفيكنت وأنشدها في احتفالات
 مختلفة فكثيرة جداً . نذكر منها قصيدتيه اللتين لفظهما في حفاتي استقبال
 السيد البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس ووداعه . وقصيدته في تهنئة

السيد البطريرك المشار اليه لما وردته الطغراء الهمايونية في ٢٠ نيسان ١٨٨٧ من السلطان عبد الحميد . وجرى للترحيب بها في قلالية حلب احتفال شائق . وقد ناب عن الفيكانت في انشادها السيد المطران ثيوفيلس انطون قندلفت وهذا مطلعها :

برزت قميس بظهور وضاء وبدت تقيع بعزّة وسناء

ثم نذكر قصيدة تهنئته للسيد ثيوفيلس انطون قندلفت يوم ارتقائه في كنيسة بيروت عام ١٨٨٦ الى الكرامة الاسقفية . وقد انشدها الناظم في دار آل طرازي حيث جرى استقبال وفود المهنتين على اثر السيامة المقدسة . ونذكر ايضاً قصيدته في تهنئة مار اغناطيوس بهنام الثاني بارتقائه عام ١٨٩٣ الى العرش البطريركي في كنيسة الطاهرة بالموصل . وقصائده المستبدعة في تهنئة مار اغناطيوس افرام الثاني يوم تبوئه السدة الانطاكية عام ١٨٩٨ في كنيسة ماردين . وخطبتيه النفيستين اللتين افتتح بهما يوبيلي السيد البطريرك المشار اليه اعني اليوبيل الاسقفي الفضي عام ١٩١٢ واليوبيل الكهنوتي الذهبي والبطريركي الفضي عام ١٩٢٣ السابق ذكرهما . وقد كان لدينك الخطابين اجمال وقع في جميع الابريشيات السريانية .

ونضيف الى ما تقدم تواريخ شعرية نظمها الفيكانت فيليب عينه في مواضيع طائفة شتى أخصها :

- ١ : لبناء كنيسة مار جرجس ببيروت . ٢ : لتأسيس جمعية المساعي الخيرية السريانية . ٣ : لضريح المطران اثناسيوس روفائيل جرخي في بغداد . ٤ : للبطريرك اغناطيوس بهنام الثاني عند جلوسه البطريركي وحينما أهدي اليه الوسام العثماني الاول . ٥ : لضريح أسرة شقال في بيروت . ٦ : لضريح جرجي بري صابونجي في بيروت ايضاً . ٧ : للبطريرك اغناطيوس افرام الثاني حين تبوئه العرش البطريركي وفي تذكّار عيده الشخصي . ٨ : لمجمع الشرفة العقود سنة ١٨٨٨ . ٩ : لبناء كنيسة حماة .

١٠ : لتشييد صرح البطريك كية السريانية في بيروت . ١١ : لضريح آل مدور في بيروت .

وما عدا ذلك فانه نظم كثيراً من القصائد والمقطعات والتواريخ الشعرية لعددٍ صالحٍ من ابحار الملة السريانية وعلمائها وكرامها في احوال مختلفة . نكتفي منها بذكر بيتين نظمهما لغبطة السيد البطريك مار اغناطيوس جبرائيل الاول وارتماهما عندما ترأس احتفال شركة مار منصور دي پول صباح عيد العنصرة عام ١٩٣٠ . وكلف احد اعضائها ان ينشدهما وهما :

صهيون بالرسل الكرام تجددت اذ جللتها نعمة الروح القدس
واليوم شركتنا تيمن ربها بجلول بطركنا الجليل مع القسوس
ومن ذلك ايضاً بيتان اقترحهما عليه المريكز ميخائيل دي جروة ليتنقشهما على كأس قداس . وهما :

لما اتكا رسل المسيح على العشا سري باركهم بنفس طاهرة
قال اشربوا هذا دمي وتذكروا عهدي الجديد لكي تنالوا الآخرة
ومن ابداع ما نظمته هذا العلامة قصيدته الشرفية التي التزم فيها لفظة « الشرف » في جميع قوافيها يختلف معنى كل لفظ منها عن معنى الآخر . وقد هتأ بها السيد اغناطيوس افرام الثاني عندما قلده قنصل فرنسة العام وسام « جوقة الشرف » واستهلها بقوله :

سما اليك كمن يسمو الى الشرف وسام فخر يسمى جوقة الشرف^(١)
وما عدا هذا فقد ألقى الفيكنت خطبتين تاريخيتين عام ١٨٨٨ لدى افتتاح مجمع دير الشرفة الكبير ولدى اختتامه . ولفظ كذلك خطب

(١) اقتباس من الآيتين الواردتين في انجيل مار متى (٢٦: ٢٧ و ٢٨) وهما : « واخذ كأساً وشكر واعطاهم قائلاً : اشربوا منها كلكم . لان هذا هو دمي للعهد الجديد »
(٢) نشرنا في مجلة « الآثار الشرقية » ابيات هذه القصيدة في سنتها الثانية صفحة ٧٤-٧٨ .

الترحيب والتأهيل في قلالية بيروت بالبطريرك اغناطيوس جرجس الخامس عام ١٨٨٥ و ١٨٨٨ . وبالبطريرك اغناطيوس بهنام الثاني لدى مروره ببيروت مسافراً الى اوربة عام ١٨٩٤ ولدى رجوعه منها في اواخر السنة المذكورة . وبالسيد اياليا الثاني عشر بطريرك بابل على الكلدان في ٨ حزيران ١٨٩٠ . وبالسيد اغناطيوس افرام الثاني عام ١٨٩٩ . ورَّحِب به كذلك بخطبة شائقة عند زيارته الاولى لجمعية مار منصور دي بول وشفعها بخطبتين أخريين بعد التاريخ المذكور في تقرير بطريرك الانطاكي عينه

وقد رَّحِب الفيكننت بخطبة جميلة بالسيد اقليميس يوحنا معمارباشي مطران دمشق عام ١٨٩٢ لدى قدومه الى بيروت للمرة الاولى بعد سياحته الاسقفية . وهنأ المطران يوليوس باسيل قندلفت عام ١٨٩٣ بارتقائه الى الكرامة الاسقفية في كنيسة بيروت . وخطب ايضاً على مائدة دير الشرفة عام ١٩٠٩ مرحباً باعضاء اخوية العائلة المقدسة وشركة مار منصور دي بول عندما حجوا مقام سيدة النجاة في الدير المشار اليه .

وهو الذي خطب عام ١٩١٩ في الصرح البطريركي الماروني في بكركي " نيابة عن الملة السريانية لدى وداع السيد البطريرك مار الياس بطرس الحويك قبل رحلته الشهيرة الى باريس . وخطب ايضاً باسم الملة السريانية على مسامع اللجنة الاميركية التي جاءت عام ١٩١٩ لاستفتاء أهالي سورية ولبنان في أمر مصيرهم . ومثل الملة ايضاً في المجلس الاستشاري عن المنطقة الغربية في عهد الجنرال غورو . وكان له في ذلك كله مواقف مشرفة بين زملائه . ولسنا ننسى خطبة الفيكننت البديعة التي رَّحِب فيها بنيافسة

(١) خطب الفيكننت فيليب مرة اولى في بكركي سنة ١٨٩٧ يوم كان رئيساً على شركة مار منصور الخيرية واخوية العائلة المقدسة . وجرى ذلك في عهد (السيد يوحنا بطرس الحاج البطريرك الماروني بحضور لفيف اساقفته ومئات من اعيان بيروت ولبنان على اختلاف مذاهبهم ومراتبهم . فكان لخطابه صدى استحسان حمل الخطيب البالغ انطون بك شجيرة ان يثني بفصاحته المشهورة على الفيكننت ويفوه بتلك العبارة التاريخية : « كنت اغنى ان يكون هذا الشاب مارونياً » .

الكردينال ديبوا في القلاية البطريركية بيروت عام ١٩٢٠ . الى غير ذلك من الخطب الرتانة التي ألقاها في اوقات مختلفة وفي مواسم شتى . ولا سيما خطبه في الاحتفالات السنوية وقت حضور قناصل فرنسا ومفوضيها القداس الرسمي في الكاتدرائية السريانية صباح الاحد الثاني التالي لعيد القيامة .

ومما يجدر بالذكر عن الشيكنت فيليب في هذا المقام انه هو الذي نقل من العربية الى الفرنسية خطاب السيد ثيوفيلس انطون قندلفت في المجمع القرباني الاورشليمي . ثم ناب عنه في القائه رسمياً في جلسة المجمع الثانية المنعقدة في ايار ١٨٩٣ في كنيسة المخلص الكبرى . وقد جرى ذلك بحضور نيافة الكردينال لنجنو والبطريرك كين غريغوريوس الاول ولودفيكس بيا في ستة وعشرين مطراناً و الف وخمسةائة كاهن وجمهور غفير من المؤمنين التأموا من اربعة اقطار المسكونة . فنال خطابه هذا استحسان السامعين وصدقوا له نيافاً واربعين مرة .

هذا ما عدا كتابه « القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة » الذي جمع فيه مرثي العلامة السيد اقليميس يوسف داود في عشرين لغة . وما عدا كتابه الشهير الذي عنوانه « السلاسل التاريخية في اساقفة الابريشيات السريانية » ونشره بالطبع عام ١٩١٠ مضمناً اياه اخبار احوال البيعة السريانية منذ القرن السادس عشر حتى عهدنا . ونضرب صفحاً عن ذكر غيرهما من المؤلفات الجليلة التي أدرجناها في فصل آخر من هذا الكتاب ولا يقل عددها عن ستة عشر مؤلفاً او مجموعاً^(٢) . وقد أنشأ ونشر ذلك كله اظهارة لحميم اخلاصه وشديد تفانيه في خدمة ملته وتعظيم احوالها . وكانت تلك الخطب وتلك القصائد وتلك التصانيف بلا ريب من أدعى الوسائل لتعزيز كنيسة مار جرجس البيروتية واعلاء شأن الملة السريانية .

(٢) نحيل القارئ الى مراجعة اسماء تلك المؤلفات ووصفها في (فصل الرابع من القسم الثالث من هذا الكتاب .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر رأينا ان نُضيف الى ما سبق كلمة عن مساعي هذا الفيكنت الجليل في تعزيز مقام احوار ملته النبلاء وتخليد اسمهم في قلوب الخاصة والعامة . فانه اعتنى بصنع صورة الحبر الانطاكي مار اغناطيوس افرام الثاني يحف به بطاركة الملة السريانية اسلافه . فصورها بطريقة فنية مستظرفة وارسل منها نسخاً عديدة الى جميع الابريشيات لتعلق في قاعاتها الرسمية وبيوت أعيانها . وهي تمثل رسوم احد عشر بطيريكاً من بطاركة السريان الانطاكيين منذ البطيريك اغناطيوس اندراوس الاول (١٦٦٢-١٦٧٧) الى البطيريك اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨-١٩٢٩) . وقد أعجب بهذه الصورة التاريخية كل من شاهدها وأثنوا على عبقرية الفيكنت فيليب الذي ابتكر هذه الفكرة . وانفذوا اليه رسائل شكر نذكر منها فقرة كتبها السيد اقليميس ميخائيل بجاش مطران دمشق بتاريخ ٨ نيسان ١٩٠١ قال :

« ... سرنا جداً الاثر النفيس الذي اقمتموه لبطاركتنا العظام بطبع رسومهم الفوتوغرافية مع رسم بطيريكنا المعبوط والشعار البطيريكى . فهذا ما يدعونا لنثني على حضرتكم الكريمة ونتمنى لكم إطالة العمر لتظهر محاسن طائفتنا بما تجددونه من آثارها الحسنة . جزاكم الله خيراً ... »

ولم يكتفِ الفيكنت بهذا بل نصب صورة العلامة السرياني الشهير مار اقليميس يوسف داود مطران دمشق في دار الكتب الاهلية التي أسسها عام ١٩٢١ في بيروت . وقد ضمها الى رسوم مشاهير العلماء التي دُبج بها القاعة الكبرى في المكتبة المشار اليها تحليداً لذكورهم وإعلاء لشأن العلم في الامصار الشرقية .

الفصل الثالث

آل طرازي ونقل الكرسي البطريكي من ماردين

الى بيروت

كان يجول في خاطر آل طرازي منذ عهد بعيد ضرورة نقل الكرسي البطريكي من ماردين الى حلب او الى بيروت لما بينها وبين ماردين من التفاوت العظيم في الحضارة والعمران والمنزلة الاجتماعية. وكانوا يعتبرون ان مستقبل نجاح الملة السريانية يتوقف على ان يكون لبطاركتها كبطاركة سائر الملل الشرقية مركز ثابت في احدى المدن الشهيرة ولائق بكرامة منصبهم. لان ماردين مدينة صغيرة خالية من المحاسن العصرية والمشوقات الحديثة والمواصلات البريدية المنتظمة. الى غير ذلك من التسهيلات الاجتماعية التي تتمتع بها عواصم البطريكيات الاخرى شرقاً وغرباً.

ومن المعلوم ان مدينة ماردين لم تك في عهد مضي سوى مركز لواء تابع لولاية ديار بكر ومرتبطة بها. ولما كان صاحب الكرسي الانطاكي السرياني يقيم في ماردين وكانت ديار بكر كرسياً لمطرانية سريانية خاضعة للبطريك كان يلزم البطريك لدى تعاطيه الشؤون المدنية التي تطرأ له ان يلجأ في قضائها الى المطران السرياني المقيم في مدينة ديار بكر. يُراد بذلك ان البطريك كان يضطر الى مراجعة مقام ادنى من مقامه بل تابع لسلطته الروحية. وكل ذلك لا يتفق مع طريقة التسلسل في العلائق المألوفة بين الرئيس والمرؤوس او التابع والمتبوع.

بعد هذه المقدمة نورد الدواعي الخطيرة التي استند اليها آل طرازي في وجوب نقل الكرسي البطريكي من ماردين. لانهم بكونهم الوكلاء الرسميين للبطاركة في الشؤون المالية والمهام المدنية بسوريا واوربا كان

يتعذر عليهم النهوض بتلك المهام المتواصلة بسهولة وانتظام. ونحصر تلك الدواعي في المسائل الثلاث الآتية وهي :

أولاً : البريد. فان دائرته في ماردين كانت تشتمل على غرفة واحدة يديرها مأمور واحد لا يعرف الا اللغة العربية مع المام باللغة التركية. وكان هذا المأمور يجهل بتاتاً اللغات الفرنجية. ثم ان البريد لم يكن يرد الى ماردين ولا يسافر منها الا مرتين في الشهر في عهد البطريرك اغناطيوس انطون الاول (١٨٥٣ — ١٨٦٤). ثم اصبحت حركته اسبوعية في عهد خلفه مار اغناطيوس فيلبس الاول (١٨٦٦ — ١٨٧٤). وعند وصول البريد الى تلك المدينة كانت تلقى المكاتيب على الحضيض وتبقى هناك ريثما يذهب اصحابها ليلتقطوها. وكان اذا تأخر احدهم عن اخذ مكاتيبه امست تلك المكاتيب طعماً للحريق والاعدام.

ثانياً : الرسائل البرقية. فان الخلل فيها لم يكن باقل من خلل البريد كما سبق الكلام. على ان البرقيات المكتوبة باحدى اللغتين العربية او التركية كانت تُرسل الى ماردين وتصدر منها تواتراً. اما البرقيات المكتوبة باحدى اللغات الاوربية فكان البطريرك يوصلها الى ديار بكر مركز الولاية مع ساعر خاص ركوباً على البهايم. وكانت المسافة بين مدينتي ماردين وديار بكر تستغرق زهاء عشرين ساعة. وناهيك ما كان يتكلفه البطريرك في هذا السبيل من النفقات وما يتحمله الساعي من مشقات الاخطار ذهاباً واياباً. وقس على ذلك البرقيات الواردة باسم البطريرك من بلاد اوربا. فان حكومة ديار بكر كانت تكلف مطران السريان فيها كي يوصلها بدوره الى البطريرك في ماردين. وكان المطران يقوم بهذه المهمة مستعملاً نفس الطريقة التي كان يستعملها البطريرك كما ذكرنا.

ثالثاً : المصارف المالية او البنوك الرسمية. فانه لم يكن لها في ماردين اسم ولا رسم. بناء عليه كان التعاطي المالي من اصعب الامور في تلك الازمان بين هذه المدينة وسائر البلدان. فكان آل طرازي يرسلون الى

البطاركة موكلهم كل ما يحتاجون اليه من النقود ضرراً يسلمونها الى امنائهم من اصحاب القوافل . فكان ذلك يدعو الى القلق المستمر فضلاً عن النفقات الباهظة .

فهذه الصعوبات وما شاكلها مما ضربنا عنه الصفح حباً للاختصار دفعت آل طرازي الى التشبث بمبادئهم في وجوب نقل الكرسي البطريركي من ماردين . وقد ادركوا كل هذه الاعتبارات الجوهرية التي تحط من كرامة بطاركتهم المغبوطين وتؤخر نجاح مآلتهم . فأخذوا يصرون بها لرؤسائهم كلما سنحت لهم الفرص قولاً وكتابة . ولبثوا يعالجون هذه القضية الحيوية حيناً بعد آخر حتى تحققت امنائهم وجاءت الايام مصداقاً لما تنبأوا به قبل ثمانين سنة من هذا التاريخ .

هكذا تطورت الافكار بتوالي الازمان واتضح اكل ذي بصيرة أن بقاء الكرسي البطريركي في ماردين يجرّ اضراً جسيمة الى الملة السريانية . وتجلى ذلك بكل صراحة سنة ١٨٦٤ لدى وفاة البطريرك اغناطيوس انطون الاول . فان افكار السادة المطارنة اتجهت الى اختيار النائب الرسولي السيد ديونوسيوس جرجس شلحت مطران حلب خليفة للحبر الراحل . لكن النائب جاهر برفض هذه الكرامة الشريفة لاضطراره — لو ارتضى — الى السكنى في ماردين . ولنا حجج دامغة على تشبثه بالرفض ما حرره مراراً في هذا المعنى الى آل طرازي . نزوي من ذلك فقرة من رسالة سيّرها اليهم بتاريخ ٩ نيسان ١٨٦٥ قال :

« ... ثم انكم في تحريركم الاول (٣٠ آذار ١٨٦٥) توضحون افكاركم في ما يلاحظ الكرسي البطريركي في حلب او دير الشرفسة او بيروت . وانه اكثر اعتباراً للطائفة من وجوده في ماردين المتزوية في راس جبل بين قبائل العرب والاكراد . اي نعم ايها الابناء الاعزاء ان وجود الكرسي في احدى هاتين المدينتين (حلب او بيروت) هو اكثر اعتباراً للطائفة . ولكن كيف العمل ؟ ان المجمع المقدس لا يفتكر نظيرنا بل

يرتأي الضد . اي ان وجود الكرسي في ماردن يصير منه خير اكثر . . .
النخ .

وفي ٢٠ نيسان من السنة المذكورة كرّر آل طرازي إلحاحهم على
النائب الرسولي في الامر المشار اليه . فجاءوهم حالاً بتاريخ ٢٩ نيسان
بما يأتي :

« . . . نظراً لوجود كرسي بطريركية طائفتنا في ماردن فتغييره امرٌ عسرٌ
جداً . لان قداسة سيدنا الحبر الاعظم مع مجعته المقدس يفكرون ان
وجود الكرسي هناك هو الواسطة الوحيدة والفعالة لارتداد طائفة اليعقوبيين .
ومن ثم فنحن بثباتٍ نستمر ملتزمين الاعفاء من هذه الوظيفة . لان ماردن
ستكون سبباً لزوال صحتنا التي من بعدها نضحي عديمي الافادة ليس
بماردن فقط بل بغيرها ايضاً . فربنا يوفق الى ما فيه الخير ويختار كبشاً
لهذه الذبيحة . . . النخ »

على ان ما حرره هذا النائب الرسولي قد صدق بتمامه في السيد
اغناطيوس فيلبس الاول الذي انتخب بطريركاً عام ١٨٦٦ وسكن في
ماردين . فانه لم يكدم على هذا الحبر الانطاكي زمن قصير حتى ابتلي
بامراض عضالة كانت السبب للقضاء على حياته الشينة عام ١٨٧٤ غير متجاوز
الثامنة والاربعين من العمر . ويعزى ذلك الى خلوة مدينة ماردن من اطباء
وصيادلة قانونيين يُعول عليهم في احوال خطيرة كهذه . وكان مار اغناطيوس
فيلبس الاول آخر بطريرك سرياني اقام في ماردن ولم يسكنها بعده احد
من خلفائه رسمياً .

ولدى فراغ الكرسي البطوريكي سنة ١٨٧٤ أُحيلت النيابة الرسولية
تكراراً الى السيد ديونوسيوس جرجس شلحت . فظهر من التشبث برفض
البطريركية ما اظهره في المرة السابقة . غير انه بعد اتفاق الاصوات على
انتخابه بطريركاً رخص له الكرسي الرسولي ان يسكن مدينة حلب بدلاً
من ماردن .

وما كتبناه عن السيد اغناطيوس جرجس الخامس (١٨٧٤-١٨٩١) يصدق تماماً على خليفته مار اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٣-١٨٩٧) . فانه أصرّ على رفض البطريكية في ما لو حُتم عليه ان يقيم في ماردين . فوافق المطارنة على اقتراحه ان يُقيم في الموصل وأيد الكرسي الرسولي قرارهم . وبعد فراغ السدة الانطاكية بوفاة هذا الخبر الجليل اختار مجمع الاساقفة خلفاً له مار اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨-١٩٢٩) الذي جرى تنصيبه في ماردين . وكان هذا الخبر الخالد الآثار صديقاً قديماً حميماً لآل طرازي يعتمد عليهم ويشق بآرائهم في جلائل الامور . يتضح ذلك من مئات الرسائل التي كتبها لهم بخط يده وأعرب فيها عن صدق مودته وجزيل اعتباره لهم . تقتصر منها على فقرة اثبتنا في رسالته المؤرخة في ١٥ تشرين الاول ١٨٩٨ على اثر انتخابه البطريكي قال :

« ... فعلى ذلك كله نشي عليكم أعظم الشاء ونشكركم طالبين الى الله جلّ شأنه ان يجزل لكم كل المواهب والمنح ويبقيكم أحقاباً مديدة فخراً للطائفة السريانية التي قد عهدت الينا . ولا حاجة ان تزيدكم علماً في هذه الاثناء . باننا في اول قداس قدسناه عقب انتخابنا خصصنا بالذكر عائلتكم النبيلة الجليلة الشأن واستمطرنا عليها البركات الالهية . وها اننا نتحفكم بياكورة بركتنا البطريكية ... »

على ان آل طرازي انتهزوا فرصة ارتقاء صديقهم هذا المغبوط الى العرش البطريكي لتجديد مساعيهم في حمله على نقل كرسيه الرسولي من ماردين الى يبروت . ورفعوا اليه في ١٢ تشرين الاول ١٨٩٨ تقريراً مسهباً بقلم سليلهم الفيكنت فيليب في اثنتين وعشرين صفحة . ويتضمن هذا التقرير ما ينجم للبطريكية عن هذا الانتقال من الفوائد العظيمة . فاخذ السيد البطريك الجديد بعين الاعتبار ذاك التقرير الوافي مقتنعاً بما احتواه من الآراء الصائبة والبراهين اللامعة . ثم كتب الى آل طرازي الجواب راغباً اليهم ان لا يذيعوا مآل التقرير الموما اليه ريثما يدبر هذه القضية مع

الكرسي الرسولي الروماني . وما عثم ان كتب رسالة بخط يده مورخنة في ٢٢ تشرين الاول ١٨٩٨ (اعني ستة ايام بعد تنصيبه البطريركي) الى الفيكنت فيليب ورد فيها ما نصه :

« . . . وان شئتم ان نطلعكم على دخيلة افكارنا . . . فهذه الاسباب كلها وغيرها تحملنا على ان نجعل لنا مقراً في سورية مدينة بيروت العامرة بكم خاصة . . . ونظن ان رأيكم طبق رأينا . . . »

يتضح من كل ما أدرجناه في هذا الفصل ان آل طرازي جاهدوا الجهاد الحسن في قضية تحويل الكرسي البطريركي من ماردين الى بيروت . وقد تهملت قلوبهم ابتهاجاً لدى تحقيق أمنيّتهم هذه التي عادت بالخير والبركة على الملة السريانية جمعاء . وما كادوا يتلقون بشري قدوم كبير احبارهم حتى اخذوا يستعدون للاحتفال باستقباله كما يليق بمقامه الرسولي . ثم هياؤوا كل الطبقة العليا من منزلهم الفسيح في شارع « نصر الله طرازي » وأعدوها لتكون مقراً للحبر الانطاكي في عاصمة كرسية الجديد ريثما يتيسر له الاستقلال بدار خاصة . وقد استمر مدة سنتين هو وحاشيته ضيوفاً لدى هذه الاسرة النبيلة التي طالما طاب لها ان تحافظ شديد المحافظة على تقاليد ضياقتها الموروثة عن الآباء والاجداد .

وقد كتب هذا البطريرك الانطاكي رسائل حمة ملوؤها عواطف معرفة الجميل لأريحية آل طرازي وكرم ضياقتهم . نقتصر على ذكر واحدة منها مؤرخة من دير الشرفة في ٤ حزيران ١٨٩٩ ومكتوبة بخط يده قال :

« . . . وبعدُ فلساننا قاصر عن اداء ما يجدر من تقارير الشناء لما لقيناه في داركم العامرة من ضروب الكرم واللفظ والفضل المقرونة بأخلص الودّ واشد الولاء . جعلكم المولى على ممر الادهار انتم واعقابكم فخراً وبهاء للطائفة السريانية . ونجتزئ عن الكلام المسهب بمحضنا ايّاكم قاطبة مودّتنا الابوية ثم بالدعاء الى الله ان يجزل لكم منحه الفائضة بكل خير . هذا ونخص بالشكر والدتكم الموقرة السيدة الكنتسة مئة ونسأل المولى ان

وثائق خطية

يتمتعها بكم ويتمتعكم بها مديداً...»
وفي ٢٤ شباط ١٩٠٢ انتقل البطريرك من دار آل طرازي الى الطبة العليا من الدار المحاذية لكنيسة القديس جرجس الكاتدرائية اذ جعلها مقراً رسمياً له . وكان آل طرازي قبل ذلك قد اعتنوا بتهيئة الدار البطريركية الجديدة وترتيبها لتكون لاثقة برئيس ملتهم . ثم جهّزوا اكثر رياشها بنفقتهم الخاصة فضلاً عما نقلوه اليها من موجودات منزلهم . وقد تحفوه حين ذاك بهدايا نفيسة نذكر منها عكازاً بطريركياً ذا اربعة رؤوس تعلوه كرة متوجة بصلب مثني .

وبعد ما قضى هذا الخبر الخالد الاثر احدى وثلاثين سنة في السدة الانطاكية خلفه في ٢٤ حزيران ١٩٢٩ مار اغناطيوس جبرائيل الاول البطريرك الانطاكي الجالس سعيماً . ومن عهد هذا التاريخ صرف الاساقفة النظر عن كرسي ماردين الذي اتفقت الآراء على ان لا يكون مركزاً لبطاركة الملة في مستقبل الزمان . وقرروا في الوقت عينه ان تكون اقامة البطريرك وخلصائه في مدينة بيروت عاصمة الجمهورية اللبنانية . والتمسوا من الكرسي الرسولي الروماني ان يوافق على قرارهم هذا .

ولما عزم السيد البطريرك الجديد على تشييد دار ثابتة في مدينة بيروت للاقامة فيها رسمياً اراد من باب الحكمة ان يستشير في هذا الشأن بعض اللائذين بكرسيه البطريركي من روحانيين وعالميين . فأخذ كل منهم يبدي رأيه الخاص مدّعياً بانه الاوفق والأصوب . وكان بعضهم يعرض آراء غير ناضجة او لا تنطبق على قياس منطقي او لا يستقيم لها وزن . بل كان كلما دار البحث عن هذه القضية في جلسة سرية انتشرت اخباره بسرعة البرق بين القريب والغريب داخل بيروت وخارجها .

وقد عرف السيد البطريرك حين ذاك غث الآراء وسمينها فخشي ان تؤول النتيجة الى ما لا تحمد عقباه من ارتفاع اسعار الاراضي المرغوب في مشتراها فيعود ذلك بالخسائر الفساححة على البطريركية . ومن تلك الساعة

رأى ان تُحصر المفاوضات بكل تحفظ بينه وبين اشخاص معدودين مشهود لهم بالرصانة والصدق وأصالة الفكر . وبعد التروي اختار رجلين من اعيان الملة وادبائها يُركن اليهما في جلائل الامور وهما : الفيكننت فيليب دي طرازي والسيد نجيب موصلي . ثم اضاف اليهما المهندس البارع جورج سركيس وفوض الي ثلاثتهم درس هذه القضية بجذافيرها كما يوحيه اليهم الضمير الحي والوجدان الطاهر .

فأخذ هولاء الثلاثة يبحثون يومياً تحت اشراف صاحب القبة عن بقعة ارض مناسبة بحسن موقعها واتساع مساحتها وجودة مناخها ليُشيد فيها صرح البطيريركية الجديد . وبعد البحث المتواصل والتدقيق العميق وقع اختيارهم قاطبةً باتفاق الآراء على بقعة ارض مساحتها ستة وعشرون الف ذراع مربع واقعة بين شارعين كبيرين من اهم شوارع بيروت وهما : شارع الشام من الناحية الجنوبية وشارع الكورنيش من الناحية الشمالية .

ولم ينقض اسبوع على نتيجة ما قرره هذه اللجنة حتى بادر السيد البطيريرك الى مشتري البتعة المنوه بها . ثم باشر البناء بكل همّة في مطلع السنة ١٩٣٠ وفرغ من هذه العمارة الجميلة التي دشنها بحفلة شائقة في ٢٨ حزيران من السنة التابعة . فجاء صرحاً فخماً يُعدّ من اطرف الصروح البطيريركية في الشرق . وقد أرخه الفيكننت فيليب دي طرازي بأبيات شعرية وجعلها في أطار جميل عُلق في مدخل الصرح المذكور قال :

كرسي انطاكية أمسى هنا	طوراً يكلله جمال الهيبة
جبريل جدّد عصره الذهبي في	بيروت مثل العصر الرسليّة
حبر تسلسل من بطاركة الهدى	خلفاً لبطرس في سرير البيعة
وبه بنو آرام طراً فاخروا	لما تسلم صولجان السلطة
قد شاد هذا الصرح جانب معبد	ترعاه عين الغزّة الصمديّة
صرح لسريان الوري هو مرجع	يبقى مدى تاريخه كذخيرة

وما اكتفى الفيكنت بذلك بل أراد ان يتحف الصرح الجديد بهدية
 ثمينة تعزز مكتبة البطيركية وتزين خزائنها . فقدم لها طائفة من الكتب
 ذات القيمة الوافرة نذكر بينها مجموعة ثمينة عنوانها : « Description de
 l'Egypte » أي « وصف مصر » تتألف من اربعة عشر مجلداً مزينة
 بالرسوم النادرة والصور الفاخرة . وقد طبعت في مستهل القرن التاسع عشر .
 وتعدّ بكل حق من أشهر المجموعات الكتابية وأنفسها في العالم . لانه
 اشترك في وضعها وجمع موادها وتنسيقها اكثر من ثلاثمائة عالم رافقوا
 الحملة الفرنسية العسكرية الى وادي النيل عام ١٧٩٧ بقيادة الجنرال
 بوناپرت . ويبلغ طول كل مجلد كبير مصور من المجموعة المذكورة متراً
 وخمسة سنتيمترات بعرض سبعين سنتيمتراً . ثم استصنع الفيكنت لهذه المجموعة
 خزانة بديعة ذات شغل هندسي جميل افرز فيها لكل مجلد بيتاً خاصاً به
 صيانة لهذه المجموعة من الضياع او البعثرة . وقد جاءت تلك البيوت
 مطابقة بعددها وقياسها عدد المجلدات وحجمها كي يوضع في كل بيت منها
 مجلد مستقل عن الآخر .

أعجب السيد البطيرك بهدية الفيكنت وكتب اليه رسالة في ١٣
 شباط ١٩٣٢ تشف عن عواطف شكره وثنائه . وهذا نصّها :

« اغناطيوس جبرائيل الاول بطيرك السريان الانطاكي

« حضرة ولدنا العزيز السري الفاضل الفيكنت فيليب افندي دي

طرّازي امين دار الكتب الكبرى الماجد

« البركة الرسولية والسلام والمجبة بالرب

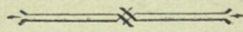
« اما بعد فهذه عارفة جديدة اضفتموها الى سالف عوارفكم العديدة .

فاستوجبتم لاجلها اعطر الثناء وسجّلتكم لكم في قيود الطائفة العزيزة اطيّب
 الذكر . ولشد ما كان اعجابنا بكم وازدياد اعتبارنا لفضلكم وفضيلتكم
 وحميم شكرنا لتعلقكم ومحبتكم وقمّا تلقينا صباح اليوم من حضرتكم
 اربع رزم تحتوي على اثن الكتب التي رمت ان تتحفوا بها دار الكتب

البطريكية الجديدة ببيروت علاوة على ما سبقتم فاتحتموها به من المصاحف القيمة في الخزانة الثمينة . فقد استلمناها مع كتابكم المسطر في ١٢ شباط بقلب يطفح سروراً وبهجة ولسان ينشد أعذب الاثنية على أريجيتكم .

« اجل انكم ايها الشهم الكريم قد طررتم بهذه التقادم الثمينة حللاً قشبية وشحتم بها هذه المكتبة البطريكية بأثن الحلل وأنفس الذخائر . واصبحت تلك المصاحف كزهور زكية او ينابيع صافية يستنشق عبيرها الطيب رواد العلوم والمعارف ويرتشفون من مناهلها العذبة . ويطلقون السننهم بالثناء على مكارم مهديها المفضل ما كرت الاجيال .

« فشكراً حميماً لاريجيتكم بل ثناء عظيماً على تقانيكم ومودتكم . اننا نسأل الله تعالى مانح المواهب الصالحة والعطايا الكاملة ان يسكب عليكم غيوث النعم والبركات الفائضة بكل الخيرات . ويزيدكم جاهاً ورفعة . ويمتدنا بطول بقائكم فخراً للطائفة وتعزيزاً للعلم والأدب بين ظهرانيها . وعربوناً لمودتنا الابوية نهدي اليكم مع الدعوات الخيرية البركة الرسولية والسلام والمحبة بالرب حرسكم المولى مديداً » .



الفصل الرابع

آل طرازي وسلسلة بطاركة السريان الانطاكيين

كان بطاركة السريان الانطاكيون منذ ضربهم عهد الوصال مع البيعة الرومانية يوقعون اسماءهم بجانب ختمهم في آخر المناشير والرسائل الموجهة منهم الى مرؤوسيههم . وكانوا يضيفون كنيستهم في تلك التواقيع الى اسمهم الشخصي واسم شفيع الكرسي مار اغناطيوس النوراني البطريرك الانطاكي (٦٨ - ١٠٢) . وعلى ذلك نقدم مثلاً السيد اغناطيوس بطرس السابع (١٨٢٠ - ١٨٥١) فانه كان يوقع امضاءه في ذيل الرسائل هكذا :

« اغناطيوس بطرس جروة بطريك السريان الانطاكي » . وقد جرى سلفاؤه وخلفاؤه على هذا النمط من دون ان يتقيدوا رسمياً بالرتبة العددية التابعة لاسم كل منهم . فكان البطارقة اصحاب الاسم الواحد لا يتميز احدهم عن الآخر إلا بالكنية او النسبة فقط .

ولا غرابة في ذلك لانهم نهجوا في هذا الامر نهج بطارقة السريان اليعاقبة . يتضح ذلك من مطالعة كتب مشاهير مؤرخي اليعاقبة كيوحنا اسقف اسيا وزكريا البليغ اسقف ملطية والبطريك ديونوسيوس التلمجري وميخائيل الاول الكبير . بل ان ابن العبري نفسه الذي ألف تاريخه البيعي ونسّق حوادثه تبعاً لسلسلة بطارقة انطاكية وسلسلة مفارنة المشرق لا نراه يثبت في السلسلتين كليهما رتبة الاسماء العددية .

ولما كان هذا الاصطلاح مخالفاً للتقاليد القديمة المرعية لدى تسمية القائمين في الكراسي الرسولية انصرف الفيكنت فيليب دي طرازي الى درس هذه القضية درساً جدياً . وبعد ما مَحَصّها تمحيصاً وافياً اخذ يفاوض اصحاب العلاقة بالموضوع لاجل المحافظة على تلك التقاليد واعادة استعمالها . ودون نتيجة ابحاثه في تقريرين مستوفين رفع احدهما سنة ١٨٩٣ الى السيد البطريك مار اغناطيوس بهنام الثاني (بني) والآخر سنة ١٨٩٨ الى خليفته مار اغناطيوس افرام الثاني (رحمانى) وعزّزها بالبراهين الدامغة . فكان لذينك التقريرين صداهما الحسن واثرها الحميد في الديوان البطريكي .

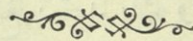
واول من اعاد استعمال ذلك التقليد القديم في تأييد رتبة الاسم العددية كان السيد اغناطيوس افرام الثاني الذي استصوب رأي الفيكنت فيليب دي طرازي وأثنى عليه . وما كاد يمرّ على عهد جلوسه البطريكي اثنان وثمانون يوماً حتى بدّل توقيعه الاول « اغناطيوس افرام رحمانى » بتوقيعه الجديد « اغناطيوس افرام الثاني » طبقاً للتقاليد المرعية في الكراسي الرسولية ووفقاً للرأي السديد الذي ابداه الفيكنت المشار اليه . يؤيد ذلك ما كتبه هذا الخبر الانطاكي بتاريخ ١٤ كانون الثاني ١٨٩٩ في جوابه الى كاتب

التقريرين المذكورين قال :

«... ولنأت الآن الى الجواب عن مسألتين عرضتموهما علينا. ولنا أولاً ان نقرّظ غيرتكم على الطائفة وعلينا. ونشي على ذكائكم ثم نقول : نعم اننا في توقيع امضائنا قد رأينا من الواجب ان نسلّك بموجب العادة القديمة التي عليها يجري الاحبار الرومانيون الى يومنا الخ. وينبغي كذلك ان يكون ختمنا بالخير الاحمر...»

بهذه الوسيلة تجدد استعمال تلك التقاليد الماثورة التي ورثناها عن آبائنا منذ العصور الغابرة . وقد شاعت الآن هذه التسمية العددية بين الخاصة والعامة اذ أيدها اصحاب الشأن وقرروها بعد اهمالها قروناً عديدة . ومن شاء زيادة ايضاح عن هذه القضية فليراجع ما اورده عنها الفيكنت فيليب دي طرازي في توطئة كتابه « السلاسل التاريخية في اساقفة الابريشيات السريانية » ونخيل القارئ اللبيب ايضاً الى مطالعة سلسلة بطاركة السريان في الكتاب نفسه من الصفحة ٤٠٩ الى الصفحة ٤١٥ .

لا ريب في ان هذه السلسلة هي الاولى من نوعها اذ لم يسبق لاحد من كتبة السريان ومؤرخيهم ان ينشر قبل الفيكنت دي طرازي سلسلة وافية لبطاركة هذه الملة تظاهيها بالدقة والضبط والكمال ورتبة الاسماء العددية^(١) . ويستطيع المؤلفون بعد الآن ان يستندوا بكل ثقة الى هذه السلسلة التاريخية ويتخذوها دستوراً صحيحاً لاجاثهم عن البطيركية السريانية الانطاكية .



(١) سبق حضرة الفيكنت فيليب دي طرازي الفاضل فاطمنا على فكرته هذه المصيبة . وقد اعتمدنا عليها وضبطنا اسماء بطاركة السريان الانطاكيين طبقاً للسلسلة العددية في كتابنا « الزهرة الزكية في البطيركية السريانية الانطاكية » الذي نشرناه عام ١٩٠٩ فوجب اذاً ان نكرر هنا لحضرتة الجليّة عاطفة الشكر والامتنان .

الفصل الخامس

آل طرازي والبطريك مار اغناطيوس افرام الثاني

ما كادت تمر سنوات اربع على بطريكية السيد اغناطيوس افرام الثاني حتى طرأت له مشاكل صعبة اختلقها اعداء الخير الذين اعتادوا ان يصطادوا في الماء العكر . فنغصت عليه عيشه وسببت له ضعفاً لزمه سائر ايام حياته . وقد تحمل البطريك المعبوط تلك المعاكسة العنيفة بصبر جميل وقلب جري . يجدر بمن كان في مقامه الروحاني العالي . غير انه معاً تذرّع به من الحكمة والتؤدة في فض تلك المشاكل لم يرَ من ملققيها الا الاسترسال في تجسيمها . ولما كان هذا الخبر الانطاكي متكرراً في جميع شؤونه على العون الالهي اثر التنحي عن الكرامة البطريكية بل رضاه . اذ كان يخشى ان تزداد تلك العراقيل تعقداً فتفت في ساعده عن مواصلة المساعي في تعزيز رعيته واعلاء شأنها . ومن ثم رفع بتاريخ ٢ آب ١٩٠٢ استقالته الى الخبر الاعظم البابا لاون الثالث عشر في رسالة برقية ذات ثلاث صفحات كبيرة كتبها باللغة اللاتينية . ونظراً لثقة التامة بالفيكننت فيليب دي طرازي كلفه ان ينقلها بنفسه الى ادارة التلغراف ليكون على ثقة من ايصالها الى مرجعها . ثم نوى ان يرتحل فوراً الى عاصمة الكشلكة ليؤيد استقالته بين يدي الخبر الروماني .

اما مدير التلغراف فانه بلغ رشيد بك والي بيروت مآل تلك الرسالة البرقية لخروجها عن مألوف العادة . وكان الالي يوم ذاك ملازماً فراشه في مصيفه بعاليه على اثر عملية جراحية أُجريت له . فاخذه الدهش من ذلك الحادث الفجائي واستقدم الاب جوردان الفرنسي لينقل له البرقية عن اصلها اللاتيني الى اللغة الفرنسية . وما وقف الالي على فحواها حتى ازداد استغرابه وارسل فاستدعى عميد آل طرازي واستطلعه طلع الامر ليرفعه بدوره

مفضلاً الى المايين الهايوني في الاستانة . فاخذ العميد يسرد على صديقه الوالي تلك التفاصيل التي رُفعت بكل أمانة وسرعة الى العرش السلطاني .

ولما كان يتعذر على السيد البطريك ان يسافر الى بلاد خارجة عن السلطنة العثمانية دون ارادة شاهانية رغب الفيكنت دي طرازي الى صديقه الوالي ان يبادر الى استمداد ارادة سنية تؤذن لقبطته في السفر الى رومية دون ترتب . فاجاب الوالي الى إلحاحه واستحصل امراً من السلطان عبد الحميد بتسهيل سفر السيد البطريك حالاً في اليوم التالي .

ركب البطريك الانطاكي في ٤ آب احدى بواخر شركة المساجري ماريتيم الفرنسية مستصحباً السيد اقليميس ميخائيل نجاش مطران دمشق الذي كان يعول البطريك على اخلاصه في جلائل الامور ويثق بسداد رأيه في اصعب الخطوب . فركبا كلاهما قاصدين عاصمة الكشلكة . ولم يطالع على هذا الحادث الخطير احدٌ من ابناء الملة وغيرهم سوى آل طرازي فقط . ومن ثم نهض هولاء نهضة الابطال مستأثرين بقول من قال : « للشدائد تذخر الرجال » . وانفذوا الرسائل البرقية فوراً الى ارباب الملة والى النواب البطريكيين واعيان الابريشيات في جميع الانحاء يطلعونهم على ما جرى . ثم استحثوهم على رفع الاحتجاجات الى الكرسي الرسولي في رومة برفض قبول استعفاء البطريك المغبوط . فلبى الجميع نداءهم من كل صوب واتفقت كلمتهم على رفع العرائض البرقية والبريدية الى الحبر الروماني في تأييد البطريك في منصبه ورفض استقالته مصرحين بانهم لن يرضوا عنه بديلاً .

وبتاريخ ١١ آب ١٩٠٢ وصل البطريك الانطاكي الى رومية . وفي اليوم التالي قابل البابا لاون الثالث عشر مكرراً على قداسته طلب الاستعفاء . فما كان من الحبر الاعظم الا ان طيب خاطره ثم باداه بقوله : « لسنا نريد ان نسمع منك ايها الاخ المحترم لفظة الاستقالة . لان ملتك محتاجة الى حسن تدبيرك والشرق مفتقر الى اخبار نظيرك يوشدونه بفضائلهم وينيرونه بمعارفهم . وكيف يمكننا قبول استقالتك وهذه برقيات

جميع مطارنتك ونوآبك واعيان ملتك تحتجُ على ذلك معلنة لنا بضرورة تأييدك في منصبك؟ فنروم ان ترجع الى كرسيك لرعاية الخراف التي استودعتك اياها العناية الالهية . ومن صميم القلب ندعو لك وللمطارنة معاونيك ولاقليرسك ولجميع الشعب السرياني بالتوفيق في كل ما يعود الى مجد الله وخير الكنيسة .

فلم يتالك البطريرك عن الانقياد لصوت خليفة هامة الرسل الذي لطف احزانه بتلك العبارات الرقيقة والعواطف السامية . وبالتالى حنى منكبيه احتراماً لارادة الله تعالى وتحقيقاً لاماني الامة السريانية جمعاً . لاعتقاده الراسخ ان « صوت الشعب صوت الله » .

وبعد ما اقام البطريرك بضعة اسابيع في رومة رأى من الواجب واللياقة ان يعرج في عودته على عاصمة السلطنة ليؤدي فروض الاجلال والاخلاص للحضرة الشاهانية . بيد انه ما وصل الى تلك العاصمة حتى اعترضته مشاكل جديدة أقوى من الاولى دبرها بعض الوشاة ليحولوا دون رضى السلطان عليه وعلى ملته . فوقع البطريرك في مأزق حرج . ولو لم تداركه العناية الصمدية لتعذر عليه الخروج منه .

وقف آل طرازي على خبر تلك المكيدة الخبيثة فاهتموا لاستئصال شأفتها اهتماماً جدياً . وراحوا يتداولون مع صديقهم الوالي رشيد بك في اتخاذ الذرائع الفعالة لرفع تلك التهم عن بطريركهم الصالح السريرة . وتم الاتفاق بينهم وبينه على ان يبعث هو بتلغراف الى المابين الهايوني ينفي فيه تلك الاشاعة الكاذبة ويؤدي في حق البطريرك شهادة صريحة تؤيد اخلاصه للعرش السلطاني . ثم سألوا الوالي ايضاً ان يرسل الى جميع الولايات المشتملة على جماعات سريانية كاثوليكية يطلب الى ولايتها ان يرفعوا الى المرجع الاعلى في الاستانة رسالات برقية تنفي تلك الوشايات المزورة .

نجحت تلك الجهود والحمد لله نجاحاً باهراً وظهرت الحقيقة ظهور الشمس في رابعة النهار . وعلى اثر ذلك تبدل سخط السلطان بالرضى عن

البطريرك وعن ملته التي كانت في كل آن ومكان من أطوع الملل
واوفرها اخلاصاً لدولته . ودلالة على رضاه امر ان يقابله البطريرك بمقابلة
خصوصية . وبعد ان اعلن لغبطته اثناء تلك المقابلة رضاه التام عنه وعن
ملته جمعا . أهدي اليه الوسام المجيدي المرصع الذي لم يكن اهداه فيما سلف
الى بطريرك يقيم خارجاً عن دار السلطنة .

وكما تجند آل طرازي في بيروت تجند صديقهم الدكتور لويس
صابونجي ايضاً في القسطنطينية لانقاذ البطريرك الانطاكي من تلك المكيدة
الشيطنانية . وكان الدكتور في ذلك العهد كاتباً خاصاً ومستشاراً سياسياً
للسلطان المشار اليه .

على هذا الاسلوب انحلت هاتان المشكلتان الخطيرتان وعاد كيد اعداء
الخير الى نحرهم . ثم سافر البطريرك راجعاً الى كرسية في بيروت معزراً
منصوراً يرافقه السيد اقليميس ميخائيل نجاش الذي تعهده كل مدة السفر
بالعناية والاجلال . وجرى لاستقباله مهرجان خارق العادة لم يجر مثله
لبطريرك سرياني قبله . وقد احتفل البيروتيون حينذاك وفي طليعتهم آل
طرازي احتفالاً عظيماً برجوع راعي رعاتهم المغبوط . فاقاموا الولائم ونصبوا
معالم الزينة ابتهاجاً بانتصاره واعترافاً بفضله وتعزيزاً لوفعة مقامه .

القسم الثالث

آل طرّازي والملة السريانية عموماً

الفصل الاول

آل طرّازي ودير الشرفة

تشتمل مكتبة آل طرّازي كما قلنا غير مرّة على مجلدات ضخمة تحت عنوان «العقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين» وقد نُصِّصَ المجلد الثامن منها بمجموعة الرسائل التي اوفدها رئيس دير الشرفة الخوري ميخائيل ازرق الى الاسرة الطرّازية منذ ٢٢ كانون الثاني ١٨٥٣ حتى ١٦ تشرين الاول ١٨٧٥ . ذلك لان آل طرّازي كانوا متولين قضاء شؤون الدير المشار اليه في بيروت وسوريا واوربا وانحاء شتى .

وما عدا نهوض آل طرّازي بشؤون دير الشرفة طبقاً لوكالتهم الشرعيّة فقد ادّوا له من الخدم المجانيّة ما سجّله لهم الرؤساء بالثناء الخالد . ومدّوه ايضاً بتبرعاتهم السخيّة وساعدوه في آونة الضيق كما يظهر جلياً من الرسائل الوافرة التي انفذها اليهم رؤساء ذلك المعهد المبارك . وعلى سبيل المثال نورد فقرة من رسالة كتبها الخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير المشار اليه في ٢٥ تشرين الاول ١٨٦٥ وهي :

« . . . ثم ان ما تفضلتم بارساله ليرا مجيدية خمسة وعشرين^{١)} على وجه الاحسان لديركم المغمور بافضالكم فقد احتسبناه فضلاً محضاً صادراً من قبل شيمكم الحميدة . لان ديركم مديون لغيرتكم وسوابق افضالكم . فنسأله تعالى ان يزيدكم نعماً وبركات . ونتوسل الى سيّدة النجاة صاحبة المقام ان تكون عطيتكم مقبولة لديها وتضاعف اجركم دنيا واخرى . وتحرسكم مع عيالكم من كل كدر على الدوام . . . »

وقد سبقنا فذكرنا في الفصل الثاني من القسم الاول تحت عنوان « آل طرازي وتكوين الملة السريانية في بيروت » صفحة ١٨ ما كتبه العلامة الدكتور لويس صابونجي بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٨ الى الفيكنت فيليب دي طرازي ممّا يؤيد حقيقة ما نحن في صده . والآن نضيف الى ذلك ما كتبه الطيب الذكر مار اغناطيوس فيلبس الاول الى الكنت نصرالله دي طرازي من دمشق بتاريخ ١ حزيران ١٨٦٧ ونصّه :

« . . . فيا حضرة ولدنا العزيز انكم تعرفون انه لا يوجد لنا مساعدون سوى بعض ذوات قلائل الذين أخصهم انتم . وحضرتكم اكبر المساعدين لدير الشرفه من زمن والدم المرحوم . . . »

وما عدا اهتمام آل طرازي بتعزيز دير الشرفه فانهم كانوا يكابدون مشقات السفر اليه ركوباً على الخيل قبل انشاء الطرق الحديثة العهد . وكانوا يقصدون ذلك المعهد المقدس كلما دعت الحال وكلما جرى فيه احتفال من الاحتفالات الدينية كتخصيب بطاركة وسيامة اساقفة او كهنة . وفي هذا الدير سيم سليلهم الخورفسقوس اندراوس طرازي كاهناً بتاريخ ٨ كانون الثاني ١٨٥٤ بعد ما تلقن فيه العلوم الكهنوتية . وهو باكورة الكهنة الذين

(١) الليرة المجيدية هي عين الليرة العثمانية الذهبية المتداولة في يومنا . وقد سُميت « مجيدية » نسبة الى السلطان عبد المجيد الاول (١٨٣٩ - ١٨٦١) الذي كان اول من أوجد نقوداً ثابتة في السلطنة العثمانية . وما قلناه عن الليرة المجيدية يقاس ايضاً على الريال المجيدي وفروعها .

رقاهم مار اغناطيوس انطون الاول الى الدرجة المقدسة في اول عهد بطريركيته .

على ان آل طرازي كلما كانوا يقصدون ذلك الدير الشريف كانوا يجودون عليه بيد سخية عربوناً لاعتبارهم له وتعزيزاً لمقامه . ولما تفتشى الهوا الاصفه (الكوليرا) في بيروت عام ١٨٦٥ ارسل الخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير يستدعيهم اليه ويصرح لهم بانه قد اخلى جميع الغرف وهياها لهم ولانسباهم كي يقضوا فيها فصل الصيف . وقد لبى آل طرازي دعوة الرئيس الجليل ويمموا ذلك الدير ونصبوا في ساحته خياماً خصوصها بسكناهم ريثما تمكنوا من تنظيف الغرف وتجهيزها على نفقتهم بالاثاث الجديد بدلاً من الاثاث القديم . هكذا قضوا في ذلك الدير اربعة اشهر حتى انقشعت سحابة الكوليرا عن بيروت . فلما عاد الرئيس والتلاميذ من ميروبا شاهدوا الدير في حالة جديدة غير الحالة التي تركوه فيها . فأطلق الرئيس لسانه بالثناء على اريحية آل طرازي وشكر لهم تلك المكرمة التي لم تخطر بباله .

وزد على ذلك كله انه لما باشر البطريرك مار اغناطيوس جرجس الخامس بناء كنيسة جديدة في دير الشرفة عام ١٨٧٥ تبرع آل طرازي في هذا السبيل بمبلغ ٤٢٩٠ غرشاً ذهباً كما هو مثبت في سجل الدير الموما اليه . وقد تلقى الكنت نصرالله دي طرازي دعوة رسمية وجهها اليه البطريرك مار اغناطيوس جرجس الخامس في ١٨ تموز ١٨٨٨ ليحضر الاحتفال هو والنجاله الاربعة بافتتاح مجمع دير الشرفة واختتامه . وقد القى نجله الثالث الفيكنت فيليب في اليومين المذكورين خطبتين نفيستين على المائدة . ودبج خطبته الثانية بابيات شعرية ختمها بيت تاريخي لعقد ذلك المجمع الشهيد هذا نصها :

احبار ملتنا اقاموا مجمعا نالوا به في الشرق أبعد شهرة
للمدين والتهديب خير شرائع ستوا بعهد البطريرك ابن الشلحت

أحيوا رسوماً قد عفت آثارها من خالصات الأعصر الرسليّة
فقدوا بذلك مُنيةً كنا الى تحقيقها نسعى لفخر الملة
سقياً لهذا البطريق فعهده برئاسة السريان زاهي الطلعة
لا غرو فهو ييمن تاريخ أب فيه لهم شرفٌ بجمع شرفه

١٨٨٨

وكان لخطابي الشيكنت فيليب رنة استحسان لدى ابحار الملة قاطبة .
فطلبوها منه رسمياً ليُدْرَجاً في أعمال المجمع فلبى طلبهم . ولما ارسل نصّ
الخطاب الاول بعث اليه المطران ربولا افرام رحمانى برسالة مؤرخة في ٢٨
توز ١٨٨٨ جاء فيها : « . . . قرأت النطق الذي تلوتّه حين الطعام والذي
التفتني بنسخة منه فطاب لي جداً . وقد أمرت الكاتب بنقله الى كتاب
اخبار مجمعنا . . . أعد النفس وأمنيها بانك طبقاً لوعدك ستأتينا الى الشرفه
وقلبت لدينا أياماً . . . »

ولما قررت حكومة جبل لبنان عام ١٨٩٤ مدّ طريق العربات من
جونية الى صرود كسروان فرضت على القرى والديورة المجاورة للطريق
مبلغاً من المال . فارتضى رئيس دير الشرفه ان يدفع مائة ليرة عثمانية ذهبية
بشرط ان تمرّ تلك الطريق بجانب الدير . غير انه لما باشرت الحكومة هذا
المشروع وطالبت المكتبتين ان يؤدّوا ما عليهم تمنع وكيلا الدير عن الدفع
ظناً منهما ان الحكومة تغض النظر وتعفي الدير مما تعهد به . بيد ان
الحكومة شدّدت الطلب على الوكيلين توصلاً الى حقوقها المشروعة . فوقع
الخورفسقفوس بولس هبرا رئيس الدير في مأزقٍ حرج بداعي تغت الوكيلين
وأخذ يستعطف اهل الحل والعقد فلم يفرز بالنتيجة المرضية . وحين ذاك
استنجد آل طرازي اصداقاً دير الشرفه منذ قديم الزمان راجياً منهم ان
يتوسطوا بين حكومة لبنان وبينه لحل الخلاف . فعرض آل طرازي هذا
الامر على صديقهم نعيم باشا متصرف جبل لبنان وسأله ان يخفّض المبلغ
الى خمسين ليرة عثمانية ذهبية بدلاً من المائة ليرة . فاجاب الباشا الى طلبهم

كرامة لخطارهم وحسماً للخلاف الذي طال مداه .

لكن الحكومة كانت قد بدلت اثناء تلك المفاوضات تخطيط الطريق وقررت بداعي الاختلاف مع الوكيلين تحويله عن دير الشرفة . وهكذا أصبح الدير بعيداً عن الطريق العامة وحُرم سكانه منافعها . وقد اقرّ الوكيلان بغلطهما بعد ما شاهدا بأمّ العين ما ينجم من الفوائد العظيمة عن انشاء الطرق العامة . وفي السنة ١٨٩٧ رأى الرؤساء ان لا مندوحة لهم عن ايصال الطريق الى الدير فانفقوا في سبيل ذلك اضعاف المبلغ الذي سبقوا فدونه في الاكتاب . واصبحوا علاوة على ذلك مضطرين ان ينفقوا كمية من المال سنة فسنة على حساب الدير لاجل تعبيد تلك الطريق الخاصة والمحافظة عليها .

وفي السنة ١٨٩٧ توجهت الكونتس مئة دي طرازي وانجها قاصدين ميروبا لقضاء فصل الصيف . فعرجت في طريقها على دير الشرفة حاملة معها ثمانية شمعدانات جميلة التحفت بها كنيسة سيّدة النجاة اعياها السلام .

وفي السنة ١٨٩٨ انطلق الفيكنت فيليب دي طرازي الى الدير عينه وتبرّع بمبلغ من المال ينفق على تبليط الممشى التحتاني والغرف المحيطة به . وكان ذلك في عهد رئاسة الخورفسقفوس بولس هدا . ولم يكتفِ الفيكنت بمساعداته المالية للدير في كل مرة كان يزوره بل أسنى اليه من الهدايا الثمينة والتحف القيّمة والرسوم النادرة والحرائط التعليمية ما خلّد له فيه اجل تذكّار .

وقد دفعته محبته لهذا الدير وغيرته على تعزيز شأنه الى ان ينشئ له تاريخاً مفصلاً مستوفى سمّاه « التحفة في تاريخ دير الشرفة » جمع فيه أخبار ذلك المعهد المّلي فأورد فيه حوادث تأسيسه والمحسنين اليه . وأخبار كنيسته والمجامع التي عقدت فيه . ثم أثبت حوادث مطبعته ومدرسته ومكتبته . وأسهب في ذكر السادة البطارقة الذين اقاموا فيه والكهنة الذين تولوا رئاسته والاحبار الذين اشتهروا بين تلامذته . وسرد اسماء الكتبة الذين

نبغوا من طلبة مدرسته مع عناوين مؤلفاتهم . الى غير ذلك من الفصول التي يتوق الى مطالعتها ذوو البحث عن آثار الشرق والشرقيين . وقد ضمن المؤلف هذا التاريخ فوائد كثيرة لم يسبقه الى ذكرها احد من ابناء الملة الكليريكياً كان ام عالمياً . فاستحق على عمله الشناء المتواصل والذكر الجميل الخالد من ابناء الملة عموماً ومن تلامذة الشرفة خصوصاً .

ولا بأس ان نضيف الى ما سبق ذكرى مكرمة جليلة اتاها الفيكنت فيليب المشار اليه عربوناً لمحبته واعتباره لدير الشرفة وحرصاً على آثاره المقدسة . فانه اعتنى عناية خاصة بصورة سيّدة النجاة التي كان المثلث الرحمت مار اغناطيوس ميخائيل الثالث مؤسس الدير يستصحبها في اسفاره . وقد كانت تلك الصورة مهلة منسية وكان مصراعها مبعثرين في زوايا الدير . فجمع الفيكنت حرسه الله كل ذلك وكلف احد الرّسامين المشهورين باعادة الصورة الى رونقها القديم . ثم استصنع لها صواناً من البلّور والخشب الممتاز ونصبها في مذبح الدير الكبير .

ومما نذكره لهذا الفيكنت الغيور الهام انه لما بلغه ان الحكومة الايطالية استولت على دير السريان الكاثوليك في رومية^(١) وحولته الى بيوت للسكنى خشي ان تأخذ يد الضياع ضريح منشئه الحبر الجليل السيّد اثناسيوس سفر العطار (١٩٢٨+) مطران ماردين . فكتب حالاً الى صديقه الحور فسقفوس يوسف هبرا الوكيل البطريركي في رومية وطلب ان يرسل اليه هامة الحبر المشار اليه لتحفظ في دير الشرفة . فلما استحضرها هيأ لها الفيكنت صندوقاً من خشب وزجاج واستكتب تاريخها ووضعها في مكتبة الدير كذخيرة ثمينة الى هذا اليوم .

والى الفيكنت فيليب يرجع الفضل ايضاً في إحياء ذكر أقدم الذين احسنوا الى دير الشرفة او بذلوا افعالهم لاجل تأسيسه . فانه كتب الى البلاط

(١) طالع اخبار هذا الدير في كتاب « السلاسل التاريخية » صفحة ٣٥-٣٦ لمؤلفه الفيكنت فيليب دي طرازي .

الملكي في اسبانية وطلب رسمياً صورتي الملك كراس الرابع وزوجته الملكة ماري لويز كي ينصبهما في دير الشرفة تحليداً لذكر هذين العاهلين وعرفانا لاحسانهما . وما ان وصلت اليه صورتا الملكين المشار اليهما حتى بادر الى تكبير حجمهما على نفقته . ثم وضعهما ضمن إطارين وزين بهما بهو ذلك الدير العامر .

ومن حسنات القيكنت فيليب دي طرازي انه اعتنى بجمع اهم الوثائق واقدما التي كانت مبعثرة في زوايا دير الشرفة . فرتبها واحدة فواحدة ثم ضمها الى بعضها وأحضرها الى بيروت وأوعز الى مدير المطبعة الكاثوليكية ان يجلبها بعد اصلاح ما تفرق منها . وما صنعهُ بتلك الوثائق الشمينة صنعهُ كذلك بالسُّسْطائيقونات البديعة التي خلفها الاجداد وكاد يذهب الدهر برونقها لتراكم الغبار عليها او لكثرة تداولها بين ايدي مَنْ لا يدرك قيمتها الاثرية . فأرشدته فكرته الواسعة الى اتخاذ وسيلة مشكورة لوقايتها والحرص عليها . وهي انه احضرها ايضاً الى بيروت وكلف بعض ذوي الفن الشرقي باعادتها الى حالتها القديمة من دون ان يعتورها خلل . ثم الصقها بقماش متين واستصنع لكل منها صواناً خاصاً به يبقى محفوظاً ضمنهُ على كرور الاحقاب . وأهدى كذلك الى متحف دير الشرفة محفظة تحتوي على أثرٍ من حلية العلامة السيّد اقليميس يوسف داود مطران دمشق وعالم علماء الملة السريانية في القرن التاسع عشر رحمه الله تعالى .

ومما لا يسعنا ان نغض عنه في هذا المعنى ان الفيكنت حرصه الله رأى أن اضرحه البطارقة والاساقفة المدفونين في مصلى دير الشرفة خالية من أثر ظاهر يذكر الخلف بالسلف . فاقترح ان تقام في جدران هذا المصلى القديم صفائح رخامية ينقش على كل منها اسم حبرٍ من اولئك الاحبار مع تواريخ ولادته وقيامته ووفاته . فيكون ذلك مدعاة الى تجديد ذكركم الطيب والترحم على نفوسهم . وتحقيقاً لهذه الفكرة الصالحة سبق فاستصنع صفيحة رخامية نقش عليها اسم السيّد كوارتس انطون دياربكرلي اول

اساقفة السريان في بيروت . وهي اول صفيحة من الصفائح التذكارية التي دُبج بها المصلّى المشار اليه . ومنذ ذلك العهد اخذ رئيس الدير وسكّانه يقصدون هذا المعبد المهيّب كل يوم سبت بعد صلاة الغروب لاقامة تسمّشت (~~المحكمة~~) الموتى عن ارواح الاحبار الراقدين هناك بالرب .

ولما ضربت المجاعة اطنايها في انحاء جبل لبنان اثناء الحرب العظمى (١٩١٤-١٩١٨) وقع دير الشرفة في عسر مالي شديد لم يسبق له مثيل منذ تأسيسه . لانه نكب حين ذاك بتناقص وارداته وزيادة نفقاته وتكاثر عدد سكّانه . فاضطرّ الى استقراض الاموال بفائدة باهظة للقيام بعيشة جميع النازلين به واللاجئين اليه والمحتاجين الى احسانه^(١) . فحرّكت الشفقة عواطف الفيكننت فيليب الذي نهض حالاً وسعى في ارسال ثمانية عشر قنطاراً من الحنطة على سبيل المساعدة الى الدير لوجه الله تعالى . وقد تسامها وقتئذٍ المونسنيور افرام حيقاري الذي كان رئيساً على ذلك الدير اثناء الحرب . ولم يقف الفيكننت عند هذا الحدّ من المساعدة للدير المذكور بل بعث اليه على يد الرئيس المشار اليه مرات شتى بكميات وافرة من الالبسة التي خاطتها والدقة وزوجته وشقائقه بايديهنّ لتوزع على تلامذة دير الشرفة وعلى اكثر الفقراء المقيمين حوله . واجتهد كذلك مع زوجته السيّدة اوجيني في انقاذ حياة ستين ولداً ذكوراً واثناً من سكان القرى المجاورة لهذا المعهد المبارك أو من أولاد مزارعيه في بقعاتا وميروبا ورعشين ومزرعة كفردبيان وغيرها بادخالهم الى المآوي الخيرية والمطاعم المجانيّة^(٢) في بيروت . واليك فقرة من رسالة وجهها المونسنيور افرام حيقاري الى الفيكننت فيليب

(١) لدى حلول تلك الضائقة المالية لجأ المونسنيور افرام حيقاري رئيس دير الشرفة الى اريمية الفيكننت فيليب دي طرازي . وكتب اليه بتاريخ ٥ تشرين الاول ١٩١٧ يسأله ان يجد له شخصاً يقرض الدير مبلغاً من المال . فاجاب الفيكننت بكل ارتياح الى سؤاله وانجز رغبته .

(٢) تؤيد ذلك رسالتان وجهها (البطريك مار اغناطيوس افرام الثاني من قرية ميروبا الى الفيكننت طرازي بتاريخ ١٩٠٩ ايلول ١٩١٧ .

بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩١٦ تزايد ما سبق بيانه قال :
 «... اني اشكركم تكررًا على شحنة الثياب الثانية التي تكرمتم بها
 لتوزع على الفقراء المساكين . وكل الذين أصابهم منها شيء . رفعوا الادعية
 الحميمة الى الغزة الالهية بشأنكم وشأن عائلتكم الكريمة . فاقدم
 لجنايبكم امتنانهم الخالص . والله المسؤول ان يمنحكم الاجر الوفير وهو
 القائل : « كنت عرياناً فكسوتوني »

ومن جملة الايادي البيضاء التي جاد بها الفيكنت فيليب على دير
 الشرفة اثناء الحرب الطاحنة انه ارسل اليه كمية وافرة من القراطيس
 لاجل الكتابة . وكان الورق في ذلك الوقت العصيب غالي الثمن ونادر
 الوجود . فكتب رئيس الشرفة المنسيور افرام حيقاري عينه الى المحسن
 المشار اليه بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩١٧ قائلاً : « تشرفت بكتابكم وبه
 تعلموني بارسال رزمتين كبيرتين من الورق لكتابة الرهبان . قد استلمت
 الورق المذكور وهي بالحققة هدية ثمينة خاصة في هذه الآونة . فرأيت ان
 اتشرف وارفع اليكم اعظم الشكر على اياديكم البيضاء . وصار سائر
 التلامذة الرهبان يتذكرونكم ويصلون لكم وللعائلة ليس مرة في اليوم
 بل مرات عديدة لدى كتابة فروضهم الخ » . وما عثم ان اعاد الرئيس
 ذاته الكرة فطالب ايضاً بتاريخ ٥ قوز ١٩١٨ كمية اخرى من الورق
 فلبى الفيكنت طلبته بكل ابتهاج .

وقد قدر الرؤساء للفيكنت فيليب فضله وجميله وتحذثوا بعبقريته
 ومكارمه . وأبدوا له عواطف الشكر خصوصاً لما تبرع به على مكتبة
 دير الشرفة من نفائس الكتب والمخطوطات . فكتب اليه السيد المطران
 اقليميس ميخائيل بجاش رئيس الدير رسالة مؤرخة في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٥
 نقطف منها ما يلي :

«... كن على ثقة ايها الوجه الارمحي ان الشرفة ستشيد بمكارمك
 وتبث في الملاء جميلك عليها ونعمك اليها ما قامت آثارها . وتذكر بنينا على

تعاقب الزمان بما تقرأه عليهم من سجلات المحسنين اليها : ان آل طرازي وعلى الخصوص الفيكنت فيليب كان من محبيها ومن المفضلين عليها . وتوجب عليهم الصلاة عليك حياً واستمطار غيوث الرحمة والرضوان من بعد العمر الطويل عليك راقداً . هذا وزغب الى فضلك ان تتم يديك فتخص خزانة كتبها برسمك فيزيئها تحليداً لحسن آثارك وآية لاعترافها باجلال قدر المحسنين اليها . . . » .

وكتب اليه ايضاً خلفه في رئاسة الدير الخورفسقفوس جرجس ستيتيه (مطران دمشق حالياً) رسالة مؤرخة في ١٥ كانون الثاني ١٩٣١ ورد فيها ما نصه : « . . . فان لجنايبكم على شرفتنا وشرفتك من الايادي البيضاء . والنعم الغراء . ما يجعلنا مدى الدهر ننشر آلائكم ونذيع مكارمكم » . وخلاصة القول اننا لا نعرف رجلاً سريانياً جاد على دير الشرفة بالتحف الثمينة كالفيكنت فيليب دي طرازي . فان ولعه بتعزيز مكتبته جعله ان يصرف الايام الطوال في تنظيمها وتبويب مواضيعها وتجليد قسم وافر من مصاحفها . ثم أهدى اليها نيقاً وألفين واربعمئة مجلد ونحو المائة والثمانين كتاباً مخطوطاً . وبين هذه المخطوطات طائفة من المجلدات التي ألفها الفيكنت وكتبها بخط يده ولم يتيسر له نشرها . فكانت تلك العوارف باعثاً ليشتي على أريحيته جميع محبي المعهد المذكور وفي مقدمتهم غبطة السيد البطريك مار اغناطيوس جبرائيل الاول . فانه انفذ اليه بتاريخ ٢٠ ايلول ١٩٣٠ رسالة نفيسة نجعلها مسك الختام لهذا الفصل . واليك نصها :

« اغناطيوس جبرائيل الاول البطريك الانطاكي

« حضرة ولدنا السري الفاضل الفيكنت فيليب دي طرازي امين دار الكتب الكبرى ببيروت الاكرم رعاه الله تعالى

« نهدي اليكم البركة الرسولية والسلام والمحبة بالرب

« أما بعد حمد الله عز شأنه فنقول : لئن قام في بني السريان رجالات

عظام من ارباب الكهنوت امتلأوا غيرة على صالح الطائفة وبذلوا النفس والنفس في سبيل اعلاء منارها ورفع شأنها فلم تحرم الامة ما بين ابنائها العالميين متمن ضاهوا اولئك الاعلام في غيرتهم وبذل أنفسهم وذات يدهم في هذا السبيل.

« وليس من مقصودنا في هذه العجالة تعداد المبرزين في هذه الحلبة من تينك الطبقتين ولا وصف ضروب الخير المتعددة التي آتوها الامة . بل نقصر الكلام على احدى المآثر — وقد دعانا الى ذكرها تفقدنا خزانتي كتب دير كرسينا البطريركي في الشرفة — ونأتي بشاهدين من الفئتين المذكورتين على ما قدمنا .

« لا غرو ان السعي الحثيث في انتقاء الكتب النفيسة والمؤلفات الثمينة وتوفيرها في كل فرع من فروع العلم الصحيح والفنون الجميلة وتأليف خزانة صالحة منها ووقفها على معهد يزاوله الساعون في نشر الفضيلة والعلم والادب . ويختلف اليه المدعوون ليكونوا يوماً قادة الامة ونبراسها هو من اقوى العوامل على فلاح تلك الامة وانجح الوسائل في رقيها ورفع قدرها .

« ولقد أفينا من جملة الناشطين لهذا العمل طبقاً للآثار التي طالعناها في خزانتي معهد الشرفة البطريركي فردين كريمين وشاهدين كبيرين من الطبقتين يدعونا الواجب ان ننوه باسمهما خصوصاً :

احدهما هو سالفنا المجيد الطيب الذكر السيد اغناطيوس ميخائيل الثالث من اسرة جروة النبيلة مؤسس هذا دير كرسينا الانطاكي . فقد عانى هذا الحبر القديس على قلة ذات يده الامرّين في جمع طائفة صالحة من تلك المصاحف بالسريانية والعربية . منها ما وضعه هو نفسه . ومنها ما نسخه بخط يده المباركة . ومنها ما استنسخه غيره . ومنها ما هو منشور بالطبع اشتراه بماله . وقد ضم الى هذه المؤلفات ما كان في حوزة والده الشماس نعمة الله وشقيقه الكافلير جبرائيل . ثم وقف مجموع ذلك كله على

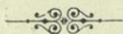
دير الكرسي البطريكي . يؤيد ذلك الصكوك والمخطوطات الشتي المصونة بكل حرص في سجلاته وفي داري كتبه كليهما .

« اما الشاهد الثاني من فئة العالمين فاننا بمل الارتياح والمفاخرة نثبت اسمكم الكريم ونأتي بكم حجة دامغة وشاهداً لا يدافع ايها الابن الحبيب يا حضرة الفيكنت فيليب دي طرازي النبيل . فهذه كتبكم الوافرة اليتيمة من منظوم ومنثور وعلوم وفنون . ومن مخطوط نادر ومن منشور بالطبع قيم باللغات المختلفة . وقد صرفتم في تأليفها او نسخها بخطط يدمكم العمر والسهر الطويل . او انفقتم في سبيل الحصول عليها الدنانير الوهاجة . واصبحت اليوم تزين خزانتي كتب الشرف المخطوطة والمطبوعة ووسمت باسم واقفها الكريم . فهذه الكتب لهي بينات ناطقات بغيرتكم المتقدمة المتأججة على صالح الامة وبفضلكم المتواصل على معهد الشرف المقدس وبكرم تلك العترة الطيبة الاصول والركية الفروع التي تنتمون اليها وهي عترة آل دي طرازي الشريفة .

« اننا نتمت هذه الفرصة ايها الابن العزيز الغيور لنثني الثناء الجميل على اريحييتكم . بل نشكر لكم الحديث والقديم من عوارفكم . ونسأل المولى المتان ان يزيدكم فضلاً ويتولى عنا وعن دير كرسينا الانطاكي مكافأتكم في الدارين .

« وفي الختام ندعو لكم من صميم القلب بمزيد التوفيق وطول البقاء . ثم نهدي اليكم تكراراً والى افراد اسرتكم الكريمة البركة الرسولية والسلام والمحبة بالرب . حرسكم المولى واياهم مديداً .

« عن دير كرسينا البطريكي في الشرف ٢٠ ايلول ١٩٣٠ »



الفصل الثاني

آل طرازي والكنائس والاديار السريانية

لم يقتصر آل طرازي على مساعدة ملتهم وكنائسها ومعاهدها في ابرشية بيروت فحسب بل شملت غيرتهم ابرشيات اخرى . ولدينا شواهد جلية تنطق بآتيهم في سبيل امتهم السريانية وتعزيز شوونها ادبياً ومادياً . واليك بعض ما عثرنا عليه من تلك المبرات نوجزه في ما يلي :

١ : الكنيسة الكاتدرائية في حلب

كان المرحوم الياس طرازي (١٨١٢-١٨٥١) رجلاً باراً زهد في الحطام الدنيا وقضى شطراً كبيراً من حياته في خدمة المشاريع الخيرية . ومن مآثره الطيبة أنه اهدى الى كنيسة السيدة في الشهباء وطنه ندوراً شتى . نذكر منها انجيلاً مصقفاً بالفضة وموشى برسوم ذهبية تمثل آلام السيد المسيح له المجد وتحيط بزواياه الاربعة رسوم الانجيليين الاربعة . وقد نهى السالبون بتاريخ ١٦ تشرين الاول ١٨٥٠ لدى احتراق الكنيسة والدار البطريكية المجاورة لها . ولما سافر المرحوم نعمة الله طرازي^(١) (١٨٢٥-١٨٩٧) من

(١) انتقل نعمة الله طرازي الى رحمة ربه بتاريخ ١٠ كانون الثاني ١٨٩٧ في مدينة مرسلية . وقد أرتخ وفاته هذه الايات صديقه العلامة سليمان البستاني وزير التجارة والزراعة في السلطنة العثمانية سابقاً ومعرب «الباذة اوميرس» واحد منشئ «دائرة المعارف» البستانية قال :

اليوم عن آل طرازي الكرام نأى	شهم بكاه ذوو الحاجات حين مضى
أبقى لهم بعده الذكر الجميل وفي	مرسلية سعدته مثل الشهاب أضاً
يرثي الوري نعمة الله الذي رزئت	به القلوب فلا ترجو له عوضاً
هذا الذي عاش في دنياه محترماً	تاريخه في الاعالي رحمة ورضى

مرسيليا الى حلب عام ١٨٧١ ذكره مطران الابريشية السيد ديونوسيوس جرجس شلحت بكتاب الانجيل المشار اليه أسفاً على فقدانه شديد الأسف .
فما كان من المرحوم نعمة الله إلا ان رغب الى المطران ان يصيغ بالفضة على نفقته جميع دقات اناجيل الكنيسة المذكورة . فأثنى المطران الجليل على اريحية هذا الشهم الكريم ودبج جميع اناجيل الكنيسة بدقات فضية . ثم كتب رسالة مؤرخة في ٣٠ كانون الثاني ١٨٧٢ الى آل طرازي محولاً عليهم قيمة اكلاف تلك الاناويل فأدوها لسيادته بالشكر والامتنان .

٢ : كنيسة مار الياس الحي في القاهرة

ثم اننا نذكر بالرحمة الخورفسقوس اندراوس طرازي الذي قرأ العلوم في دير الشرفة ورقاه السيد اغناطيوس انطون الاول الى الرتبة الكهنوتية في ٨ كانون الثاني ١٨٥٤ . وهو باكورة الكهنة الذين وضع عليهم اليد هذا البطريك المعبوط . ثم انفذه الى القطر المصري بمثابة نائب بطريركي فجمع شمل الملة واستحصل الامر باستعرافها رسمياً لدى الحكومة المصرية في عهد الخديو سعيد باشا . وكان الخوري اندراوس من اكبر الساعين في تشييد كنيسة مار الياس الحي مع دار لسكنى كاهن الرعية في محلة درب الجينية بالقاهرة .

٣ : دير مار افرام الملقان في ماردين

ولآل طرازي اياد بيضاء على دير مار افرام المؤسس في الناحية الغربية بماردين . ومن حسناتهم الكثيرة اليه انهم اتحفوه عام ١٨٩٨ بصورة كبيرة مرسومة بالزيت تمثل مار افرام الملقان جالساً الى باب منسكه تحيط به جفنة فنوا . وتشاهد فوقه صورة مريم العذراء حاملة على ذراعيها ابنها السيد المسيح عز شأنه . وتعد هذه الصورة الرائعة من ابداع ما رسمته ريشة مصور في هذا الزمان . وازاف الفيكنت فيليب الى هذه المبرة انه

استصنع صورة كبيرة مفتخرة تمثل رئيس ذلك الدير الخورفسقوس افرام
احمدقنه المشهور بتقواه وفضيلته .

وواصل الفيكنت فيليب حسناته الى دير مار افرام في احوال مختلفة
بحيث ان رئيسه ورهبانه اعبوا له في فرص شتى ورسائل عديدة عن عواطف
معرفة الجميل . وحسبنا ان نثبت هنا رسالة وجهها اليه ذلك الرئيس الجليل
بتاريخ ٣٠ ايلول ١٩١١ قال :

« . . . على انكم لم تكتفوا بمساعدة الطائفة جمعاء . ببرأتكم
وتبرعاتكم الوافرة بل رحمتم تلحدون لها الذكر الجميل بتأليفكم وتصانيفكم .
وايم الحق اننا لا نسمح الله اذا حاولنا انكار معروفكم وسماحتكم
وسخائكم نهضت آثاركم التي في بيئنا ومعايدنا وغرفنا فعتقتنا وونجنتنا .
وعليه فتروننا نرد ذكركم الجميل خاصة عندما نرى اسم اسرتكم النبيلة
مرقوماً في صورة ايونا مار افرام التي جدتم بها على ديرنا . دعوا غيرها من
الآثار التي تذكر فتشكر . على ان النفيس نفيس ايونا حل . والكريم كريم
كيفما كان .

« والآن نعلمكم ايها الفيكنت العزيز الفاضل اننا انشأنا يانصيباً
خيراً لديونا ووزعنا اوراقه على الابريشيات . وارسلنا باسم حضرة الخوري
يوسف اسطنبولي القوي ورقة ليوزعها في بيروت وتوابعها . فنفرع الى
حضرتكم ملتجئين من غيرتكم ان تُعينوه وتسعفوه فان لكم اليد
الطولى في ذلك . وقد شكونا عاتنا الى طيب واتزلنا حاجتنا بكرم له
الذكر الطيب المخلد في قلبنا وقلب جميع الرهبان »

٤ : الكنيسة والنيابة البطريركية في اورشليم

وفي السنة ١٩٠٠ عزم السيد اغناطيوس افرام الثاني ان ينشئ في القدس
الشريف معهداً للمآة . فكلّف الفيكنت سليم دي طرازي ان يتوجه الى
تلك المدينة لانتقاء ارض صالحة يؤسس فيها معبداً ومركزاً للنيابة

البطريكية . فسافر الفيكانت الى القدس وصرف الجهود الطيبة في مشترى بقعة الارض الواقعة تجاه دير « سيّدة فرنسة » للآباء الصعوديين . ثم عاد الى بيروت فوضع خريطةً لتلك الارض وخريطة ثانية للبناء بواسطة يوسف افندي افيتموس عميد المهندسين في لبنان . وعلاوةً على ما تبرّعت به اسرة طرازي على التزل المذكور فان سليلهم الفيكانت فيليب اسنى اليه ايضاً بمائة ليرة ذهبية . وكان هو واخوته من اكبر المعاوين لغبطة السيّد اغناطيوس افرام الثاني في انشاء يانصيب يُرصد ريعه لهذا المشروع الطائفي . وقد حدّد ثمن كل ورقة من ذلك اليانصيب بخمسة فرنكات ذهبية . هكذا صار تشييد اول مركز للسريان الكاثوليك في اورشليم وانتهى بناؤه عام ١٩٠٣

هـ : كنيسة الخرطوم

لما افتتحت الجيوش المصرية الانكليزية بلاد السودان اخذت حكومة تلك البلاد تنشيط رؤساء الاديان الى تشييد المعابد فيها حباً لترقيتها وعمرانها اذ كانت الى ذلك العهد تتخبط في دياجير الجهل . وظهرت الحكومة حين ذاك استعدادها لمنح كل مئة ارضاً بلا ثمن كي تشيّد فيها معبداً لاتباعها . وقد شرطت لاجل تأييد حق التملك ان يُباشَر البناء قبل مرور ثلاث سنوات على تاريخ تلك المنحة . وقرّرت انهُ اذا مرّت المهلة قبل مباشرة البناء فللمحكومة الحق في استرجاع ما منحتهُ من تلك الارض . انتبه آل طرازي لهذا الامر الخطير وفاوضوا لساعتهم بطريك الملة المغبوط مبيّنين لغبطته الفوائد العظيمة التي تنجم عن تأسيس هذا المركز الجديد . فكلفهم غبطته ان يهدوا الطرق ويبدلوا الجهود للاستفادة من تلك الفرصة . فاخذوا يراجعون من يعتقدون بكفاءتهم تحقيقاً لامنّة السيّد البطريك وتعزيزاً لشأن الملة . وما مرّ القليل من الزمان حتى تمهدت السبل وأجريت المعاملات الرسمية وأُعطي السريان بقعة ارض فسيحة واقعة بجانب

شارع غردون في الخرطوم العاصمة . وسُجّلت تلك البقعة باسم الملة السريانية الكاثوليكية وفقاً للشروط المبينة آنفاً . غير ان المهلة الممنوحة انقضت قبل المباشرة بالبناء فذهبت المساعي كلها ادراج الرياح . وهكذا خسر السريان حقوقهم في تلك الارض التي تساوي اليوم الوفاً من الجنيحات . وبالتالي فانهم حرموا مركزاً دينياً واجتماعياً في بلاد يسكنها عدد غير قليل من بني جنسهم وما برحت تتقدم يوماً فيوماً في معارج الحضارة . ولم تزل بعض الوثائق المتعلقة بهذه القضية محفوظة الى يومنا هذا لدى آل طرازي .

هـ : الرهبانية الافرامية للعداري

تجلّت شهامة آل طرازي عندما اعترم البطريرك اغناطيوس افرام الثاني عام ١٩٠١ على انشاء رهبانية للعداري تنضوي تحت لوائها فتيات الملة اللواتي هجرن الدنيا لممارسة الاعمال الصالحة . وكان يعول في تحقيق هذه الفكرة على رجلين تفرّدا بالاخلاص والحمية وهما : السيد اقليميس ميخائيل نجّاش مطران دمشق والفيكنت فيليب دي طرازي . فانهما أبديا من الجهود المشكورة في تعزيز هذا المشروع لدى تكوينه ما لا يعلمه الا الله تعالى . ودلالة على ذلك ننقل للقراء فقرة من رسالة انفذها المطران المشار اليه الى الفيكنت فيليب بتاريخ ١ شباط ١٩٠١ قال :

« ... الحق يقال انه لو وُجد في طائفتنا شبان غيورون على شرف الامة واعزاز جانبها نظيركم ونظير افراد عائلتكم العزيزة لكانت قد بلغت هذه الطائفة أوج المعالي ... اننا نرى خيراً عظيماً في هذا العمل المبرور الذي ترقص له افئدتنا فرحاً ... ولقد استحسنتم جداً جداً درر عباراتكم وسأبلغها غبطة مولانا البطريرك^(١) . ان المرشحات كثير عددهن وأُملي وطيد ان اجد قريباً ان شاء الله امرأة حكيمة تحسن سياستهن .

(١) كان الخبر الانطاكي في ذاك الحين متغيّباً عن كرسيه في بيروت يمهّد ابرشية الموصل في جولة بطريركية .

المحلّ للمذكورات اذا كان في البدن حقيراً فلا بأس . المعيشة والكسوة اذا كانتا بسيطتين أنسب من ان تكونا فاخرتين . فلنرتض بالقليل فيمن علينا المولى بالكثير . العمل رباني فانه يدبره كما يشاء . ان الشروع به يحقق قيامه وبقائه »

ثم كتب المطران عينه الى الفيكنت فيليب ايضاً بتاريخ ١٨ آذار ١٩٠١ في هذا الصدد يقول :

« . . . نود ان الرهبنة النسائية تقوم باقرب آن . نرى الصعوبات عديدة اما ذلك فلا يخيفنا . املنا وطيد ان سنحت لنا اشغالنا ان نتشرف الى بيروت وبالاتفاق مع جنابكم نجري ما تستصوبونه . المخاطبة متصلة بين صاحب الغبطة وبيننا في هذا الشأن . استنسب غبطته حفظه الله ان يكون المحلّ في جوار الشرفة »

وبعد انقضاء سنتين على افتتاح الرهبانية في بيت مجاور لدير الشرفة رأى السيد البطريرك ان يكفل نجاحها بتشديد دير يكون حرزاً لها في مستقبل الزمان . فابتنى عام ١٩٠٣ ديراً فوق قمة حريصا بالقرب من كرسيه في الشرفة وجهزه بكل اللوازم الروحية والمادية . ثم ضم اليه ست عذارى مشهودن بالفضيلة وحسن السيرة . وفوض رئاسة الدير الى احدهن لما عهد فيه من الحكمة والحنكة . وتعهّد آل طرازي ان يقوموا سنة فسنة بنفقات راهبة من تلك الراهبات احرازاً للشواب وتخفيفاً عن عاتق البطريركية .

غير ان المولى سبحانه شاء باحكامه التي لا تدرك ان لا يطول عمر هذا المشروع الذي كان يؤمل منه خير عظيم . لان مصاعب شتى حالت دون ثباته فقضى عليه وهو في مهد الحياة . اما الراهبات فقد انتقلن بتفويض خاص من الرؤساء الى رهبانية الوردية المقدسة التابعة لبطريركية اورشليم اللاتينية .

٦ : كنيسة مار افرام في باريس

كانت الدولة الفرنسية قد تبرعت على بعض الملل الشرقية الكاثوليكية في باريس بكنائس يؤدون فيها فروضهم الدينية وطقوسهم البيعية . فنال كل من الموارنة والملكيين والارمن كنيسة مستقلة يتصرفون بها وتكون لهم مرجعاً في شؤونهم الروحية . امّا السريان فلم يظفروا بما ظفر به الملكيون والموارنة والارمن الا منذ عهد قريب . ويعود الفضل في ذلك الى الخبر الانطاكي الحميد الآثار مار اغناطيوس افرام الثاني الذي كانت له منزلة رفيعة لدى الدولة الفرنسية . فانه بعد ما وضعت الحرب العظمى اوزارها أخذ يفاوض في هذه القضية ارباب الحل والعقد فوافقوا بكل ارتياح على تحقيق أمنيتهم وتلبية رغبته . ثم اوعزوا اليه ان يختار كنيسة في عاصمتهم مطلقة من كل قيد ليخصصوها بالملة السريانية .

وحينذاك فوض السيد البطريرك الى المنسنيور جرجس خياط وكيله في باريس ان يتدبر هذه المسئلة مراعيّاً فيها خير الملة . فاخذ الوكيل يبحث بكل اجتهاد واهتمام عن كنيسة يتفق عليها الشرط المذكور . وكانت النتيجة انه عثر على كنيسة قديمة واقعة في شارع الكرم (Rue des Carmes) قريب من البنشون يوعاها كاهن باسم الامة الاراندية . وهي من الابنية الاثرية المشمولة بعناية الدولة الفرنسية وحمايتها .

وكان الوكيل البطريركي المشار اليه يتحاشى عن حكمة التظاهر بالسعي في هذا السبيل لئلا يشيع الامر قبل تحقيقه فتتوّل مساعييه الى الخيبة والفشل . واتفق ان الفيكنت فيليب دي طرازي سافر في ربيع السنة ١٩٢٥ الى باريس لاشغال خاصة . فاخذ المنسنيور خياط يختلف اليه ذات المرار ويكاشفه في امر الكنيسة المذكورة . ثم كلفه ان يذهب اليها ويتعهدا عن كُتب ويبيدي رأيه فيها .

فما كان من الفيكنت الا ان سارع الى شارع الكرم وتفقد تلك

الكنيسة كسائح يتوق الى مشاهدة الآثار القديمة . وبعد ما تعهدها مرات شتى ووقف على احوالها وتاريخ بنائها اعتنى باخذ رسمها مع رسوم جميع الاماكن المجاورة لها . وارسل تلك الرسوم الى السيد البطريرك مشفوعة بتقرير موجز ينطوي على ما شاهد بهينه واطلع عليه في هذا الصدد . فكتب اليه السيد البطريرك يثني على غيرته وفوض اليه رسمياً ان يشترك مع وكيله المنسيور خياط الفاضل في تعاطي هذه القضية . وجرت المفاوضة في ذلك بينهما وبين مسيو كانه رئيس دائرة المذاهب والاديان في وزارة خارجية فرنسا .

على ان الفيكنت دي طرازي نهض بهذه الخدمة الجليلة خير نهوض امثالاً لرغبة السيد البطريرك . وظلّ يتردد مع الوكيل البطريركي المرة بعد المرة على مسيو كانه حتى فرغ ثلاثتهم من وضع الشروط التمهيدية لتحويل تلك الكنيسة وتخصيصها بالملّة السريانية . ثم رفع الفيكنت تقريراً ثانياً الى السيد البطريرك عن نتيجة المهمة التي كلفه بها رسمياً . وسأل غبطته ما حأ عليه ان يحضر الى باريس ليقع الميثاق النهائي مع الدولة الفرنسية بشأن تحويل السريان حق التصرف بالكنيسة الموما اليها .

وما عثم ان سافر السيد البطريرك الى باريس وحلّ ضيفاً في نزل الرهبان تحت رقم ٢٢٨ في شارع « Rue du Bac » . وبعد وصوله أجرى المعاملات القانونية بينه وبين الوزارة وتسلم الكنيسة واطلق عليها اسم مار افرام السرياني ملفان البيعة الجامعة . ولم تقتصر الدولة الفرنسية على ارجيئتها هذه بل شأت ان تبرهن عن وافر اجلالها لشيخوخة هذا الحبر الانطاكي ومقامه السامي . فارصدت مبلغاً كافياً لاصلاح الكنيسة وتجديد رونقها . ثم اوعزت الى مجلس بلدية باريس بتوسيع الطريق المؤدي اليها وتنظيم الابنية المجاورة لها حتى اصبحت تلك البقعة قرّة للناظرين . هكذا اتاح الله تعالى مركزاً للسريان ثابتاً في عاصمة الفرنسيين يؤدون فيه فروض العبادة باللغة السريانية التي شرفها السيد المسيح ورسله الاطهار .

٧ : كنيسة المصيطبة في بيروت

ظَلَّت كنيسة مار جرجس المركز الوحيد للملّة السريانيّة في بيروت حتى اخذ عدد ابنائها يزداد سنة فسنة ولاسيا بعد الحرب العظمى (١٩١٤-١٩١٨). وسكن فريق منهم في محلّي المصيطبة والمزرعة حيث دعت الضرورة الى بناء كنيسة مجاورة لهم. فنهض الفيكنت فيليب يهّم بشؤونهم الروحيّة كما سبق فاهتم بشؤونهم المادية. ثم كتب عريضة عام ١٩٢٦ الى الحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر يوضح فيها الاحتياج الى كنيسة جديدة في بيروت قريبة من مساكن اولئك السريان. وسلّم تلك العريضة الى نيافة القاصد الرسولي السيّد فرديانو جيانيني راغباً اليه ان يرفعها رسمياً الى الكرسي الرسولي. فاجاب الحبر الاعظم الى ملتصق الفيكنت ولم يلبث ان تبرّع بمبلغ من المال اوفده الى السيّد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني. فاشترى البطريرك من فوره بقعة ارض في المصيطبة وباشر البناء فيها عام ١٩٢٧ بهتمة المشهورة. ولكن المنية عاجلته قبل انجازها فاكلها خليفته في الكرسي الانطاكي مار اغناطيوس جبرائيل الاول ودشنها في ١٨ ايار ١٩٣٠

٨ : كنائس شتّى

وجباً للاختصار نكتفي بذكر ما سبق ضاربين الصفع عمّا تبرّع به آل طرازي على كنائس آطنه ودير الشرفة وديار بكر وزحلة وصدد وبيت لحم وغيرها. ويتمتع اليوم آل طرازي بقدّاس مؤبّد يقرب في كل سنة على مذبح كنيسة مار يوسف في بيت لحم. ذلك بموجب صك رسمي مؤرخ في ٨ نيسان ١٩٢٧ ومدوّن في سجلّ الكنيسة المذكورة.

٩ : التواريخ الشعريّة للكنائس السريانيّة

ونختتم هذا الفصل بذكر الاشعار التاريخية التي نظمها الفيكنت فيليب

دي طوازي لبعض الكنائس السريانية ندونها حسب تسلسل تواريخها وهي :
 أولاً : تاريخ كنيسة مار جرجس في بيروت وكان قد ارتفع بنيان
 جدرانها سنة ١٨٧٩ وهي السنة التالية لتأسيسها قال :

أنشأ إمام الفضل جرجس بيعةً للميمن باسم شفيعه قد كُرسَتْ
 ضمت خراف المؤمنين لأنها حقاً على إيمان راعيها رست
 بُنيت بجود ذوي الحمية والتقى ومن الساء بجلة القدس اكتست
 أكرم بعام قد هتفت مؤرخاً فيه على خوف الاله تأسست

١٨٧٩

ثانياً : اشعار تاريخية لضريح المطران اثناسيوس رافائيل جرجي في
 كنيسة بغداد . وقد نقشها ناظمها على قطعة من المرمر وارسلها الى كنيسة
 بغداد الكاتدرائية فوضعت فوق ضريح راعيها المثلث الرحمة . وكان نظم
 هذه الابيات باقتراح السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري الذي كتب في ذلك
 الى صديقه الفيكنت بتاريخ ٢٣ آب ١٨٩٤ من بغداد . فاجاب الى اقتراحه
 وهذا نص الابيات المشار اليها :

قبرٌ لرافائيل جرجي حبرنا في بيعة الزورا بات مكرماً
 قبرٌ حوى رجل الفضيلة والتقى وعليه قد سكب المهيمن أنعماً
 قامت لديه في الصباح وفي المسا ذكرى فقيد بالمحامد قد سماً
 هذا هو الراعي الذي من بعده يبكي القطيع عليه دمعاً بل دماً
 صعدت الى مجد الاعالي نفسه من ربه تبغي الجزاء الاعظماً
 لما اصطفاها الله قلت مؤرخاً للقائم خفت ملائكة السما

١٨٩٠

ثالثاً : ابيات تاريخية نظمها في بناء كنيسة حماة سنة ١٩١٠ باقتراح
 كاهنها وهذا نصها :

للخالق السريان نالوا معطفاً فبنوا له هذا البناء الارفعاً
 هو خير مأثرة لراس رعاتنا افرام من حاز الشناء مع الدعاء

وثائق خطية

بجماة مسعاه يدوم مؤرخاً وكنيسة الرحمن لن تتزعزعا

١٩١٠

رابعاً : اقترح الدكتور ابراهيم مدور على الفيكنت فيليب ان ينشئ تاريخاً شعرياً يُنقش على باب المصلّى الذي ازمع هذا الدكتور ان يبنيه في المقبرة السريانية فوق ضريح أسرته . وذلك على اثر وفاة شقيقه المرحوم عبدالله الذي قُتل بتاريخ ٧ ايار ١٩٢٦ في بيروت . فاجاب الفيكنت الى رغبته وانشأ هذه الابيات :

عباد الله شيد لكم مصلّى غدا للبر والتقوى دعامة
بناه بنو المدور فاستحقوا بشرع الدين والدنيا الكرامة
لهم في صفحة الاحسان ذكر وفي الملكوت أجر والسلامة
ثوى أمواتهم أرخ وناموا هنا يترصدون ضحى القيامة

١٩٢٦

الفصل الثالث

آل طرازي والابرشيات السريانية في نكباتها

أصيب بعض الابرشيات السريانية بنكبات شديدة دونها التاريخ في آونة مختلفة . فخصّصنا هذا الفصل بسرد أخبارها وبما ابداه آل طرازي في خلالها من الشهامة والعطف على المنكوبين . وفي ما يلي نورد لها واحدة فواحدة مراعين في اثباتها تسلسلها التاريخي وهي :

١ : زلزال حلب عام ١٨٢٢

جرى هذا الزلزال الهائل في ١٣ آب ١٨٢٢ فهلعت له القلوب اذ تقوّض بسببه جانب عظيم من أبنية المدينة وبات جمهور غفير من سكانها دون مأوى . وكانت خسارة آل طرازي في الارواح والاموال اثناء النكبة

المذكورة تفوق الوصف . لان منازلهم وأغلب عقاراتهم تهدمت ومات منهم تحت الردم سوسنة ارملة المقدسي نصرالله طرازي مع حفيديها . وكان ابنها البكر المقدسي يوسف طرازي (١٧٨٥-١٨٤٥) متطفاً بالتقوى يستسلم في جميع شؤونه لاحكام العزة الصمدانية فلما رأى هذا المشهد الفاجع اعتم صم بالصبر وأخذ يردد مع ايوب الصديق : « الرب اعطى والرب اخذ فليكن اسم الرب مباركاً » (٢١: ١)

وتفادياً من زيادة الخسائر في الارواح نقل المقدسي يوسف أهله الاحياء الى بستان في ضواحي حلب . لان الزلازل كانت تتكرر في الايام التالية تكررًا أشد هولا من المرة الاولى . واستمرت الحال على هذا المنوال شهوياً بحيث ان سكان حلب قضوا بقية فصل الصيف والخريف وشتواً من الشتاء إما تحت الخيام او في بيوت خشبية .

وكان المقدسي يوسف يتردد الى المدينة يوماً فيوماً لاشغاله الخصوصية ويشاهد عدداً صالحاً من اقربائه واصدقائه وأبناء ملتة في حال يرثى لها . فحركت الشفقة فؤاده ودفعته عوامل الرحمة على تخفيف بلايا المنكوبين في تلك الايام العسيرة غير مكترث لما حل به من النوائب . ومن ثم استدعى كاهناً سريانياً من كهنة حلب موصوفاً بالغيرة يقال له القس جبرائيل بهنا . وكلفه ان يبحث سرّاً عن تضرروا في تلك النكبة العظيمة اكثر من غيرهم . فلبى الكاهن النشيط طلب سائله وأطلعته على عدّة من الأسر السريانية التي تبدلت حالها من اليسر الى العسر . فاختر المقدسي يوسف من كان منها أحوج الى المساعدة وابتنى لها بيوتاً خشبية وواصلها بعنايته وحسناته عملاً بوصية السيد المسيح : « اما انت فاذا صنعت صدقة فلا تعلم شالك ما تصنع يمينك » (متى ٦: ٣) . تؤيد ذلك كتابة مسطورة على احدى دفتي النجيل عربي مخطوط يملكه بنو طرازي الى هذا العهد .

٢ : ثورة حلب عام ١٨٥٠

لما حدثت ثورة حلب^(١) عام ١٨٥٠ ذهب المقدسي انطون طرازي (١٧٨٩-١٨٥٥) من بيروت الى الشهباء مسقط رأسه ليفتقد ذويه وابناء وطنه فاجزل لهم العطايا الوافرة وفرج كربتهم بنصائح الحبيبة . وبعد عودته الى بيروت استمر يواصلهم بمساعداته التي استحق عليها الشاء العاطر . يؤيد ذلك رسالة مؤرخة في ٩ شباط ١٨٥١ بعث اليه بها البطريك اغناطيوس بطرس السابع قال :

« من صميم القلب نشكركم الشكر الوافر ايها الابن العزيز على الغيرة التي بذلتموها لاجل مساعدتنا في مصائبنا الكثيرة . فانكم ما اكتفتم بتعزيزتنا على ما لحق بشخصنا من الاهانة ثم بالكنيسة والقلاية من النهب والحريق بل اردتم ايضاً ان تجودوا بما اهتمكم الله تعالى من الاسعاف في حال ضيقنا وشدائدنا . فنحن لا ننسى معروفكم وعلى الدوام نتذكر الطافكم معنا ومع الطائفة . من ضمن مكاتوبكم استلمنا الحوالة التي ارسلتموها من امضاء الخواجات خوري وطاسو على الخواجا كته في حلب . وبموجبها قبضنا من الخواجا كته مبلغ خمسة آلاف وستمائة غرش (ذهب) التي تبرعتم بها . . . وعربوناً لرضانا وشكرنا فاننا نبارككم ببركة ابراهيم واسحق ويعقوب داعين بتوفيقكم الروحي والزماني ومتضرعين الى اله الرحمة ان يفيض عليكم ينبوع الخيرات السابوية والارضية »

٣ : فتنة دمشق عام ١٨٦٠

على اثر الفتنة الشهيرة التي جرت في دمشق^(٢) عام ١٨٦٠ وافى بيروت

(١) طالع اخبار ثورة حلب في كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » من صفحة ١٠٦ الى صفحة ١٠٩ لمؤلفه الفيكننت فيليب دي طرازي .

(٢) راجع ايضاً اخبار فتنة دمشق في كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » من صفحة ٢٨٧ الى صفحة ٢٨٩ بقلم الفيكننت فيليب المشار اليه .

عدد غير قليل من المنكوبين . وحلّ فريقٌ منهم في دار آل طرّازي على
الرحب والسعة ريثما عاد الامن الى نصابه في البلاد الشامية . ثم رجع
المنكوبون الى وطنهم وهم يلهجون بالاثنية المستطابة على أريحية آل طرّازي
وعطفهم . يتضح ذلك من الرسالة التي وجهها السيد غريغوريوس يعقوب
حلياني مطران دمشق على السريان الى آل طرّازي بتاريخ ٣ تشرين الثاني
١٨٦٠ واليك نصّها :

« ... في هذا الاسبوع رجع الى دمشق بعض اولادنا الروحانيين الذين
فروا الى بيروت عند وقوع الحوادث المشؤومة . وبعد فراق ثلاثة اشهر
تعرّى قلبنا الابوي بمشاهدتهم لامرين : اولاً لرجوعهم سالمين الى بيوتهم
واشغالهم . ثانياً لما قصوه علينا من الاخبار المفرحة عن احسانكم وكرم
ضيافتكم مدة وجودهم في منزلكم العامر . لا ندري كيف نعبّر لكم
ايها الابناء الاحباء عن عواطف شكرنا على معاملتكم الطيبة لهؤلاء
المساكين الذين جبرتم خواطرهم المنكسرة واستحييتهم لاجلهم التطويات
الانجيلية . بارك الله في أصلكم واسبغ عليكم وعلى كل من يلوذ بكم
النعم الساهوية والخيرات الارضية . نسأله تعالى ان يطيل بقاءكم فخراً لنا
وللطائفة السريانية المعتزة بكم في كل مكان ... »

٤ : مجاعة الموصل عام ١٨٨٠

نُكبت مدينة الموصل وجميع البلدان المجاورة لها عام ١٨٨٠ بمجاعة
شديدة كادت تؤذي بحياة السواد الاعظم من سكانها . فكتب راعي
ابرسيتها السريانية مار قراس بهنام بني "رسالة برقية مؤرخة في ١٧ آذار الى
الكنيسة نصرالله دي طرّازي وأعقبها برسالة بريدية في اليوم ذاته ليستنهض
همته لمّ يد المساعدة لابناء ابرسيتها الواسعة الاطراف . فشتم الكنيسة الجليلة
عن مساعد الجد وارسل اليه من فوره اربعمائة ريال مجيدي (ثمانين ليرة

(١) ارتقى الى السدة البطريركية عام ١٨٩٣ باسم اغناطيوس جهنم الثاني .

ذهبية (تلغرافياً ليوزعها على الفقراء المحتاجين من المسيحيين والمسلمين .
فورده الجواب من السيد المشار اليه بتاريخ ١١ نيسان ١٨٨٠ وهذا نصه :

« ... قدمنا لبنوتكم المحبوبة قبل هذا مكتوباً يحوي طرفاً عن
احوال الموصل المبتسة بسبب الغلاء الهائل الذي دهمنا ولاسيا ابنا طائفتنا
السريانية . كما اننا كنا قد التمسنا تلغرافياً من تقواكم ورحمتكم المشهورة
اسعافاً لابناء طائفتكم وجنسكم المتضايقين بالجوع في ابرشيتنا . ولم تحب
آمالنا فيكم اذ انه بعد ذلك بايام ورد الينا من امضائكم الكريم
تلغراف به حوّلتم لنا اربعمائة ريال مجيدي اجابة لطلبتنا . فاثنتنا عليكم
قدّام جميع من كان حاضراً لدينا في ديواننا . وشاع في المدينة خبر المدد
الذي مددقونا به ولهجت افواه السريان الكاثوليك بجمدكم . واقتخرنا بان
في طائفتنا رجالاً ذوي جود وكرم مثلكم ... »

ولم يكتفِ الكنت نصرالله دي طرازي بارسال المبلغ المذكور آنفاً
الى السيد قرئس بهنام بني اسعافاً لمنكوي المجاعة في ابرشيتته . بل ارسل
مبلغاً آخر يفوقه كرمًا على يد صديقه الموصلي اصلاً ووطناً السيد اقليميس
يوسف داود مطران دمشق على السريان . فورد من مطران دمشق المشار
اليه جواب بتاريخ ١٤ نيسان ١٨٨٠ يثني على اريحية الكنت وهذا نصه :

« ... اني اشكركم باسمي وباسم جميع ابنا وطني (الموصليين) على
الهمة التي تبذلونها في اسعاف اولئك الجياع الذين يثمزق القلب على الحال
التي هم فيها . وقد ذخرتكم بذلك ذخراً لا ينفد في الدنيا والاخرة .
وقد شمرنا للعمل في هذه الايام لجمع حسنات اهل الخير . والظاهر ان
العاقبة تكون حميدة بدعائكم . ولكن مهما فعل الدمشقيون فليس
عملهم شيئاً بالنسبة الى ما ابداه البيروتيون من التكرم والسخاء ولاسيا
شخصكم الفريد . فجزاكم الله بعلاؤهمتمكم ورقة رحمتكم ... »

٥ : ثورة عرابي باشا في مصر عام ١٨٨٢

لما حدثت ثورة عرابي باشا في مصر عام ١٨٨٢ فرّ كثير من سكان وادي النيل واقلوا الى بيروت والى بعض انحاء لبنان . فاستقبل آل طرازي ابناء ملتهم السريانية وغيرهم وافسحوا للفقراء منهم بعض المنازل لايوائهم بجوار دارهم في محلة خندق الغميق . ثم نصبوا الخيام لفريق آخر منهم في ساحة كنيسة مار جرجس السريانية القريبة من دارهم . اذ لم تكن هذه الكنيسة قد اكتمل بناؤها في ذلك العهد . ولما عادت السكينة الى القطر المصري بذل بنو طرازي كل مساعدة لاولئك المنكوبين ودفعوا نفقات السفر من جيبيهم لمن كان فقيراً منهم .

ولدى رجوع المنكوبين الى وطنهم اخذوا يتحدثون الى كاهن رعيّتهم الحوري يوحنا طواف عن مكارم آل طرازي وعوارفهم اثناء المدة التي اقاموها في بيروت . فكتب الحوري المشار اليه رسالة ثناء الى آل طرازي بتاريخ ١٧ تشرين الاول ١٨٨٢ وهذا نصها بالحرف الواحد :

« ... نهار الاحد الفائت بعد القداس اجتمع في غرفتي بعض ابناء طائفتنا الذين سافروا الى بيروت بداعي حوادث عرابي باشا . وبجسّ دعام رجعوا سالمين الى مصر مشمولين بانظاركم ومغمورين باحسانكم . وكان الجميع من رجال ونساء يتحدثون عن مكارم اخلاقكم وسخاء اياديكم وحنان قلوبكم وحسن ضيافتكم . وكانت الدموع تسيل من عيونهم كلما ذكر اسم جنابكم بالخير او اسم قرينتكم السيدة مئة التي شملتهم بلطفها . وبينما كانوا في زيارتي كلفوني بان احرّ هذه الاسطر التي تنوب عنهم وعني في تأدية الشكر لحضرتكم على معروفكم الذي لا ينسونه مدى الدهر لا زال شأنكم مرفوعاً وبيتكم عامراً بخير الانسانية وفخر الطائفة السريانية بتمّه تعالى وكرمه » .

٦ : مذابح تركياً عام ١٨٩٥

في السنة ١٨٩٥ جرت مذابح شابت لها روزوس الاطفال في ولاية آطنة وغيرها من الولايات التركية . وشملت ويلاتها اكثر النصارى القاطنين في تلك الاصقاع . فذهب جانب كبير منهم ضحية الجهل والاستبداد حتى اصبح القتلى يُعدّون بعشرات الآلاف . فازاء تلك الحوادث المشؤومة لم يتأخر بنو طرازي عن اغانة اخوانهم في الانسانية . فارسلوا الى نسيبهم الخورفسقفوس فيلّيس شقال المعتمد البطريركي للملة السريانية في آطنة مبلغاً من المال مع صناديق مشحونة بالملابس والعلاجات للمكرويين من جميع الملل . وقد ارسل آل طرازي تلك الصناديق من بيروت على يد صديقهم المرحوم نصرالله غدراسي من تجار بيروت . فكتب الخورفسقفوس فيلّيس رسائل ضافية تتضمّن أخلص عواطف الامتنان للفيكنت فيليب دي طرازي شاكرًا له اريحيته ومثنيًا على مكارمه السخية .

٧ : المجاعة في بيروت اثناء الحرب العظمى

(١٩١٤ - ١٩١٨)

أُمسّت بيروت اثناء الحرب العظمى مسرحاً للفاقة والامراض التي فتكت بقسم صالح من المعسرّين فيها وفي ضواحيها . لان ابواب الارتراق سُدّت تجاههم بحراً وجيوش الجراد التهمت الاخضر واليابس في داخل البلاد مدة سنتين متواليتين . بناء عليه حدث عسر شديد لم تشاهد بيروت مثله في الايام الغابرة . فكانت الشوارع مكتظة بجثث الموتى وبفقراء مطروحين على الحضيض يئنّون جوعاً ويتسابقون الى التهام كناسة البيوت وزبل البهائم سداً لجوعهم . فكان ذلك المشهد الكئيب يفتت الاكباد ويدعو الناس الى الشفقة والحنان .

بيد ان الله ابا المرحوم منّ على بيروت في تلك النكبة الشديدة بقوم صالحين تجرّدوا لتخفيف ويلات البائسين ومساعدة الانسانية المتألّمة . وأخصّ

من وقفنا على تفانيهم في هذا المضمار أسرة طرازي التي اقبلت بالرغم من ضيق ذات يدها في ذاك العهد على اصطناع ما لم يصطنعه ارباب الثروات في هذه البلاد . فقد واصلت تقديم الملابس لفريق من العراة واطعمت الجياع يومياً على اختلاف أديانهم ومذاهبهم . وقد أوردنا نتفاً من تلك المبرات في الفصل الخامس من القسم الاول تحت عنوان آل طرازي والجمعية الخيرية السريانية » وفي الفصل الاول من القسم الثالث تحت عنوان « آل طرازي ودير الشرفة » .

ومن الادلة الجلية على عناية هذه الاسرة بالفقراء اثنا الحرب المذكورة أن سليلهم الفيكنت فيليب باع في ٨ كانون الاول ١٩١٦ بموجب ولايته الشرعية جانباً من ارض الاشرفية الموقوفة من اسرته واسرة شقال في سبيل البر . ودفع ذلك الثمن برمته الى السيد اغناطيوس افرام الثاني بطريرك الملة لينفقه على الجياع والمنكوبين . اما السيدة اوجيني زوجته الكريمة فقد شاركت في اعماله ومساعدته وحسناته . وما بلغ عزمي بك والي بيروت خبر عطفها على البائسين حتى عيّن مديرة لاهد مأوي الاولاد الفقراء . وكانت الحكومة العثمانية تنفق عليهم من خزانة . فنهضت السيدة اوجيني بتلك المهمة خير نهوض اكتساباً للاجر والثواب .

وقد سبقنا فنقلنا عن جريدة « المقتبس » الاسلامية في دمشق شهادة صريحة تنطق باريحية الفيكنت فيليب وعوارفه الجمة ولاسيما اثناء الحرب العظمى . فانها كتبت بتاريخ ١١ كانون الثاني ١٩١٨ انه حرسه الله « لم يدع ستاراً في بيته الا خاطئة البسة للمحتاجين وانه جعل ديدنه صباح مساء توزيع الخبز والطحين على المساكين » .

وقد طالما تردد العلماء وحمله الاقلام على اسرة طرازي في تلك الايام المشؤومة ووقفوا بانفسهم على ماتئها المبرورة . ولم يتالك بعضهم عن نظم القصائد المؤثرة في الشناء على عوارف هذه الاسرة تقتصر منها على ابيات من قصيدة ذات تسعين بيتاً نظمها الشيخ عبدالله البستاني قال :

لكن هي الايام كم وقعت بين
 ومن البليّة انهم حسبوا العلى
 خابوا ظنوناً فالعلى سكنت الى
 عرفت به حرّ الشائل فارعاً
 من منبت الفضل الخصيب نما فها
 فسلاوا وصيقتة المروّة عن حيا
 وسلاوا قضاةً غيرها إن لم تروا
 وسلاوا ديني الحرص وهو ابو الغنى
 فلكم تمنى ان يمرّ ببابه
 حسد الفقير غداة أبصر ثوبه
 تغريبه خسة نفسه برقاده
 فلعلة يحنو عليه فؤاده
 فالفضل خادن آل طرازي وما
 ورعى ذمام سليلهم فيليب من
 من زار في البأساء مغناه رأى
 عانت خياطتها عقيلته التي
 وحكت برأفتها رفيق حياتها
 فتراوها صنّع الجميل وروحا
 وفي تلك الغضون انتقلت الكونتس مئة دي طرازي الى رحمة الله
 تعالى في ١٥ كانون الاول ١٩١٧ عن شيخوخة جليّة بالغة السن الثمانين .
 فترأس البطريك مار اغناطيوس افرام الثاني صلاة الجناز على نفسها ووفّاها
 حقها من التآبين . ثم ألع الى سجايها الممتازة والى ما أدته هي وأسرته
 لشخصه وللأجبار الانطاكيين أسلافه من ادلة الاحترام وكرم الضيافة .
 وعدّد مآثرها المشكورة في سبيل كنيسة بيروت ولاسيا عنايتها بالفقراء
 والايّتام اثناء الحرب الطاحنة . وقد رثاها ايضاً فريق من الشعراء الذين

لم يرصدوا للحادثات وقوعا
 تعنوا لمن حبسوا النضار خضوعا
 ذي البرّ فيليب الوهوب بنجوعا . . .
 مجددا اليها بالسخاء فروعا
 بسوى صنيع الفضل كان ولوعا
 كفيه في البلد الجديب هموعا
 حكم الحبيب لجه مشروعا
 يصدقكم خبراً يفيض شيوعا
 متباكياً غلس الظلام هالوعا
 ذا جدّة من بعد كان خليعا
 آيان مرّ من الظلام هزيعا
 فينيله ثوباً ولو مرقوعا . . .
 بسوى رحابهم أراد رتوعا
 أحياء للجوع العقور قريعا . . .
 للعاريات وللعرّة دروعا . . .
 تتصير العرق الكريم تزوعا
 وبجلقها المسك الفتيق سطوعا
 قلب الكتيب وأشبع المخفوعا
 وفي تلك الغضون انتقلت الكونتس مئة دي طرازي الى رحمة الله

خبروا مبرأتها عن كذب ولسوا حسنتها . من ذلك ابيات اقتطفناها من قصيدة ذات خمسين بيتاً نظمها العلامة الكبير الشيخ عبد الله البستاني قال :

بيروت فيها مكثرون أصابهم فبكت كما يبكي الفقير على التي هي منة للبائسين ونجمة أخلق بن رأفت بهم ان يزوجوا تلك التي تركت تباريح الأسي كانت تريد جلالهم بجلالها وبكت بها بيروت أرض حرّة وأمداد منعها الصروح لانها فلکم تعاورت اليتامى دارها ولكم تكثف بعضهم جدرانها ما انتابها الغرثان^١ يندب حاجة كانت اليه تهب من سنة الكرى ولقد لها تأسى المروءة وهي لا ان الثمانين التي من عمرها كانت تميل الى الصلاة بغدوة فدعا بها المولى الى أخداره فهناك يغمرها برأفته التي فلال طرازي العزاء بنقدها

مال المقلّين الضال ذواتها ... كانت تريل بكاه قبل وفاتها للرائدين ومنية لعفاتها جزعاً دموع عيونهم برقاتها في آل طرازي وكل نعاتها وتصون مجدهم بفيض هباتها ... قاوى صروف الدهر طول أناةها عانت خياطة كسوة لعراتها ... يتناولون الخبز من صدقاتها واضاق وهي رحيمة رحباتها الا رأيت قراه من حاجاتها لتقيته والطير في وكناتها تنفك باكية على مراتها ولت اثار باللقى ساعاتها ... طرباً مُميل ايها غاداتها ... لما رآها ارجت وزناتها يسخر بها أجراً على رأفاتها ولتنعم نفوسهم بنجاتها

٨ : المنكوبون في بيروت بعد الحرب العظمى

• واصل آل طرازي عنايتهم بالمنكوبين بعد الحرب العظمى ايضاً .

ولنا على ذلك شواهد كثيرة نكتفي بإثبات واحدة منها للكاتبه
الارثذكسية الشهيرة ماري ينّي التي رغبت الى الفيكنت فيليب ان يساعد
بعض الاسر الراححة تحت اعباء الفقر فبادر الى تلبية رغبتها . فما كان منها
الا ان بعثت اليه تشكره بكتاب رقيق مؤرخ في ٢٣ كانون الاول ١٩١٨
نقتطف منه ما يلي :

« ... اذا كانت السماء تريد ان ترسل بركاتنا فعلى أمثالك تجوز
خيراتها . وحق ما لك في نفسي من الاعتبار انني مقدرة فيك مبدءاً سامياً
يرفعك في أعين قومك حتى يجعلني غريقة هذه المعاملة الطيبة وهذا الاخلاص
النادر . أكد يا حضرة الفيكنت ان كل نبضة في صدري تدعو بتوفيقك
وتهتئ لشعور فيك رقيق شريف . حبذا انسانية يكون امثالك قوادها !
وايت لك في ارضنا اخواناً في المبدأ فكم كنا نكون سعداء ؟ »

٩ : مهاجرو تركيا الى بيروت عام ١٩٢١ فما بعد

لا يجهل احد ما حلّ من الولايات بالاقوام الذين طردتهم تركيا من
اراضيها بعد الحرب العظمى . فلجأ الى بيروت فريق كبير منهم يُعدّ
بعشرات الآلاف . واستقبلهم ذوو المروءة والحمية بصدور رحبة . وامتاز
حين ذاك الفيكنت فيليب دي طرازي بغيرته الشديدة عليهم . ونهض
لاغاثتهم ومساعدتهم نهضة البطل وسعى في اقتناء اراضٍ وابتناء منازل
لسكنائهم . وجاد عليهم بيد سخية ومهد لهم سبل المعيشة . واسكن فريقاً
منهم في الاراضي الموقوفة منه للبرّ او التي اقتناها لهم بالاموال التي سعى
في جمعها من اصحاب الاحسان والفضل . وقد ألمعنا الى ذلك في الفصل
الخامس من القسم الاول تحت عنوان « آل طرازي وجمعية المساعي الخيرية
السريانية ووقفها » في بيروت .

على ان اولئك المنكوبين تمكنوا من التوطن في عاصمة لبنان حيث
وجدوا الطمأنينة والراحة والامن وتمتعوا بسبل الارتقاء . وجعلوا يطلقون

أُستتمهم حتى اليوم بالادعية الحميمة الى الله تعالى في اطالة بقاء هذا المحسن
الكريم الذي يعتبرونه أباهم ومنقذهم وولي نعمتهم .

الفصل الرابع

آل طرازي وآثارهم القلمية في الملة السريانية

أصبح أشهر من نار على علم ما ابداه آل طرازي من عواطف الولاء
لايمة ملتهم السريانية وما بذلوه من العوارف والمبرات في سبيل كنائسها
ومعاهدها وجمعياتها . وما عدا ذلك فان غير واحد منهم انصرفوا الى
الانشاء والتأليف فوضعوا الجاثأ شتى في مواضيع مختلفة علمية وادبية
وتاريخية . وقد اطلعنا في ما بينها على نبذة جديرة بالوصف تتعلق بملتهم عموماً
وبرؤسائها خصوصاً . فلم نرَ مندوحة عن اثبات اسماء اولئك الافاضل مع
نتف من آثارهم القلمية فنقول :

اولاً : المقدسي نصرالله طرازي (١٧٥١-١٨٠٨)

برع هذا العلامة الفاضل والصيدلي الشهير في معرفة اللغتين العربية
والسريانية . وقد ألف كتاباً في الطب سماه « الادوية الشافية لمعالجة المرضى
واحراز العافية » أعجب به الدكتور كزيليوس فان ديك واقتناه لمكتبته .
ونظم المقدسي نصرالله الشعر ايضاً في اللغة السريانية التي درس أصولها
وأثقفن آدابها على ابن خالة ابيه مار اغناطيوس ميخائيل الثالث (جروة)
البطريك الانطاكي . ثم علمها بدوره فريقاً صالحاً من ابناء ملتة في حلب
فاستفادوا وافادوا . وكان في اوقات الفراغ يترجم باناشيدها الرخيمة ويطالع
كتب علمائها الاعلام وينسخ تأليفهم بخط يده . وقد شهد بفضله وذكائه
سنة ومعاصره وابن وطنه نصرالله بن فتح الله بن بشارة طرابلسي الحلبي
فامتدحه عام ١٧٩٩ بقصيدة نورد منها هذه الايات :

جاء الزمانُ على بني طرازٍ بالنطس نصر الله سيّد قومه
نسباً لاجداد كرامٍ ينتمي من آل والده وأُسرة أمه
تسمو به فخراً لوافر فضله وسداد حكمته وثاقب فهمه
هو أُوحد الشهباء بل مقدّامها مجزّل تقواه وشدة حزمه
خوفُ الاله شعاره^١ ولذا غدا أجلى مثالٍ للجميع بحلمه
شهمٌ نديٌ يدٌ نقيٌ سريرةً علّمٌ بجودة نثره وبنظمه
أعلى منار الطبّ في أبحاثه وشفى العليل كما ترى من سقمه
لا غرو أن مدحته ألسنة الورى وتقاعست شعراؤنا عن ذمه
نهدي اليه مع الدعاء ثناءنا وننافس الدنيا براسخ علمه

ثانياً : المقدسي يوسف طرازي (١٧٨٥-١٨٤٥)

كان من أدباء عصره كما اوردنا في صدر الصفحة^{٥٢} من هذا الكتاب .
وقد دوّن بيده على هوامش انجيل مخطوط وعلى دفتيه وقائع مختلفة
جرت في عهده بمدينة حلب . وهي تتلخّص في ما يأتي : ١ : مقتطفات منوطة
بالملة السريانية وأيمتها . ٢ : اسماء افراد أسرة طرازي مع تاريخي ولادتهم
ووفاتهم مشفوعة ببعض أخبارهم . ٣ : خلاصة حوادث زلزال حلب عام
١٨٢٢ وما نجم عنه من الاضرار خصوصاً لبني طرازي في الارواح والاموال .

ثالثاً : المقدسي انطون طرازي (١٧٨٩-١٨٥٥)

سبقنا فذكرنا اسم المقدسي انطون طرازي مرات شتى ولاسيا في الفصل
الثاني من القسم الاول في بحثنا عن « آل طرازي وتكوين الملة السريانية في
بيروت » . لانه كان عماد هذه الابرشية التي تنطق بفضله وتردد الثناء على
عبقريّة أسرته ما كرت الاعوام .

(١) لاحظ أن آل طرازي اتخذوا « مخافة الله » شعاراً لهم منذ القرن الثامن عشر
مستندين في ذلك الى الآية الواردة في سفر يشوع بن سيراخ (١: ٢٢) وهي : تاج الحكمة
مخافة الرب . راجع ما كتبناه في هذا الصدد في الفصل السادس من القسم الاول صفحة ٢٩

فقد أتيج لهذا الرجل العالي الهمة ان يقوم برحلة الى اوربا على متن سفينة شراعية استغرقت اكثر من ثلاث سنين (١٨٢٩-١٨٣٢) بجراً وبراً . لان المراكب البخارية كانت في تلك الحقبة في اول عهدها . وقد دون خلال تلك الرحلة مذكراته ووقائعه في كراس خاص . وهو فيما نعلم خامس رحالة " من سكان الشرق الادنى كتب حوادث سياحته في سفر خاص

(١) اول رحالة شرقي خلف لنا اخبار سياحته مكتوبة هو فيما نعلم الارخديافن بولس ابن البطريك الانطاكي الارثوذكسي مكاريوس ابن الزعيم . فانه رافق اياه البطريك من السنة ١٦٥٢ الى السنة ١٦٥٩ في رحلته المشهورة الى القسطنطينية وبلاد الفلاخ والبغدان وروسيا . وقد ترجمت اخبار هذه الرحلة الى اللغة الروسية بقلم جرجي بك مرقص والى اللسان الانكليزي بقلم المستر بلفور . وقد اطلعنا في مجلة «النعمة» التي كانت تصدر بلسان البطركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق (سنة ٢٥ صفحة ١١٩) على مقالة نشرها البعثة المدقق عيسى المعلوم عن البطريك مكاريوس ورحلته المذكورة . وثاني رحالة شرقي كان المطران اسحق الشدراوي († ١٦٦٥) الماروني . فانه اثبت في نبذة وجيزة اخبار رحلته (١٦٦٠ - ١٦٦٣) من لبنان الى فرنسا . وكانت بغيته ان يحصل من لويس الرابع عشر (١٦٤٣-١٧١٥) ملك فرنسا على براءة برتبة قنصلية لهذه الدولة في بيروت للشيخ ابي نوفل الخازن (مجلة المشرق ٢: ٩٢٩) . وثالث رحالة شرقي اتصل بنا اخبار رحلته مكتوبة كان الخوري الياس ابن القسيس حنا الموصلي الكلداني من عيلة بيت عموده . فانه ساح في اكثر البلاد الاميركية (١٦٦٨ - ١٦٨٣) ودون تلك الاخبار في كتاب محفوظة نسخته الاصلية في خزائن مطرانية السريان الكاثوليك في الشهباء . ثم نشرها الاب انطون رباط اليسوعي عام ١٩٠٥ في السنة الثامنة لمجلة المشرق . ورابع رحالة هو ابن وطننا صاحب المآثر الغراء السيد اثناسيوس سفر العطار اسقف ماردين السرياني (طالع ترجمته في كتاب «السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية» (صفحة ٢٢-٢٨) عندما كان قسيساً . فانه خلف اخبار رحلته (١٦٨٦-١٦٨٤) برفقة السيد فرنسيس بيكيت سفير مملكة فرنسا لدى شاه ايران . وقد سرد فيها حوادث تلك السياحة ذات النوادر الغربية والوقائع المهمة معدداً ما شاهده في مدينة ديار بكر وبلاد ارمينيا ومملكة فارس من العادات الوطنية والحفلات الشائقة التي جرت للسفير المشار اليه . ووصفها بأسلوب يتوق الى الوقوف عليه اهل البحث ورواها التاريخ . ثم كتبها بخط يده بحروف سريانية واهداها الى المكتبة الواتكانية برومية وهي موسومة بالرقم ٢٣٢ ومشملة على ٢٠٨ صفحات بقطع صغير . وقد نقلناها بحرفها الواحد عام ١٩٣٠ وباشرنا نشرها هذه السنة في مجلة المشرق تعميماً لغوائدها .

وضعتها كل ما شاهده من حسن ومفيد ونادر وغريب .
ويشير مؤلف هذا الكرّاس الى خدم شتى أدّاها اثناء رحلته للملة
السريانية عموماً ولاخبارها خصوصاً . لانه كان متضلّعاً من اللسان السرياني
الذي درسه على والده المقدسي نصرالله طرازي وعلى أستاذه الايكونومس^١
رافائيل طنبرجي اللذين كانا من صفوة الكتاب في عصرهما . وقد ألمعنا الى
عناية المقدسي انطون بتعزيز الآداب الآرامية في الفصل الاول من القسم
الرابع تحت عنوان « الاخبار الرومانيون وآل طرازي » . ولما توفي انطون
طرازي في ٣١ كانون الاول ١٨٥٥ نظم الشاعر العلامة الخوري ارسانيوس
الفاخوري هذه الايات التاريخية لتُنقش على ضريحه قال :

أهل البصيرة في العصور جميعها شادوا القبور مواعظاً لبني الوري
طوبى لمن حازوا التقى فعيونهم قد أبصرت وجه الآله بلا مرا
ذي حجرة انطون طرازي ثوى فيها وشهماً كان مرفوع الذرى
فالروح عند الله لكن جسمه أمسى يوزخ راقداً تحت الثرى

١٨٥٥

رابعاً : المعلم جرجس طرازي (١٨١٤—١٨٤٧)

هو ابن المقدسي يوسف ابن المقدسي نصرالله طرازي كان أول تلميذ

(١) لم نعتز في آثار السريان السالفين على لقب ايكونومس الشائع استعماله في
الكنيسة اليونانية الا مرتين : احدهما في الفتيث المحفوظ في خزائن دار المطرانية
السريانية بحلب حيث تقرأ الحاشية التالية « رسم روح القدس الايكونومس... لكنيسة
والدة الله مريم بحلب سنة ١٨٢١ يونانية » اي سنة ١٥١٠ مسيحية (راجع كتاب عناية
الرحمان في هداية السريان للمطران ديونوسيوس افرام نقاشه صفحة ٢٢) . وثانيتهما في
عهد مار اغناطيوس ميخائيل الثالث (١٧٨٢—١٨٠٠) بطربرك السريان الانطاكي . فان
هذا الخبر الجليل أنعم باللقب المذكور على نائيه في حلب الايكونومس رافائيل طنبرجي
(١٨١٣) جزءاً لفضائله السامية ومكافأة له على مساعيه المشكورة وعلمه الراجح
(طالع ترجمة هذا الايكونومس في كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات
السريانية » (صفحة ٢٨٨—٢٨٩) .

سوري دخل مدرسة « قصر العيني » الطبية بعد تأسيسها عام ١٨٢٨ في القاهرة . لكن علة قلبية طرأت على صحته صدته عن المثابرة على الدراسة فعاد الى حلب بعد ما اقام في مصر سبعة شهور . ثم اتخذه السيد البطريوك مار اغناطيوس بطرس السابع (١٨٢٠-١٨٥١) كاتباً لاسراره فكان يعتمد على ثقافته وآرائه في تحرير الرسائل وانشاء التقارير الموجهة الى الخبر الاعظم والى الباب العالي والى سائر المقامات الرسمية .

ومن مآثر المعلم جرجس انه أنشأ في حلب مكتباً لتثقيف الاحداث وكان عددهم ينوف على المائة والثلاثين اغلبهم من ابناى الأسر الوجيعة . وبين الادباء والاعيان الذين درسوا عليه نذكر : شقيقه الخوري اندراوس والخوري يوحنا طواف السرياني والشاعر فرنسيس مراش وانطون ضاهر والمركز ميخائيل ابن المركز فتح الله جروة وغيرهم . وألف كتاباً في علم المنطق^(١) لافادة تلامذته .

وبياناً لمثلة المعلم جرجس في الادب العربي نورد له ارجوزة بليغة ضمنها بعض قواعد طبية وفوائد صحية . واليك مطلعها :

حمد المهيمن العظيم الرحمة	فرض على طلاب علم الحكمة
والشكر للملك الرفيع الشأن	عزيز مصر ^(٢) الوافر الاحسان
نال الورى في عهده الأمانا	وللمعالي سيد الاركانا
وجوده أضحى بلا جدال	في كل صقع مضرب الامثال
في كنفه احزرت علم الطب	فملت اوطاري وهذا حسي
اليكم أرف يا ذوي الفطن	أرجوزة تجلو عن الجسم المخن

(١) لهذا الكتاب نسخة كانت تخص الكاتب الشهير عبدالله مرآش الحلبي المتوفى عام ١٩٠٠ في مرسيليا . وقد ورثها عن اخيه فرنسيس مرآش تلميذ الاستاذ جرجس طرآزي . ولما كان القسم الاوفر من مكتبة عبدالله مرآش قد دخل في حوزة دار الكتب الاهلية في باريس ساغ لنا ان نرجح ان هذا المخطوط ايضاً انتقل الى تلك الدار الكتابية .
(٢) هو محمد علي باشا الكبير مصلح الديار المصرية في القرن التاسع عشر وجد الاسرة المالكة فيها .

اكل داء وصفت دواء وللمداوي رفعت لواء
دونت في أطوائها نصائحها وكل ما فيها أتاكم صالحا
نظمتها في ليلة ويوم لعل فيها خدمة لقومي
واذ تجلى نفعها المأمول بجوله سبحانه أقول :

خامساً : الحورفسقفوس اندراوس طرازي (١٨٢٦ - ١٨٥٩)

أنشأ كتاب مواعظ عنوانه « تذكرة اللبيب الى الواعظ والخطيب » .
يحتوي على مواعظ جديدة بالاعتبار القاها في القاهرة والاسكندرية . وخلف
بعض كتب مخطوطة نسخها بيده او استكتبها خدمة للعلم والملة . وقرض
الشعر احياناً فنظم قصائد لا تخلو من الفائدة . وقد قرأنا له بيتين نفيسين
امتدح بهما المرحوم فرج الله موصلي كبير أعيان الملة السريانية بالقاهرة واحد
المحسنين الى بيعة مار الياس الحمي في المدينة المذكورة وهما :

لو ادخرت نضاراً انت باذله كنت الملقب في دنياك بالذهبي^(١)

الاجر أكسب من مال تجمعه والبر في مذهبي خير من الذهب

ومن آثار الحورفسقفوس اندراوس طرازي نبذة تاريخية أثبت فيها أصل
بني طرازي واخبارهم ووقائعهم . وضمنها تراجم رجالهم السالفين كما
تلقاها عن افواه الشيوخ أو عما وقف عليه بذاته في وثائق أسرته . واردفها
بشجرة نسبية جمعت اسماء افرادهم بالتسلسل مع أعمارهم منذ اجدادهم الاولين
الى عهده . وسمى تلك النبذة « السلسلة الابريزية في تاريخ السلالة
الطرازية » وافتتحها بهذين البيتين :

اليك سفيراً حوى تاريخ عائلتي عن أصلها دلت الآثار في السلف
سليل يوسف^(٢) أنشأها وقدمها هدية منه في الاحقاب للخلف

(١) ذي الذهب اي أغنى الناس .

(٢) اشار الناظم الى اسم ابيه المقدسي يوسف طرازي (١٧٨٥ - ١٨٤٥) الذي
اوردنا ذكره مرّات شتى في هذا الكتاب ولا سيما في الفصل الاول من القسم الثاني وفي
الفصل الثالث من القسم الثالث وفي الفصل الذي نحن بصدده .

ولما اعتزم الفيكنت فيليب دي طرازي ان ينشئ شجرة نسبـة لاسرته^(١) استند الى هذه الشجرة التي رسمها قبل ثمانين عاماً نسيبه الخورفسقفوس اندراوس . وقد اتخذ تلك الشجرة القديمة اساساً لعمله فاضاف اليها جميع الاغصان التي تفرعت منها منذ وفاة الخورفسقفوس المشار اليه حتى زماننا الحاضر .

سادساً : الكنت نصرالله دي طرازي (١٨٢٢—١٨٩٥)

كان مع اشتغاله بالتجارة لا يجمع عن مناصرة العلم ومعاوضة الادباء . وبرهاناً على ذلك انه كان من اعضاء « الجمعية العلمية السورية » ومن اوفرهم كرماء عليها . وقد تأسست هذه الجمعية بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٨٦٨ في بيروت برئاسة الامير محمد ارسلان . وكانت له اليد البيضاء على مجالة « النحلة » البيروتية لمنشئها القس لويس صابونجي^(٢) . وهي تعد اول صحيفة دورية لكاتب سرياني على وجه البسيطة .

ونشر الكنت نصرالله على نفقته في مطبعة حجرية رواية « شاول وداود » التي وضعها القس لويس صابونجي المشار اليه عام ١٨٦٩ . وتبرع

(١) تُعد أسرة طرازي من اقدم الاسر الشرقية كما يتضح من الوثائق المحفوظة لدينا وقد نشرنا بعضها في هذا الكتاب . وهي آثورية المحتد ترحت من الموصل الى حلب قبل منتصف القرن السادس عشر . يؤيد ذلك حجة شرعية موقعة باسم عمر بن مصطفى قاضي حلب ومؤرخة في ٦ محرم ١٠٤١ هجرية اعني في ٤ آب ١٦٣١ ميلادية . وقد اطلعنا على شجرة نسبها التي تتصل ببطرس جدّها الاعلى (١٥٩٧—١٦٧٨) الذي منه تتحدّر سلالة المنشرة الان في لبنان ومصر واليونان وفرنسا وشمال افريقيا واميركا وغيرها من البلدان . وبلغ عدد فروع الشجرة الطرازية عشرة اجيال مسلسلة الواحد تلو الآخر منذ الجد المشار اليه حتى كتابة هذه السطور . ولما كان لهذه الاسرة المباركة آثار مشكورة واعمال مبرورة رأينا ان نجتمع اخبارها في كتاب مستقل دعوانه « الحلل الطرازية في الاسرة الطرازية » . وسنشره بحوله تعالى في وقت قريب اقراراً بالفضل وخدمة للتاريخ .

(٢) راجع اخبار هذه المجلة في الفصل الثامن والقسم الاول من هذا الكتاب . وطلع ايضاً الجزء الثاني من « تاريخ الصحافة العربية » صفحة ٤٧—٥١ .

ايضاً في السنة ١٨٨٣ على الحورفسقفوس افرام ابيض بقيمة الورق لطبع الجزء الاول من كتابه « دليل الفردوس » وهو اول كتاب مواعظ نشرته المطابع الكاهن سرياني . ويتضمن خطباً وقضايا ذات شأن لم يتعرض الخطباء الشرقيون لمثلها قبل الآن . وقد حذا فيها مؤلفها حذو الواعظين الغربيين في القرنين التاسع عشر والعشرين .

سادساً : الكنت انطون دي طرازي (١٨٥٧-١٩٠٠)

قرأ اللغة العربية على الشيخ ناصيف اليازجي فأحكم أصولها وخلف نبذة عنوانها « فنّ البديع » ونظم الشعر يافعاً . وقد وقفنا له على بعض المنظومات في تقريظ مآثر رؤساء ملته وغيرهم نذكر منها قصيدته الشائقة في وداع البطريك اغناطيوس جرجس الخامس لما غادر غبطته بيروت الى حلب عام ١٨٨٦ جاء في مطلعها :

وداعك أحزن الالباب طراً ومن مُقل العيون الدمع أجرى
وبعدك بعده أسفٌ شديدٌ وهجرٌك للرعيّة بات مُراً

وعثرنا للكنت انطون ايضاً على بعض الخطب أهمها خطبته التي رجب فيها بالسيد العلامة اقليميس يوسف داود مطران دمشق لدن مروره بيروت عام ١٨٧٩ بعد سياحته الاسقفية وهو متوجه الى دمشق كرسي رعايته .

وللكنت انطون الفضل في الاشراف على مؤلفات شتى انشأها بعض علماء السريان وفوضوا اليه ان ينشرها في مطابع بيروت اخصها : ١ - كتاب « الفلسفة » الذي وضعه المركيز جورج دي صعب السرياني في منشستر وقد طبعه الكنت انطون عام ١٨٨٣ في مطبعة القديس جاورجيوس الارثوذكسية . ٢ - كتاب « عقود الجمان في شرح قانون الايمان » في ثلاثة مجلدات . وقد ألفه المطران ثيوفيلس انطون قندلفت في حلب وكلف الكنت ان يشرف على طبعه عام ١٨٨٣ في المطبعة الادبية . ٣ - كتاب « القصارى » لمؤلفه الشهير السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق . وقف الكنت انطون

على طبعه في المطبعة الادبية عام ١٨٨٧ بعد ما استحصل الرخصة الرسمية
لنشره من مجلس المعارف . واليك نص الرسالة التي وجهها اليه بهذا الصدد
مؤلف « القصارى » من دمشق في ٢٦ نيسان ١٨٨٧ قال :

« اما بعد ابلغ التحيات الحبية والشوق والدعاء فقد احتجت اليوم الى
صداقتك الثمينة الغالية . وذلك ان في نيّتي ان اشتر بالطبع في بيروت
كراسة صغيرة يُبحث فيها عن مسائل تاريخية . فالتمس من فضلك وحبك
ومروءتك ان تتكلف وتلاقي خليل افندي الحوري ترجمان الولاية ومدير
المطبوعات وتسأله : هل يمكن ان تُنال الاجازة من حضرته اطبع هذه
الكراسة من دون ان يُعرض المبيّض على لجنة المعارف في دمشق ؟ اذ قد
شاع عنها انها وقفت عن العمل . هذه هي المصلحة التي علّقها بهمة حضرتك
ونحوتك وصداقتك التي افتخر بها على الدوام . وبالامل الوطيد انها تُقضى
عاجلاً على احسن وجه اختم بالسلام وغزير البركات الالهية عليك وعلى ذويك
الموقرين اجمعين . . . »

ثامناً : الفيكنت سليم دي طرازي (١٨٦٢-١٩٠٥)

امتاز هذا الفيكنت الجليل بالغيرة على بيت الله تعالى والسخاء في
سبيل الاعمال الخيرية . ومما يُذكر له بالثناء انه لما سافر الى رومة عام ١٨٩٥
ونال شرف المشول لدى البابا لاون الثالث عشر عرض عليه احتياجات
البطيركية الانطاكية السريانية . فاصغى الخبر الاعظم بكل اهتمام الى
كلام زائره وأثنى على غيرة الفائقة . ثم فوّض اليه ان يضع تقريراً مسهباً
ودقيقاً عن احوال البطيركية المشار اليها ويعرض على قداسته رأيه الخاص
لاجل تعزيزها . فاكب الفيكنت سليم اياماً على وضع هذا التقرير المستوفى .
ثم رفعه في مقابلة ثانية الى مقام الخبر الاعظم الذي قرأه وتمعن في محتوياته .
وفي النهار ذاته جمع البابا لديه شيوخ الكرادلة وفأوضهم في شؤون
البطيركية السريانية . فقرّر رأيهم بالاجماع على ارسال مبلغ من المال لتعزيزها

لها وسداً لحاجاتها . وعلى اثر الاجتماع المذكور استدعى الاب الاقدس اليه الفيكنت دي طرازي وسأله المبلغ المقرر كي يبعث به الى بطريك الملة مار اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٣-١٨٩٧) .

وفي السنة ١٨٩٦ نشر الفيكنت سليم على نفقته نبذةً عنوانها « الحقّ الوضّاح في الجواب على المصباح » لوضعها المطران ثيوفيلس انطون قندلفت . وقد توخى فيها المؤلف تفنيد افتراء جريدة « المصباح » البيروتية على كتابه « الرأي الامين في حلّ بعض المشاكل الزوجية عند الشرقيين » .

وفي السنة ١٩٠٠ حجّ الفيكنت سليم الى الاماكن المقدسة للتبرّك بقبر الخلاص . فانتهر فرصة زيارته ليكتب تقريراً مفصلاً عن احوال السريان الكاثوليك واليعاقبة في اهمّ مدن فلسطين كالقدس وبيت لحم ويافا وحيفا وغيرها . ثم اردف هذا التقرير ببيان رفعه الى السيّد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨-١٩٢٩) عن الاماكن التي رآها موافقةً في مدينة القدس ليختار احدها ويُشيد فيه كنيسة وداراً للنيابة البطريركية . وقد أبدى رأيه في تفضيل بقعة الارض الواقعة تجاه دير « سيّدة فرنسة » . فاعتمد السيّد البطريرك على تقرير الفيكنت هذا واستحسن رأيه واشترى بقعة الارض التي وقع اختياره عليها .

تاسعاً : الفيكنت فيليب دي طرازي

قضى الفيكنت فيليب معظم حياته في خدمة العلم والادب حتى صار ممّن يشار اليه بالبنان . وقد عرف له هذه المزية رؤساء الحكومات ورجال المعاهد العلمية في الوطن وسائر البلدان . فزيّنوا صدره بستة عشر وساماً وعيّنوه عضواً في عشرة مجامع علمية وجمعيات ادبية ومؤتمرات اثرية . ذلك اقراراً بفضلته ومكافأةً لمساعدته .

وقد فاق هذا الفيكنت جميع من نوهنا بذكرهم من حملة الاقلام وانصار العلم في الاسرة الطرازية . ولا يسعنا ان نسرد هنا جميع التصانيف

الشهيرة التي افاد بها رَوّام العلوم في بلادنا الشرقية . بيد اننا لا نرى بدءاً من ذكر ما ألفه عن الملة السريانية واحبارها ومعاهدها وآثارها :

١ : « كتاب القلادة النفيسة في فقيده العلم والكنيسة » ضمنه الفيكنت ترجمة السيد اقليميس يوسف داود متروبوليت دمشق الذي استأثرت به رحمة الله في ٤ آب ١٨٩٠ . واثبت فيه جميع المراثي التي كتبها علماء الشرق والغرب بعشرين لغة في تأبين ذلك الحبر الشهير . وبياناً لمنزلة هذا الكتاب النادر المثال وتأثيره في اذهان مطالعيه نورد نص رسالة المطران ربولافرام رحمانى الذي ارتقى الى السدة الانطاكية عام ١٨٩٨ باسم اغناطيوس افرام الثاني . وقد كتبها بخط يده في ٢٥ حزيران ١٨٩١ وانفذها من بغداد الى مؤلف الكتاب الموماً اليه قال :

« ... لا اقدر ان اصف لك ما شعر به فؤادي من الرقة والحنان وما ذرقته عيناى من الدموع عندما افتتحت كتاب « القلادة النفيسة » وتيمنت بطلعة السيد اقليميس المندوب على ممر الايام . ثم اخذتُ أُجِيل النظر في ترجمته وفي المراثي التي عنيت باستحصاها وجمعها . فلهّ درك ا

« لست ارى باي كلام يمكنني ان أثني على العمل المحمود الذي اتيت به . فلقد اجدت وابدعت من كل وجه . فاذا تأملت الفكرة التي أعملتها حتى ألهمت هذا التأليف فاني لاعجب من كرامة نفسك ونجابتها . واني لاجد في عملك من هذا القبيل ابلغ تحريض وتنشيط لنا على مراعاة الذمام والوفاء بالمعروف . واذا اعتبرت الغاية التي قصدها من تحليد ذكر فقيدنا على ممر الاحقاب ورفع اسمه ونشره في جميع الامصار فاني لادهش من سمو عقلك واصوب مقاصدك . واذا نظرت الى فوائد هذا الكتاب في الاقليس خاصة ولاسيا من ابناء طائفتنا فاجد ان فيه ابلغ موعظة للقيام بواجبات الدعوة الكهنوتية والاكباب على العلم والعمل مقرونين بحسن السيرة .

« فعند قراءة الكتاب ينبغي ان يقول كل من الاقليسيين : لمثل هذا فليعمل العاملون . وان قايسنا ما كابدته من التعب والاعتناء بجمع الكتاب

وطبعه قلنا : يا لعاو همتك وسعة جهلك ! وان علمنا ما انفقته على ذلك
من الدينار حمدنا سخاءك . وان سمعنا ما عمدت اليه وهو ان تُنفق ما يردك
من بيع النسخ فيا لحسن نياتك ! وان استوفينا قراءة الكتاب سواء كان
ما وضعته بنصك او ما صححته او ما جمَلته وحلّيته فيا لفصاحة نطقك
وسلاسة عباراتك !

« وقد خطر ببالي امرٌ لا اكتبه عنك . وهو انه يليق ان نعمل
تمثالين من المرمر يحفرهما اساتذة رومانيون لينصب احدهما في بيعة دمشق
والآخر في بيعة الموصل بعد استئذان الرؤساء المحليين . فما قولك ؟ ... »
وكتب الدكتور لويس صابنجي في ٢١ حزيران ١٨٩١ من الاستانة
الى مؤلف « القلادة النفيسة » ايضاً يشني عليه بقوله :

« تناولتُ كتاب القلادة النفيسة وطالعتُه بعين الانتقاد فوجدتُه مجموعاً
من دررٍ غراء نُظمت بعنايتك في قلادة نفيسة طبق المراد . وكلما قرأت
منهُ نثراً او نظماً هزّني سرورٌ عظيم ما شعرت بمثله من سنين واعوام .
فقد جاء كل سطر من سطور هذه الترجمة اثرّاً يزري بهرم من اهرام مصر
وغيرها من سبع عجائب الدنيا . لله درّه من اثرٍ يقتخر به اهل الشرق
طراً وتُسمر به الطائفة السريانية المنتشرة على وجه البسيطة كلها !

« اما انت ايها الابن الحبيب والخل اللبيب فقد ملأت عيني بهمتك
العلياء ومساعيك الغراء . وأتيت بما لم تأته الاوائل وان كنت الاخير زماناً
نعم لقد اتيت من العظام امرأً وانجزت في الفخر عملاً على حداثة سنك ما
سبقك اليه احدٌ من فحول الادباء في الاعصار الحالية والامم الدائرة . وذلك
أننا منذ علق الشعراء والخطباء الرثاء على قبور محاضير الرجال والابطال ما
سمعنا حقاً ولا وقفنا على كتاب حوى مراثي احد من العلماء او المـ
والقواد نظماً ونثراً بعشرين لهجة .

« هذه قلادة نفيسة تطوع لنظم درّها في سلك الزمان فحول رجال من
كل مذهب ومعتقد ومن كل ملة وأمة ومن كل مقام ورتبة ومن كل

ارض وبلدة . فلو انبعث من قبره قديم الحكماء براوشاع الاثوري
وطرزماجست المصري وزردوشث المجوسي الزندي وفيازا الحكيم الهندي
والفيلسوف كنفوشي الصيني وصنقياطون الفينيقي واناقريسز التتري وافلاطون
اليوناني واسكندر المقدوني وكسرى الفارسي وقيصر الرومي ونابوليون
الافرنسي وغيرهم من قواد الجيوش والحكماء والفلاسفة والمشتعين
وسمعوا تقریظاً ورتاءً بعشرين لغة في مدح رجل من خدام العلم والانسانية
لذابوا من جرأته حسداً .

« فلي ان افتخر بك يا ولدى وقرّة عيني كل الافتخار . واهني نفسي
على ما أولاها ربها قبل ارتحائها من دار الفناء الى دار البقاء . من ان ترى
شاباً زكياً من بني جنسها وملته قد قام بهيمته العليا وعزيمته الكبرى بما قعد
عنه كثير ممن ادعى المروءة والنخوة قبله . بارك الله فيك ايها الشاب النحرير !
واقرّ بك عيون والديك واهلك الكرام ! وجعلك قدوةً لاصحاب العزائم
الاعظام ! فكنت قد توسمت الخير والنجابة في سمالك منذ وسمت جبينك
الاغرّ وصبغته بصبغة العباد المقدّس .

« فاهناً اذاً بهذه الفعلة الحسنة التي ادركت بها من طيب الذكر وحسن
الثناء ما يدومان مدى الزمان . واذا خرت لك في خزائن الصحف والتواريخ
أثراً يحاذي ما نصبته في قلوب محبي الفقيه في الحال والمقتدين بنموذجه
الصالح في الاستقبال . وصار ذكرك واسمك مقرونين باسمه الكريم
وذكره المجيد ما تعاقب الملوان وتلاّأ الفرقدان . ونلت بذلك فخراً في
الناس وثواباً عند ربك ذي الجلال . وابتعت بالفضل سلعة شهرة ما
استطعت ابتياعها ولو بمال قارون ما توالى القرون . . . »

٢ : كتاب « قطر الندى في ردّ الصدى » يشتمل على رسائل الثناء
التي وردت الى الفيكننت فيليب في تقریظ كتابه « القلادة النفيسة »
الأنف الذكر .

٣ : كتاب « اصدق ما كان في تاريخ السريان » . أنشأه الفيكننت

فيليب وضمنه اخبار الملة السريانية الى هذا العهد . واهدى نسخته المكتوبة بخط يده الى مكتبة دير الشرفة مع نسخة اخرى منه بغير خطه .

٤ : كتاب « التحفة في تاريخ دير الشرفة » . سبق لنا وصف هذا الكتاب الفريد في الفصل الاول من القسم الثالث وعنوانه « آل طرازي ودير الشرفة » وما برح هذا الكتاب غير منشور بالطبع الى اليوم .

٥ : كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابريشيات السريانية » نشره الفيكننت بالطبع عام ١٩١٠ وادرج فيه اخبار احبار الملة السريانية منذ عهد انضمامهم الى البيعة الرومانية وزينه برسوم اولئك الاحبار . وعأق عليه حواشي ذات شأن قلما يعثر عليها الباحثون مفصلة بالدقة والضبط في كتاب آخر . وقد اصبح مؤلفه هذا مرجعاً لجميع الذين يرومون الوقوف على حوادث الملة واخبار بطاركتها واساقفتها .

٦ : « جدول عام لبطاركة السريان الكاثوليك » يشتمل على انسابهم وتواريخ ولادتهم ووفاتهم وسيامتهم الكهنوتية والاسقفية وجلوسهم البطريكي وتأييد الاحبار الرومانيين لهم وحصولهم على الفرمان الشاهاني وشعارهم الخاص مع ما لهم من المآثر العلمية والدينية والوطنية . وقد رتبته بهيئة مبتكرة تروق الناظر وتبهج القارئ . ثم اهداه خطاً الى مكتبة دير الشرفة .

٧ : « شجرة تاريخية لسلاسل بطاركة انطاكية » من عهد الرسول بطرس الى الآن عند جميع الطوائف الكاثوليكية وغير الكاثوليكية .

٨ : « مجموع البرآت البابوية » الممنوحة لبطاركة السريان من عهد انضمامهم الى البيعة الرومانية . وهذه البرآت ضمها الفيكننت فيليب في مجلد واحد واهداه الى مكتبة دير الشرفة .

٩ : « مجموع الفرامين والبرآت السلطانية » الممنوحة من سلاطين آل عثمان لبطاركة السريان الكاثوليك منذ القرن السابع عشر الى القرن العشرين . وقد ضمها كلها الى مجلد واحد واهداه ايضاً الى مكتبة دير الشرفة .

- ١٠ : « الرأي الامين في حل بعض المشاكل الزيجية عند الشرقيين » .
 نشر الفيكننت فيليب على نفقته هذا الكتاب الذي ألفه المطران ثيوفيلس
 انطون قندلفت (١٨٩٨ +) في بيروت . ثم ترجمه بقلمه الى اللغة الفرنسية
 واهدى النسخة المكتوبة بخط يده الى مكتبة دير الشرفة .
- ١١ : « وثائق زواجية » هي مجموعة مرافعات ومدافعات جلييلة الشأن
 وضعها المطران ثيوفيلس انطون قندلفت في احدى الدعاوى الزوجية الشهيرة
 في بلادنا الشرقية . جمعها الفيكننت فيليب وترجمها الى اللغة الفرنسية ثم
 اهدى النسختين العربية والفرنسية في مجلدين الى مكتبة دير الشرفة .
- ١٢ : كتاب « قرّة العين » هو ديوان كبير يحتوي على قصائد شتى
 نظمها الفيكننت فيليب . ومن جملتها منظومات وتواريخ شعرية كثيرة العدد
 منوطة بالملّة السريانية ورؤسائها وأعيانها ومعاهدها ومعابدها واضرحة موتائها .
- ١٣ : كتاب « صنّاجة الطّرب في رياض الخطب » . ضم اليه مؤلفه
 الفيكننت فيليب كثيراً من الخطب التي القاها في احتفالات شتى تتعلق بالملّة
 السريانية . وقد اشرفنا الى تلك الخطب في الفصل الثاني من القسم الثاني
 الذي عنوانه « آل طرّازي وتعظيمهم لاحبار ملّتهم » .
- ١٤ : نقل الفيكننت عن اللغة العربية الى اللغة الفرنسية المنشور
 البطريكي الذي أصدره مار اغناطيوس بهنام الثاني عام ١٨٩٥ عن مقرّه يوم
 ذاك في دار آل طرّازي مشفوعاً بالرسالة البابوية العامة التي بدؤها :
 « Orientalium Dignitas » .
- ١٥ : ترجم الفيكننت ايضاً الى اللغة الفرنسية اول منشور بطريكي
 أذاعه مار اغناطيوس افرام الثاني على اثر ارتقائه الى السدة الانطاكية .
 ثم طبعه في كراس خاص ووزعه على جميع الابريشيات السريانية .
- ١٦ : « العقد الثمين في رسائل الالباء الى البنين » سبق لنا وصف هذه
 المجموعة الاثرية في مقدمة الكتاب . وهي مختارات من الرسائل الكثيرة
 التي كتبها ائمة الشرق بخطوطهم ولاسيا بطاركة السريان ومطارنةهم . وهذه

الرسائل باجمعها قد وجهها اولئك الائمة من انحاء شتى الى آل طرازي في القرنين الاخيرين . فانتقى منها الفيكنت فيليب زهاء ثلاثة آلاف رسالة ثم رتبها في احد عشر مجلداً وأهداها الى مكتبة دير الشرفة .

١٧ : نقل عن العربية الى الفرنسية خطاباً للسيد ثيوفيلس انطون قندلفت عنوانه « تعاليم الكنائس السريانية في سر الاوخراسيتيا » وألقاه الفيكنت عينه بالنيابة عن مؤلفه في المجمع القرباني الاورشليمي عام ١٨٩٣ كما ألعنا اليه في الصفحة ٥٨ من هذا الكتاب .

١٨ : تقرير عنوانه « فوائد نقل كرسي البطريركية السريانية من ماردن الى بيروت » وقد اشرفنا اليه في الصفحة ٦٤ من هذا الكتاب .

١٩ : نبذة عنوانها « الرتبة العددية في اسماء بطاركة البيعة الانطاكية » كتبها الفيكنت بمثابة تقرير رفعه الى البطريرك كين الانطاكيين مار اغناطيوس بهنام الثاني وخليفته مار اغناطيوس افرام الثاني . وقد اثبتنا تفصيل ذلك هنا في الصفحة ٧٠

٢٠ : نبذة عنوانها « بيان مرفوع الى محكمة الديوان العرفي في عاليه » بلبنان . كتبها الفيكنت بتاريخ ٢٦ آذار ١٩١٥ دفاعاً عن نفسه وعن السيد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني وعن بعض اعيان هذه البلاد تبرئة من مكيدة شيطانية لم تحظر على قلب بشر . وكان بطل تلك المكيدة اميراً لبنانياً نبذته أسرته النبيلة لشذوذ اخلاقه وعدم استقامة مبادئه .

٢١ : تراجم بعض مشاهير الملة السريانية . دونها الفيكنت تحليداً لماثرهم وحثاً على اقتفار آثارهم .

٢٢ : شجرات نسبية لبعض الاسر السريانية . نظمها الفيكنت اجابة الى طلب تلك الاسر مستنداً في ذلك الى أوثق المصادر . وكثيراً ما اعتمدت المحاكم على تلك الشجرات النسبية في فصل الدعاوى او في اثبات ارث او غير ذلك .

٢٣ : ألف احد ائمة الملة السريانية في السنة ١٨٧٣ كتاباً جديلاً تاريخياً

لم ينسج على منواله احدٌ قبله من حيث كثرة التنقيب ودقة البحث . وافرغ كنانة جهده في استيفاء الموضوع حقه مستنداً في ذلك الى اقدم الوثائق واثبت المصادر التي توفق الى العثور عليها في مكاتب الغرب والشرق . وكان العلامة صاحب هذا الكتاب صديقاً حميماً لآل طرّازي فاراد قبل وفاته رحمه الله تعالى ان يبدي لهم برهاناً جليلاً على تلك الصداقة . فتنزّل لهم طوعاً عن مؤلفه هذا النفيس الذي عكف على وضعه اعواماً طويلة وملّكهم اياه مؤثراً ان يبقى لديهم ولدى ذريتهم ذكراً منه مؤبداً . ولما سلّمهم تلك الذخيرة اليتيمة قال لهم : « استودعكم ابني الوحيد ليكون ملكاً حلالاً لكم ولذريتكم المباركة » . وكان هذا الكتاب الفريد منسوجاً بخط يد مؤلفه الجليل من فاتحته الى خاتمه . فأهداه الفيكنت بدوره الى مكتبة دير الشرفة في ١٥ آب ١٩٢٥ . ونسقناه نحن تحت الرقم ٢٩/ في خزائن مخطوطاتها الثمينة .

٢٤ : نشر الفيكنت في آونة مختلفة مقالات شتى على صفحات الجرائد والمجلات تتعلق بالملّة السريانية . من ذلك مقالتان نشرهما عام ١٩٢٧ في مجلة « الآثار الشرقية » صفحة ١٣٢ و ١٩٠ ردّاً على افتراء احدى مجلات بيروت التي تعرّضت لتخطئة السيّد البطريرك مار اغناطيوس افرايم الثاني في مسألة علمية فأخطأت المرمى . واتفق ان السيّد البطريرك المشار اليه كان متغيباً حين ذاك في اوربة انتجاعاً للصحة . فلم يتمالك الفيكنت ان جرد قلمه وأتى بالحجج الدامغة منبداً مزاعم تلك المجلة مدافعاً عن الحق ومناضلاً عن كرامة بطريركه المغبوط . ولما عاد هذا الخبر الانطاكي من رحلته شكر للفيكنت همته وقمى لو يكون بين السريان ابنائه من يضارعه في شهامته .

٢٥ : اجاب الفيكنت الى رغبة بعض اعيان الملّة واكليسها في نظم القصائد وتجهيز المقالات لفائدتهم الخصوصية . وقد نشروا تلك الكتابات شعراً ونثراً باسمائهم . ثم نقح ايضاً بقلمه بعض كتب وضعها غير واحد من المؤلفين السريان في هذا العصر .

٢٦ : اعتنى هذا الفيكننت الهام بجمع اهم الاسفار التي نشرها المؤلفون السريان في مختلف البلدان وفي عدة لغات واهداها باجمعها الى مكتبة دير الشرفة العامر . وقد صنع ذلك علماً منه بان السريان قاطبة يعتبرون مكتبة ذلك المعهد الشهير مرجعهم الاعلى في الابحاث العلمية .

٢٧ : اقتنى الفيكننت دي طرازي جميع ما عثر عليه من المخطوطات السريانية او ممّا له علاقة بالامة الارامية . ووقف ذلك كله لمكتبة دير الشرفة ليستفيد من مطالعته اهل البحث وروّام الآثار القديمة .

٢٨ : يرجع الفضل الى هذا البعثة النشط في تكوين مجموعة كاملة من الجرائد والمجلات السريانية والكرشونية التي صدرت في لبنان وسوريا وفلسطين وما بين النهرين واسية الصغرى والعراق وكردستان والمبار واميركة الشالية . وهي مجموعة ثمينة بل نادرة صرف الفيكننت جهوده في ضمّ شتاتها واهداها الى مكتبة دير الشرفة حرصاً عليها من الضياع . ونلتزم الفرصة لنضم الى ما سبق سائر مؤلفات الفيكننت فيليب وآثاره القلمية . وقد نشر قسماً منها بالطبع ووقف القسم الآخر لمكتبة دير الشرفة وهي :

٢٩ : تاريخ الحديوية المصرية في عهد السلالة المحمدية العلوية .

٣٠ : تاريخ نابوليون الاول .

٣١ : ديوان نفحة الطيب .

٣٢ : ترويح الانفس في بلاد الاندلس .

٣٣ : كتاب « الجوهر الصافي في ابداع القصائد المشتركة القوافي » جمع فيه الفيكننت أشهر القصائد ذات القوافي المشتركة كالحال والعين والعجوز والغرب والعلم والشرف وغيرها . وعلّق على تلك القوافي شرحاً وافياً .

٣٤ : « ارشاد الكاتب الى فنّ تنظيم المكاتب » يتضمن قواعد فنية واساليب حديثة لتنسيق المكاتب في الشرق على منوال دور الكتب في الغرب . وهذا الكتاب مبتكر في بابهِ . استند الفيكننت في وضعه الى

العلم والاختبار مدة ست عشرة سنة متوالية . فسدَّ بذلك ثلثة كبيرة في اللغة العربية لم يَأْبَهُ لها غيره قبل الآن . ولسرعة انجاز هذا الكتاب الخطير الذي يتطلَّب الدقة والبحث الطويل استعان المؤلف في انشائه وترجمته ببعض معاونيه في دار الكتب الكبرى ببيروت .

٣٥ : نبذة عنوائها « تأسيس دار الكتب الكبرى » في بيروت نشرها الفيكننت دي طرازي عام ١٩٢٣

٣٦ : خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت منذ نشأتها في السنة ١٨٦٠ حتى السنة ١٩٠٦

٣٧ : سلسلة تاريخية لرؤساء شركة القديس منصور ونواب رئاستها وجميع متوظفيها في بيروت منذ عام ١٨٦٠ الى الزمان الحاضر .

٣٨ : « الآثار الذهبية لشركة القديس منصور الخيرية » . يحتوي هذا الكتاب على اهم الصكوك الرسمية للشركة المذكورة وعلى اكثر الخطب والتقارير التي تليت في جلساتها العامة وحفلاتها الكبرى .

٣٩ : « فهارس عامة للجرائد والمجلات العربية في الخافقين » منذ تكوين الصحافة حتى الآن .

٤٠ : « فهارس عامة للجرائد والمجلات الشرقية في الخافقين » لكل من اللغات السريانية والعبرانية والحبشية والارمنية والفارسية والتركية والكردية والتتية واليونانية والاردوية الخ .

٤١ : « نبذة مختصرة في الصحف العربية المصوّرة » .

٤٢ : « مجموع تقارير علمية واثريّة » وجهها الفيكننت الى المجامع العلمية والجمعيات الادبية في اوربة والشرق .

٤٣ : نبذة أدمجت بتاريخ « لبنان » الذي طبعته الحكومة اللبنانية على نفقتها اثناء الحرب العظمى .

٤٤ : كتاب « تاريخ الصحافة العربية » يحتوي على اخبار كل جريدة ومجلة عربية ظهرت في الخافقين مع رسوم اصحابها ومحرريها وتراجم

مشاهيرهم . يقع هذا الكتاب في اثني عشر مجلداً ظهر منها بالطبع الى حين كتابة هذه السطور اربعة مجلدات . وقد أثنى عليه العلماء شعراً ونثراً وأحلوه محل الاعتبار لانه اصبح مرجعاً في موضوعه للباحثين والصحافيين . ومن الشعراء الخمسين الذين قرظوه نذكر ابياتاً للشيخ العلامة ابراهيم الحوراني اختتمها بتاريخ قال :

يا مَنْ اذا صَلَّتْ الاقلام في يده صامَ المهتدُ خوفاً وانحنى وسجد
انشأتَ في الشرق تاريخ الصحافة لم تُسبق اليه ولا باراك فيه أحد
سفرُ به يا ابنَ نصراللهٍ قد نُصرت صحائفٌ كسرت كسراً بغير عدد
أحرزت يا نجل طرازي الشريف به مدحاً وذكراً غدا عطراً لكل بلد
فأنت من رام من مسعاهُ حين بدا بستان تاريخه غضّ الجنى ووجد

١٩١٣

عاشراً : سائر أدباء آل طرازي

اثبتنا حتى الآن أسماء فريق من آل طرازي ممن خَلَقُوا في الملة السريانية آثاراً قلمية . وقد اشتهر بينهم رجالٌ غيرُ مَنْ نوهنا بذكرهم خدموا الصحافة والأدب قولاً وعملاً . أخصهم يوسف طرازي (١٨٤٧ — ١٨٧٢) ابن المقدسي انطون عميد ابرشية بيروت السريانية . فانه دَبِجَ جريدتي «الجنة» و «الجنة» البيروتيتين للمعلم بطرس البستاني بمقالات عديدة بعث بها من مدينة بورسعيد حيث كان امين سر فردينند دي ليسبس فاتح ترعة السويس . وما عدا ذلك فانه على قصر حياته خَلَفَ كثيراً من المنظومات الرائعة المعربة عن نبوغه وطول باعه . نورد منها تاريخاً شعرياً نقشه فوق باب منزلٍ امتلكه عام ١٨٦٩ على شاطئ ترعة السويس^١ . قال :

من فضل ربِّي شَدْتُ بيتاً قامَ في عِبرِ السُّويسِ به أُسرٌ وأُسْرَتِي

(١) لما سافر البطريك الانطاكي مار اغناطيوس فيلبس الاول مع ستة من مطارنته وبعض الكهنة لحضور المجمع الواطيكاني رست الباخرة بتاريخ ٨ آب عام ١٨٦٩ في ثغر بورسعيد . فاحتفى يوسف طرازي بقدمهم وقضوا في منزله يوماً كاملاً على الرحب والسعة .

فَإِنَّمَا الطَّبِيعَةُ نَمَتْ أَرْجَاءَهُ بَرًّا بِزَهْرٍ فِيهِ أَطِيبُ نُكْهَةٍ
فَأَنْضَمَّ فِيهِ الْخَافِقَانِ وَمَتَلَي هُوَ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ فِي ذِي الْبُقْعَةِ
بِالشَّرْقِ صَارَ الْقَرْبُ مُتَّصِلًا هُنَا فَتَلَاَحَمَا وَتَصَافَحَا كَالْإِخْوَةِ
وَبِكُلِّ حَقٍّ صَرَتْ أَهْتَفُ قَائِلًا وَمُؤَرِّخًا لِي تَمَّ حَفْرُ التَّرْعَةِ

١٨٦٩

وانتقل يوسف طرّازي الى دار البقاء بتاريخ ١٠ شباط ١٨٧٢ في بيروت مأسوفاً على آدابه وشبابه . فنظم صديقه العلامة وعارف فضله امين شميل^١ تاريخاً لضريحه قال :

ذَا رَمَسُ يَوْسُفَ طَرَّازِي عَلَيْهِ هَمِي دَمْعٌ سَخِينٌ مِنَ الْأَحْدَاقِ قَدْ نَفَدَا
قَدْ مَاتَ فِي الْخَمْسِ وَالْعَشْرِينَ تَهْصِرُهُ غَضَبًا رِيَّاحُ الرَّدَى تُحْيِي بِهِ الْكَمْدَا
قَضَى الْحَيَاةَ بِتَقْوَى اللَّهِ ثُمَّ مَضَى إِلَى النِّعَمِ لِيَحْظِيَ بِالْهِنَا أَبَدَا
مَلَائِكُ الْعَرْشِ قَدْ نَادَتْ مُؤَرِّخَةً نَوَاهٍ فِي حَضْنِ إِبْرَاهِيمَ قَدْ رَقَدَا

١٨٧٢

ومن أدياء هذه الأسيرة يوسف (١٨٥٧-١٩٠٥) بن نعمة الله طرّازي الذي اشتغل كاتباً حاسباً في ادارة جريدة « الاهرام » في اوائل عهد نشأتها بالاسكندرية . فانه درس اللغة العربية على سليم بك تقلا مؤسس تلك الجريدة عندما كان كبير اساتذة المدرسة البطريركية في بيروت . ولما انجز يوسف دروسه عام ١٨٧٣ أنشد في الحلقة السنوية قصيدة عامرة الالبيات من نظمه وداعاً لتلك المدرسة التي غدّته البان الفضيلة والعلم . ونظراً لمتانة قصيدته معنى ومبنى نورد منها أبيات المطلع وهي :

سَلَامٌ عَلَى صَرَحٍ بِهِ الْعِلْمُ زَاهِرٌ وَقَوْمٌ لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَأْثَرُ
سَلَامٌ عَلَى رَهْطِ الْأَحِبَّةِ كُلَّمَا تَبَاجَّ صَبَحٌ أَوْ تَغَوَّلَ شَاعِرُ
سَأَحْفِظُ ذِكْرَى الْبَطْرِيْرِيْكِيَّةِ الَّتِي بِمَا عَلَّمْتَنِي قَدْ غَدَوْتُ أَفَاخِرُ

(١) طالع ترجمة امين شميل في الجزء الثاني من كتاب « تراجم مشاهير الشرق » لمؤلفه جرجي زيدان صفحة ٢٠٦-٢٠٩ .

رعى الله عهداً في حماها قضيتها ولا ينكر المعروف إلا المكارم
 اودع فيها الفضل والنبيل والنهي وقلبي لها في السر والجهر شاكر
 فلا برحت للشرق مشكاة حكمة تعزز شأن العلم ثم تناصر
 ولما نشبت الحرب بين ايطاليا والحبشة (١٨٩٤ - ١٨٩٦) كلفت
 القيادة العليا للجيش الايطالية يوسف طرازي ان يرافقها الى بلاد الاريتره .
 وعهدت اليه حين ذك بمنصب مهم في قلم الترجمة لتضله من لغات شتى
 شرقية وغربية .

ومنهم فتح الله طرازي (١٨٣٥ - ١٨٩٢) الذي عاش اربعاً وعشرين سنة
 في انكلترا . فانه انشأ مقالات شتى مفيدة ونشرها على صفحات جريدة
 « مرآة الاحوال » لرزق الله حسون ومجلة « النحلة » للدكتور لويس صابونجي
 في لندن . وكانت مقالاته في « مرآة الاحوال » المطبوعة على الحجر مكتوبة
 بخط يده . ولم يكتب فتح الله بذلك بل تبرع بسخاء على هذين الصحافيين
 كليهما تعزيراً لفن الصحافة الشرقية في بداءة عهده . وعلى رغم اشتغاله
 بالتجارة فقد جرت له مساجلات لطيفة مع العالمين اللبنانيين الكنت رشيد
 الدحداح (١٨١٣ - ١٨٨٩) نزيل باريس وامين شمیل (١٨٢٨ - ١٨٩٧)
 نزيل ليثربول . وقضى فتح الله طرازي ايامه الاخيرة في مرسيليا حتى ادرسته
 المنون في ١٤ اذار ١٨٩٢ وقد وقفنا على تاريخ شعري لوفاته هذا نصه :

باليمن فتح الله فارق أهله أملاً بفتح في ربوع الجنة
 من هذه الدنيا مضى متدرعاً بسلاح تقوى الله لا بأسنة
 أسفت له مرسيليا لما قضى وبكته أسرته بدمع الكأبة
 واذا بكاه زهر موطنه ففي تاريخه يبكيه زهر الغربة

١٨٩٢

ومثلاً خدم بعض آل طرازي الآداب السريانية والعربية . انصرف غيرهم
 الى الكتابة والتأليف في اللغة الفرنسية . واهصهم السيدة ماري زوجة

فتح الله طرازي المشار اليه . فأنها وضعت كتباً كثيرة لم تنشر منها سوى ثلاثة وهي : الاول «تبتل الكهنة» والثاني «سياحة في جبل آثوس» والثالث رواية عنوانها «في السيارة» . وتطرقت المؤلفة في كتابها الثالث الى الحديث عما اطلعت عليه من احوال الشرق وعادات الشرقيين . وحأت وفاة هذه الكاتبة في مرسيليا عام ١٩٢٨ بالغة الرابعة والثمانين من سنها .

وما قلناه عن ماري زوجة فتح الله طرازي يصدق عن ماتلد ابنته ايضاً . فقد اكبّت على الدرس والكتابة منذ نعومة اظفارها واشتهرت بما خلفته من الآثار القلمية التي نشرتها في بعض المجلات الفرنسية . وقد هصر غصن حياتها الرطيب في شريح شبابها .

ومن احفاد فتح الله طرازي نذكر المحامي البارع جرجس بن ادمون في مرسيليا . فانه قضى مدةً من خدمته العسكرية بالجيش الفرنسي (١٩٢٥ — ١٩٢٦) في سوريا ولبنان . واثناء ذلك عُيّن استاذاً للغة الفرنسية في مدرسة دير الشرفة إجابةً لرغبة بطريك السريان مار اغناطيوس افرام الثاني رحمه الله تعالى .



القسم الرابع

آيات معرفة الجميل لآل طرازي

الفصل الاول

الاحبار الرومانيون وآل طرازي

كانت الأسرة الطرازية فيما سلف كأغلب الأسر السريانية في مدينة حلب منتمة الى ملة السريان اليعاقبة الزاعمين بطبيعة واحدة في السيد المسيح . وكان ابناؤ تلك الأسرة كابناء زملائهم وجهاء حلب يزاولون في المدرسة المليية مبادئ اللغتين السريانية والعربية . ويغذون انفسهم بقراءة الكتاب المقدس بدءاً من المزامير الداودية طبقاً لاسلوب التعليم الجاري في ذلك العصر . وكانوا يتمرنون على الطقوس البيعية ويتلقنون عن اساتذتهم نتفاً من تواريخ اجدادهم وآداب علمائهم .

فلما جاهر السيد ديونوسيوس ميخائيل جروه مطران حلب عام ١٧٧٤ بالايمان الكاثوليكي المقدس لبي آل طرازي دعوة هذا الحبر الجليل وانضموا الى آرائه وعقيدته . واضحى جدّهم بطرس طرازي الثاني (١٦٨٧-١٧٧٦) من اخص تلاميذه الصادقين وابنائهم البررة الامناء . فاطرح هو وآل بيته المذهب المنوفستي واصبحوا من اقوى المدافعين عن حوزة الايمان الكاثوليكي باقوالهم واعمالهم وامثلتهم الصالحة . وشاطروا رئيسهم الروحي المشار اليه نوابه الشقي . وضجوا بالغالي والنفيس في تعزيز مقامه ولاسيما بعد ارتقائه في

دير الزعفران عام ١٧٨٢ الى الكرامة البطريكية على جميع السريان
دون استثناء .

بلغت مسمعي امام اخبار بيعة الله مار بيوس السادس (١٧٧٥-١٧٩٩)
اخبار غيرة آل طرازي وتفانيهم في تعزيز مقام بطريركهم المغبوط وتشبثهم
باهدا ب الكرسي الرسولي . فانعم على عميدهم الياس طرازي (١٧١٥-١٧٩٢)
بوسام «المهاز الذهبي» طبقاً لبلدة تاريخها ٢٨ آب ١٧٨٥ لم تزل محفوظة الى
الآن . وقد اثبتنا ذلك في الفصل الاول من القسم الثاني تحت عنوان «آل
طرازي وضيافتهم لاحبار الملة السريانية» صفحة ٤٦ .

وورد في قيود آل طرازي ان جدهم انطون (١٧٨٩-١٨٥٥) ارتحل
الى عاصمة الكشلكة عام ١٨٢٩ انتجاعاً للصحة . وحظي بعد وصوله اليها
بمقابلة الخبر الاعظم بيوس الثامن (١٨٢٩-١٨٣٠) الذي ادرك ما يعانيه
هذا الزائر الغريب الديار من ضعف القوى فأمر طبيبه الخاص بمعالجته . فقام
هذا الطبيب باوامر مولاه حتى فاز العليل بعد مدة وجيزة بالشفاء التام .
ولما تشرف انطون بين يدي امام الاحبار ليعرب لقدسته عن عواطف
شكره البنوي ويستأذنه في السفر أوعز اليه ان يتربص في رومية ريثما
يستجمع قواه . ثم فوّض اليه ان يعلم اللغة السريانية في مدرسة نثر الايمان
المقدس لانه كان من البارعين بها . وكلفه ايضاً ان يدرس بعض المخطوطات
السريانية في المكتبة الواثيكانية ويترجم بعضها . فنهض انطون بتلك
الخدمة الادبية واستحق ان تثبت تلك المكتبة اسمه في احدى سجلاتها بين
اسماء رجال الفضل الذين ادوا لها الخدم المشكورة . وبعد هذا عاد انطون
طرازي الى وطنه يحمل تحفاً قدسية نفيسة تكرم بها عليه الخبر الروماني
الموما اليه .

وفي السنة ١٨٥٦ عاد البطريك اغناطيوس انطون الاول (١٨٥٣-
١٨٦٤) من رومة الى بيروت . وحلّ هو واساقفته في دار آل طرازي عملاً
بتقاليد سلفائه الاحبار الانطاكيين . فأهدى اليهم صورة زيتية تمثل دخول

السيد المسيح الى الهيكل واحتضان سمعان الشيخ له . وقد بارك البابا ييوس التاسع (١٨٤٦-١٨٧٨) بيمينه تلك الهدية التي خصها البطريك بالاسرة الطرازية . وما برحت تلك الصورة الجميلة مصونة عندهم كآثر ذخيرة الى هذا العهد .

ولما انفرد عقد المجمع الواتكاني المسكوني عام ١٨٧٠ أتحف الخبر الاعظم ييوس التاسع بطارقة المشرق بهدايا وتذكارات نفيسة . ومن جملتها نوطٌ ذهبيٌ نقش على احدى صفحتيه رسمه الكريم وعلى الصفحة الاخرى رسم المجمع الواتكاني . ولما قفل البطريك اغناطيوس فيلبس الاول (١٨٦٦-١٨٧٤) راجعاً من رومة وحلّ هو وحاشيته في دار آل طرازي أهدى الى عميدهم الكنت نصرالله هذا النوط التذكاري الذهبي . فكان ذلك برهاناً ساطعاً على شديد اعتبار البطريك لهذه الاسرة النبيلة التي تتمتع بارفع منزلة لدى بطارقة الملة السريانية .

واصل آل طرازي صنائعهم في سبيل تعزيز ملتهم وتجلّت تلك الصنائع خصوصاً حين المباشرة ببناء كنيسة بيروت السريانية . وبلغت القاصي والداني اخبار عوارفهم فاراد الخبر الروماني البابا لاون الثالث عشر (١٨٧٨-١٩٠٣) ان يُبدي لكبيرهم نصرالله عاطفة الرضا والاستحسان . ففحجّه وسام « القديس سلفسترس » طبقاً لبراءة مؤرخة في ٢٠ شباط ١٨٨٠ ميلادية . وهو اول سرياني احرز هذا الوسام من سخاء الكرسي الرسولي .

واضاف هذا الاب الاقدس الى تلك المنحة منحةً اسمى واعظم اراد ان يكلل بها شيخوخة نصرالله طرازي عميد اسرته وملته . فانعم عليه برتبة « كنت روماني » تتسلسل في اعقابه الذكور كابراً عن كابر . ذلك اجابة الى رغبة البطريك الانطاكي مار اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٣-١٨٩٧) الذي تسلم براءة هذه الرتبة الشريفة وانفذها الى الكنت الجديد مشفرة برسالة منه هذا نصها :

« نهدي اليكم دعواتنا الخيرية ونستمطر عليكم النعم الربانية

لتمتعكم نفساً وجسماً . اما بعد فان ما انطوت عليه سريرتكم ايها
الابن العزيز الكامل من مكارم الصفات والمآثر الروحية والزمنية والتفاضل
في افعال التقوى والخدمات الحسنة في سبيل الخير الطائفي التي على خطتها
نبغ ابناءؤكم المباركون لم يزل محرّكاً فينا عوامل حبٍ خاص ابوي لكم
تتضاعف بدرجات تفاضلكم في هذه المحاسن . وكان ذلك سبب عزاء
وسرور ومباهاة بكم . ومن ثم فقد ترتب علينا من باب العدل ان نكيل
لكم بكيال مبراتكم هذه تقديرًا لمزلتها وتعزيزًا لجانبها وتزايدًا لاسباب
مباهاتنا ومسرتنا بكم .

« وعليه فبطيب نفس نوافيكم اليوم بالجمالة النفيسة الجليلة النادرة
من رأس كنيسة المقدسة الحبر الروماني الاعظم البابا لاون الثالث عشر
المالك سعيداً . وهي براءته برفع منزلتكم الى مقام الكنت الروماني
السامي جاعلاً حق هذا النعت الشريف متسلسلاً منكم للابناء الابكار
ظهراً بعد ظهر . وذلك دلالة من قداسته على رضوانه الابوي عنكم وعن
انجالكم المحبوبين المباركين وارتياحه الى حسن خدمكم وتقواكم . فنعمنا
ما استحققتكم ايها الابن التقى الفاضل ! فليكن ذلك لكم هنيئاً مريئاً !
وليبدأ ابناءؤكم المباركون وسائر افراد عائلتكم بهذا المجد الذي لاقى محله !
والله نسأل ان يد في عمركم لتستعملوا هذه علامة الشرف بعلاء شأن وفخر .
وان يوتيكم سائر ابواب العز والتوفيق والهناء . هذا ونهدي اليكم والى
افراد عائلتكم المصونة المباركة تكراراً البركة والسلام بالرب في الختام
« أُعطي في رومية في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٨٩٤ وهي الثانية لبطريقيتنا
الحقير

(مكان الختم)

اغناطيوس بهنام بني

بطريك السريان الانطاكي

واليك نص البراءة البابوية المشار اليها كما ورد في الاصل اللاتيني

بالحرف الواحد وهو :

Leo P. P. XIII

Dilecte fili Nasrallah, salutem et apostolicam benedictionem.

Eximia virtutum ornamenta, quibus una cum filiis tuis egregia apud omnes opinione flores et a Patriarcha Antiocheno Syrorum amplissimis verbis commendaris, religionis praesertim pietatisque laus atque immutatum erga Romanam cathedram Nos quodammodo impellunt, ut peculiare benevolentiae tibi documentum deferamus, quod non te solum, sed tuos etiam posteros nobilitate claros efficiat. Quare omnes ac singulos quibus hae litterae Nostrae facient, peculiari benevolentia complectentes, et a quibusvis excommunicationis et interdicti, aliisque ecclesiasticis sententiis, censuris et poenis si quas forte incurrerint huius tantum rei gracia absolventes et absolutos fore censes, te, dilecte fili, tuosque posteros in primogenitorum linea masculina tantum, dummodo sint e legitimis nuptiis progenti, a catholica religione nunquam desciverint, atque in debito sanctae huic Apostolicae Sedi obsequio perseverent, hisce litteris auctoritate Nostra Comites facimus, constituimus, renutiamus. Tibi ideo, dilecte fili, tuisque posteris praefatis concedimus, ut in publicis privatisque tabulis, diplomatibus et apostolicis etiam litteris quibuscumque hoc honoris titulo dici ac nuncupari licite possitis et valeatis, utque utamini, fruamini singulis quibusque honoribus, privilegiis, praerogativis, indultis, quibus alii huiusmodi titulo insignes utuntur, fruntur, vel uti, frui possunt ac poterunt. Decernentes praesentes litteras firmas, validas et efficaces existere ac fore, suosque plenarios et integros effectus sortiri atque obtinere, illisque ad quos spectat et in futurum spectabit in omnibus et per omnia plenissime suffragari, sicque in praemissis per quoscumque indices delegatos et ordinarios indicare ac definiri debere, ac irritum et inane si secus super his a quoquam quavis auctoritate scienter vel ignoranter contigerit attentari. Non obstantibus in contrarium facientibus quibuscumque.

Datum Romae apud S. Petrum sub annulo piscatoris, die XVI Novembris MDCCCXCIII Pontificatus Nostri anno decimoseptimo.

C. Card. de Ruggiero

وفي ما يلي نثبت تعريب هذه البراءة الرسولية عن الاصل اللاتيني:

البابا لاون الثالث عشر

« الى حضرة الابن الجيب نصر الله طرازي

« السلام والبركة الرسولية

« ان حلى الفضائل السامية التي تزينت بها انت وانجالك مع حسن السمعة عند الجميع والثناء الطيب الذي اطراك به بطريك السريان الانطاكي . ولاسيا ما اتصفت به من صدق الدين والتقوى واداء الاحترام الثابت للسدة الرسولية الرومانية . فذلك كله يحملنا على ان نخوّلك برهاناً على انعطافنا الخاص .

« بناءً عليه نرفع مرتبتك ومرتبة اعقابك الى مقام الاشرف والنبلاء . ولما كنا نرؤم ان يشمل انعطافنا هذا كل من توجه اليهم رسالتنا اجمالاً وافراداً . فبعد حل الجميع من كل حرم وقطع ومن سائر الاحكام والتأديبات والعقابات الكنسية التي لعلكم تكونون قد سقطتم فيها ومع اليقين بانكم ستتحلون منها لاجراء النعمة الحاضرة نقلدك ايها الابن العزيز برسومنا هذا وبقوة سلطاننا رتبة كنت . فنقيمك ونعلنك بها مع ابكار أسرتك المذكور يتوارثونها عنك بطريق التسلسل كبراً عن كبر . بشرط ان يولدوا من زواج شرعي ويعتصموا بعري الديانة الكاثوليكية ويشابروا على اداء الاكرام لهذا الكرسي الرسولي المقدس .

« وعليه نسمح لك ايها الابن العزيز ولاعقابك المشار اليهم ان تتخذوا هذا اللقب بحيث يمكنكم ان تستعملوه شرعياً وتتمتعوا بكل اصناف الشرف والامتيازات والانعامات التي يستعملها ويتمتع بها حائزو هذه الرتبة الشريفة او عساهم يجوزونها فيما بعد . فتستطيعون وسوف تستطيعون استعمالها مع التمتع بها في الكتابات العامة والخاصة والمدنية وفي مراسلاتكم الى الكرسي الرسولي . ثم اننا نقضي بان منطوق هذه البراءة ثابت وشرعي وفعال في الحال والمستقبل . وانه نافذ بجزئياته وکلياته وشامل بامتيازاته المذكورة كلها من أنيط او سيناط بهم الامر كافة .

هكذا يُحتمل ان يجري ذلك ويعمل به جميع القضاة سواء كانوا نوّاباً او رؤساء ذوي سلطة ثابتة بحيث ان كل من يخالف الاحكام المذكورة آنفاً يُعدّ عمله باطلاً وملغى . ونبطل كل ما هو مخالف لاوامرنا هذه .

« أُعطي في رومة بالقرب من القديس بطرس تحت ختم الصياد في ١٦ تشرين الثاني سنة اربع وتسعين وثمانائة بعد الالف وهي السنة السابعة عشرة لحريتنا »

(مكان الختم)

(المسجل الكردينال دي روجيرو)

ما كاد ينقضي العام الاول على توجيه هذه الرتبة الشريفة الى الشيخ الجليل الكنت نصرالله حتى أصيب بداء عضال أقعده عن العمل وألزمه الفراش . فبلغ الخبر مقام الخبر الاعظم الذي أوغز الى وزير دولته الكردينال رمبولاً في ٢٢ تشرين الثاني ١٨٩٥ ان يبعث الى ابنه الوفي المشار اليه بالرسالة البرقية الآتية :

« لما علم الاب الاقدس باشتداد مرضك غلب عليه الغم . وهو يمنحك من صميم الفؤاد بركته الرسولية طالباً لك العون الساهي »

فكان لهذا الانعطاف السامي شأن خطير لا لدى الاسرة الطرازية فحسب بل لدى الملة السريانية جمعاء . فكتب البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس بهنام الثاني الى آل طرازي بتاريخ ٢٠ كانون الاول من السنة المذكورة يقول :

« ... فهذا الامتياز الفائق المقدار قد افعم قلبنا سروراً وتسليّة بما يفوق الوصف . فاننا لا نعهد ان احداً نال هذا الشرف المتسامي سوى الملوك والامراء العظماء في بلاد اوربة وغالباً عند طلبهم ذلك بغاية الشوق . فكفى ذلك لكم عزاءً ومجداً وشرفاً . ولنا تباهاً وسروراً . وللطائفة جمعاء فخراً . . . »

على ان برقية الخبر الاعظم هذه ما وصلت الى الكنت نصر الله حتى
رفع الى سدته الرسولية في ٢٦ تشرين الثاني ١٨٩٥ عريضة امتنان وشكر
باللغة الفرنسية هذا تعريبها :

« ايها الاب الاقدس

« ان أقدم فرض يُحتم عليّ اداؤه في عريضتي هذه هو ان ارفع الى
سدتك الابوية عواطف عرفان الجميل للبركة الرسولية التي شامت قداستك
ان تمنحني اياها على يد نياقة الكردينال رمبولا اثناء المرض العضال الذي
أعاني آلامه .

« فهذه البركة التي اعتدتها برهاناً نادر المثال على عطف قداستك السامي
قد غدت لي عوناً قوياً في اوجاعي بل تغزيةً كبيرة في شيخوختي . فازاء
هذا الاحسان الجليل لا استطيع نظراً لسقم جسمي الا ان ارفع عيني
الضيلتين وابسط يدي الواهنتين نحو ذاك الذي تستمد منه كل قوة ملتمساً
منه سبحانه صيانة رأس الكنيسة الكاثوليكية سيدنا البابا لاون الثالث
عشر المالك سعيداً .

« اسأل الله متوسلاً ان يسمع ادعيتي ويمنّ عليّ بالصحة الكافية لائمكّن
من السفر الى رومة تيمناً بمشاهدة أسير الواتيكان المعظم . هكذا يتيسر
لي ان اجدد لقداستك عهد الولاء والاخلاص والانتماء كما اثبتتها لاسلافك
والدي المرحوم انطون طرازي وجد والدي الياس طرازي .

« وبينما اتوقع بذهاب الصبر تحقيق هذه الامنية السعيدة التي اتوق اليها
من صميم الفؤاد التجاسر ان اقدم جزية احترامي البنوي طالباً ان تتنازل
قداستك لقبولها مني كفلسي الارملة . ثم اني لدى مغيب شمس عمري
استمد صلوات قداستك لي ولاولادي واحفادي الذين لبشوا بنعمة الله
متمسكين بعري الامانة لكرسيك الرسولي . وسيظلون معتمدين بمخافة
الرب عملاً بالآية الكريمة التي اتخذها آباي واجدادي شعاراً لهم . وقد ايدتها
قداستك شعاراً ابدياً لاسرتي وهي : تاج الحكمة مخافة الرب .

« وفيما انا منحن تحت عبّ الشيخوخة اجثو بكل احترام امام قداستك
مع الكونتس قرينتي وجميع اعضاء اسرتي سائلاً لنا قاطبةً ولافراد ذريتي
عطفك الابوي وبركتك الرسولية »

أطوع عبيد قداستك

نصرالله دي طرازي

الكننت الروماني

وقد شفع الكننت نصرالله عريضته هذه بتقدمة مالية وتحف شرقية .
وكلف الخورفسقفوس يوسف هبرا الوكيل البطريكي السرياني لدى
الكرسي الرسولي ان يقدمها لاعتاب قداسته . فقام الوكيل البطريكي
بهذه المهمة في مقابلة خاصة جرت له في ١٠ كانون الاول ١٨٩٥ قبل الظهور .
وهو نفس اليوم الذي لفظ فيه الكننت نصرالله روحه بيد خالقها . تعمدته
الله بالرحمة والرضوان .

وفي اليوم التالي لتلك المقابلة نُمي الى الخبر الاعظم نعي الكننت دي
طرازي فلم يتمالك ان اظهر الاسف الشديد على فقده . ثم بلغ الخورفسقفوس
يوسف هبرا بواسطة المونسنيور انجلي كاتم سره انه فوض الى الكردينال
رمبولا تقديم التعازي الى اسرة الراحل الجليل .

ورؤى ان نثبت هنا للكننت نصرالله دي طرازي برهاناً آخر على تعلقه
بالكرسي الرسولي . ذلك انه لدى الاحتفال عام ١٨٨٧ باليوبيل الكهنوتي
الخمسيني للبابا لاون الثالث عشر اشترك بسخاء في الهدية النفيسة التي رفعها
البطريك السرياني مار اغناطيوس جرجس الخامس الى صاحب اليوبيل . وكانت
تلك الهدية بطرشيلاً منسوجاً بالذهب ومرصعاً باللؤلؤ لا نعهد ان يدا
شرقية نسجت على طرازه في سالف الزمان . وقد أعجب به الخبر الاعظم
غاية الاعجاب حتى انه توشح به صباح عيد يوبيله وهو داخل باحتفال باهر
الى كاتدرائية مار بطرس .

وقد هذا حذو الكننت نصرالله انجاله في تبيان عواطف اخلاصهم

للكرسي الرسولي وتشبههم بالاحترام لرأس البيعة الجامعة . فتشرف كبيرهم الكنت انطون وقرينته الكونتس ماري بزيارة البابا لاون الثالث عشر عام ١٨٩٣ في مقابلة خاصة لاجل تهنئته ببلوغه السنة الخمسين من اسقفيته . فسعيًا خصيصاً للقيام بهذا الواجب وأدباً لقداسته فريضة الاجلال مشفوعة بحزيتهما البنوية . وكان الكنت انطون قد سبق وحج عاصمة الكثلثة عام ١٨٨٩ ونال ايضاً شرف المشول لدى الحبر الاعظم المشار اليه .

ونهج الفيكنت سليم نهج شقيقه الكنت انطون فحظي بالمشول لدى قداسة البابا دفعتين متواليتين عام ١٨٩٥ ونال من مكارمه وسام «القديس غريغوريوس الكبير» من رتبة كومندور . ثم دفع اليه البابا مبلغاً وافراً من المال باسم البطركية السريانية يُنفق على مشاريعها الخيرية كما سلف القول في الفصل الثاني من القسم الثالث . وحاز سنة ١٩٠٠ وسام «التذكاري المئوي للقرن العشرين»

اما الفيكنت فيليب فقد اقتفى ايضاً آثار آبائه وشقيقه في ابداء ولائه للسدة الرومانية . فتشرف هو وقرينته السيدة اوجيني في ٥ نيسان ١٩٠٠ بمقابلة البابا لاون الثالث عشر . وكان ذلك يوم الثلاثاء من اسبوع الآلام اذ ينصرف الحبر الاعظم في اثنائه الى الصلاة وتقفل ابواب قصر الواتيكان في وجوه الزائرين . الا ان البابا شاء ان يظهر للفيكنت وقرينته عطفه السامي الابوي فامر ان يُستثنى الزائران من قانون اسبوع الآلام . وقد استغرقت الزيارة خمساً وثلاثين دقيقة تحدث الاب الاقدس اليهما في خلالها عن شؤون كثيرة تتعلق ببلاد الشرق كأنه ساكن فيها ومضطلع باحوالها . وفي نهاية المقابلة اهدى الحبر الاعظم الى الفيكنت فيليب وسام «القديس سلفسترس» من رتبة كومندور بعد ما سبق واهدى اليه عام ١٨٩٤ وسام «القديس غريغوريوس الكبير» . ونال كذلك وسام «القبر المقدس» ووسام «محامي القديس بطرس» ووسام «التذكاري المئوي للقرن العشرين» .

هكذا ظل آل طرازي منذ القرن الثامن عشر الى هذا اليوم على وصال متين وولاء بنوي وثيق مع الاحبار العظام خلفاء شمعون كيفا في رومة عليه السلام.

الفصل الثاني

تكريم أئمة السريان وكتبهم لآل طرازي

لا نعرف أسرة سريانية كالأسرة الطرازية أجمعت أفواه أئمة السريان واقلام كتّابهم وقرائح شعرائهم قديماً وحديثاً على إطرائها وتعداد مناقبها . لسنا نقول ذلك من باب المبالغة بل من باب الحق والانصاف . لان ما اثبتناه عنها الى الآن من الاقوال الخالدة والحجج الدامغة لا يُعتبر في نظر عارفها سوى برزخ من عذب ومن ثم رأينا ان ندرج في هذا الفصل من كتابنا ألباً من الوثائق العديدة التي كتبها الرؤساء والمفكرون السريان الى اسرة طرازي في احوال شتى وآونة مختلفة . وهي اجلى برهان على شدة اعتبارهم لها واقرارهم بعوارفها . ولا غرو فان لتلك الكتابات قيمة معنوية ثمينة لا ينسخها كزور الاعوام . ومن اوثق البراهين على صحة قولنا تلك النعوت الفريدة التي استشهدنا بها في الصفحة ٤٩ من هذا الكتاب . فانها واعصري كافية لظهار ما احزته هذه العترة المباركة من رفعة المقام لدى ائمة السريان ومفكريهم . وفي ما يلي نثبت ما توخيناه من تلك الحقائق مسلسلًا بحسب تاريخه على حد قول القائل «لكل قديم حرمة» :

كتب البطريك اغناطيوس ميخائيل الرابع من دير مار افرام الرغم بتاريخ ٢٩ تموز ١٨٠٨ رسالة الى انطون طرازي يعزیه بوفاة والده المقدسي نصرالله نقتطف منها ما يلي :

«... وهذا السهم الذي اصابكم نالنا منه القسم الاوفر . لاننا

اكثر من الجميع قد اخترنا فضائل المرحوم وغيرته على الديانة واهتمامه
بصالح الطائفة... وكان قدوة حسنة بسيرته ومبراته واعماله...».

وكتب البطريرك اغناطيوس سمعان الثاني من دير الشرفة بتاريخ ١٠
تشرين الاول ١٨١٧ الى انطون طرازي المشار اليه ما يلي :

«... لا نقدر يا ولدنا العزيز ان نكافئكم على اتعابكم وفضلكم
ومحبتكم . وعلى الخصوص لانه ليس لنا احدٌ غيركم نعتمد عليه لاجل قضاء
مصالح الطائفة...» .

وكتب البطريرك اغناطيوس بطرس السابع بتاريخ ٩ شباط ١٨٥١ من
حلب الى انطون طرازي الموما اليه يشكر له احسانه ويختم رسالته
بهذه العبارة :

«... نسأل الله ان يعوض عليكم جميعاً اضعاف ذلك في الدنيا
ويجعلكم بعد العمر الطويل من ابنا الملوك . ويفرحكم بانجالكم
المحروسين لتروا اولاد اولادهم ويكونوا مثل اغصان الزيتون حول
مائدتكم . وعربوناً لرضا نبارككم ببركة ابراهيم واسحق ويعقوب داعين
بتوفيقكم الروحي والزمني ومتضرعين الى إله الرحمة ان يفيض عليكم
ينبوع الخيرات السماوية والارضية» .

وكتب البطريرك اغناطيوس انطون الاول من دير الشرفة الى انطون
طرازي واولاده في ١١ شباط ١٨٥٤ قال :

«... لاننا في كل وقت نتذكر لطفكم وانسكم واكرامكم
واتعابكم امامنا مع عائلتكم كلها اثناء المدة التي اقناها عندهم . وكلمنا
ير ذلك بفكرنا نبارككم من صميم القلب ونطلب من الرب الاله ان
يكافئكم عنا بخيراته وبركاته ونعمه الروحية والزمنية . ويجعل داركم
معمورة ومغمورة بالخيرات الى الابد...» .

وكتب السيد غريغوريوس يعقوب حلياني مطران دمشق في ٥ كانون الثاني ١٨٥٦ الى آل طرازي يعزيهم بوفاة عميدهم المرحوم المقدسي انطون الذي انتقل الى جوار ربه في ٣١ كانون الاول ١٨٥٥ قال :

« . . . امنس تاريخه بلغنا خبر انتقال المرحوم والدم الى رحمته تعالى .
فحقاً لا نقدر نصف لكم عظم الحزن الذي شملنا من هذا الخبر المؤلم .
فكان يجب ان نحضر بذاتنا لتعزيتكم . ولكن من كون العذر في هذه
الايام مقبولاً^١ اقتضى تحرير هذه الاسطر لحضرتكم طالبين من الرب الاله
ان يعزيكم بمراحمة الالهية . ويمنحكم نعمة الصبر على فقد هذه الجوهرة
والذخيرة التي كانت مشهورة لدى الجميع بافعال صالحة وعبادات تقوية
وسلوك حسن مع الجميع . . . » .

وكتب البطريرك اغناطيوس فيلبس الاول من دير الشرفة في ٢٦ كانون الثاني ١٨٦٧ الى الكنت نصرالله طرازي قال :

« . . . علمنا بانكم مسرورون وآخذون تمام راحتكم التي تهمننا للغاية
لكونكم في اعظم طبقة من الاعزاز عندنا . ونعتبر خاطركم اشد الاعتبار
ونود خيركم وراحتكم ونجاحكم من صميم الفؤاد . وهذا مما لا شبه
فيه ان ضميركم النقي يشهد لكم بهذه الحقيقة الراهنة الثبوت . ولكن
الذي عزى قلبنا هو تصورنا ما انتم منطورون عليه من الاخلاق الحميدة
وتجملكم بحسن التقوى والفضل والغيرة المقدسة والرغبة الحارة في خير
الطائفة العام . . . » .

وكتب البطريرك اغناطيوس جرجس الخامس من بيروت بتاريخ ٩ ايلول ١٨٨٦ الى الكنت نصرالله طرازي في عاليه يودعه قبل رجوعه الى كرسية

(١) كانت الطريق بين دمشق وبيروت تسدها الثلوج اثناء فصل الشتاء . وكانت
وعرة المسالك ايضاً لا يمر بها الا المشاة او المسافرين ركوباً على ظهر البهائم . لان طريق
العربات ما انشئت الا عام ١٨٥٩ كما ان السكة الحديدية لم تحدث الا عام ١٨٩٦ .

في حلب . قال :

«... كنا نتشوق قلبياً الى مشاهدتكم اثناء الوداع لنبشكم تشكراتنا الابوية عما لقينا من حسن مودتكم والطافكم ومن كرم انفس كل افراد عائلتكم المصونة... وقد تكبدنا صعوبة عدم مشاهدتكم عند الوداع لاجل توفير صحتكم الغالية التي تهمننا للغاية... ونختتم بشكر معروفكم وحميتكم » .

وكتب العلامة الشهير السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق في صك وصيته الاخيرة المؤرخة في ١٢ كانون الاول ١٨٨٩ قال :

« اني ارى من الواجب عليّ في صك وصيتي الاخيرة هذه ان ابوح بما هو مكتوم في صدري منذ سنين وعبرت عنه للناس مرات شتى عند حضور الفرصة وهو : اني مأسور بامتنان عظيم للرجل الاعز الجليل الفخيم نصرالله طرازي ومغمور بفضله بنوع يفوق كل الوصف . واقرب باني عاجز عن وفائه ومجازاته على ما صنعه معي من انواع المعروف الجليل في حياتي ولو اوصيت له بكل ما املكه . فارى ان احسن وجه لمكافأته ومكافأة سلالته المباركة المشتركة معه في الفضل عليّ هو اعترافي بهذا لهم في هذه الفرصة الجلييلة من حياتي واقراي الاحتفالي بفضلهم الفائق عليّ . وهو خير من كل وصية يمكنني ان اوصي لهم بها من كل ما املكه... » .

وكتب البطريرك اغناطيوس افرام الثاني من حلب بتاريخ ٤ نيسان ١٨٩٠ عندما كان مطراناً رسالة الى نصرالله طرازي يقول فيها :

«... ولا اقدر ان اصف لكم الكرب الذي اورثني فراقكم . وها اني على ممر الساعات اذكر اوصافكم الفريدة والنعم الذي كنت فيه مدة حلولي في داركم العامرة . فحقاً ان لساني قاصر عن اداء الشكر الذي يجب عليّ لكم من وجوه شتى . فان ما خولتموني اياه اولاً وآخرًا من الكرم والفضل واللطف والنعم لا حد له . فليس لي الا ان ادعو الى

الله من اقصى الفؤاد ان ... يبيقيكم سنداً وفخراً تتباهى به الطائفة
السريانية في جميع البلدان» .

وكتب الخبر المشار اليه الى الفيكنت فيليب من بغداد بتاريخ ١٢
شباط ١٨٩١ يعلن قائلاً :

«... اني اقر جهاراً بانكم انتم يا آل طرازي الافاضل قد غمرتموني
باحسانكم . وليس لي من اتباهى به على وجه الارض غيركم . أبقاكم
الله دهرأً مديداً وفخراً لي ...» .

وكتب اليه ايضاً البطريك عينه بتاريخ ٣ تموز ١٨٩٢ ما نصه :

«... ولا ريب عندي ان طائفتنا البيروتية على صغرها تحوز قصبات
السبق على سائر اخواتها في سورية وما بين النهرين . وذلك لعلو هممة
عائلتكم وشدة حميتها وسخائها . فهنيئاً لكم على ذلك !...» .

وكتب اليه ايضاً بتاريخ ٢٥ تشرين الاول ١٨٩٣ من الموصل ما نصه :

«... اقول ذلك كله مع الاعلان على رؤوس الملا بانكم انتم
موضوع عزي وفخري وملجائي . وكل ما يخصكم فهو يخصني ... فارغب
ان تقرأوا ... سلامي وبركتي على حضرة والدكم فهو درة طائفتنا ...» .

وكتب اليه ايضاً من الموصل بتاريخ ١٩ تشرين الاول ١٨٩٤ يقول :

«... اني اعلم علم اليقين بانك انت في جملة آل دارك من أخلص
الناس لي مودةً . واعظمهم عليّ فضلاً . واشدهم على الطائفة غيرةً . واكثرهم
شوقاً الى ان يروا طائفتنا تأخذ بالتقدم والنجاح ...»

وكتب اليه في ٢٢ كانون الاول ١٨٩٤ من الموصل ما نصه :

«... لقد طربتُ فرحاً بوصول البريد الحامل بشرى الانعام الذي
خصك به الاب الاقدس اذ جعلك من فوارس مار غريغوريوس الكبير

ومنحك الوسام المختص باصحاب هذه الكتيبة المقدسة . فهنيئاً لك ذلك !
وهنيئاً لعائلتك وهنيئاً لي انا ايضاً ! اذ انني اجعل نفسي من اخص اصدقاء .
آل طرازي الكرام واصدقهم . وحسي ان اتباهى واتفاخر بكم واقول :
انكم الدرة اللامعة في هامة طائفتنا .

وكتب هذا الخبر النبيل الى الكنت نصرالله دي طرازي بتاريخ ٢٢
كانون الاول ١٨٩٤ يهنئه بالرتبة الكنيّة الشريفة قال :

« . . . فيا ما اطيب البشارة التي وافقتنا مع البريد الاخير اذ اعلمتنا
عن المقام السامي المنيف الذي رقاكم اليه قداسة لاون الثالث عشر المالك
سعيداً . اذ منحكم بكل استحقاق رتبة الكنيّة وحلّاكم باقبا الوسيم .
فاذا كانت هذه البشارة قد وقعت اجلّ موقع في قلوب جميع بني الامة
الارامية وكلهم على وجه العموم يلهجون بمدحكم ويطربون لعلو شأنكم
ويعتقدون فيكم الاستحقاق والجدارة فاذا ينبغي لي ان اقول عما أثّره في
هذا النبأ من الفرح والسرور ؟ . . . اني اتباهى واتفاخر بين الملأ بانني من
اخص من ينتمي الى حماكم ويعتزّ بكم ويعرف ما فطرتم المولى عليه من
رقة الجنان وحمية النفس وكرامة الطبع ويشني على افضالكم السابع . فهنيئاً
ثم هنيئاً لكم ذا الشرف ! ولذلك ندعو من اقصى القلب ان يجعلكم
المولى على الدوام تاجاً في راس امتنا . ويمدّ في عمركم . ويهنئنا بكم . ويحفظ
عائلتكم النبيلة في اليمن والنجاح . . . »

وكتب هذا الخبر العلامة عينه من حلب بتاريخ ١٠ آب ١٨٩٥ الى
الفيكنت فيليب دي طرازي قال :

« . . . ساءني خبر توعك مزاج والدم الجليل الكنت دي طرازي .
فاتضرّع الى الله ان يحفظ لنا حياته الثمينة اعواماً مديدة . وعندني انه
حسّه المولى اعزّ رجل تفتخر به طائفتنا وتتخذها لها اماماً ومثالاً . ويا ليتني
كنتُ لديكم لشاركتكم في بذل العناية لحفظ حياته الغالية ! »

وكتب القس افرام نقاشة^١ من الموصل بتاريخ ١٧ كانون الاول ١٨٩٤
يهنى الكنت نصر الله دي طرازي قال :

« . . . اما بعد فما استحسن الناس سيما طائفتنا السريانية شيئاً من
امور السياسة الروحانية كما استحسنوا الانعام الذي خوله الله لشخصك النبيل
على يد خليفته على الارض قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر اذ
سمّاك كنتاً رومانياً . مع ان هذا الشرف لا يعطى الا لامراء اوربا
الكبار . لعمرى ان هذا الانعام قد صادف من كان اهلاً له . والآن
أظهر ما كنت افكر في نفسي حين تشرفت بزيارتك وترددت الى دارك
العامرة . وشاهدت فيك كما في سائر ابناء عائلتك المحروسة الاطوار
اللطيفة . فكنت اقول اني راء فيك اكثر مما كنت اسمعه عنكم جميعاً .
وانك مفطور طبعاً بجلالة النسب وطهارة الاخلاق وكرم المجتد وبكل ما
هو خليق بالاشراف . ولهذا فحالما طرأت سماعي هذه البشارة السعيدة
طربت نفسي فصرخت على الفور وقلت : لعمرى هكذا يُصنع برجل يريد
الملك اكرامه (استير ٦ : ١١) .

« . . . ولاجل هذا ارفع يدي الى الله عز وجل وابتهل اليه قائلاً :
اللهم احفظ كنتنا الشريف هذا واحرس انجاليه الكرام انطون الفيكنت
وسليم افندي وفيليب الكافير . ولاسيا السيدة منة الحكيمة الهامة
التقية مع بناتها السيدات الكريمات وسائر من يلوذ بعائلة دي طرازي
المحروسة . ربنا زد الكنت نصراً وعزاً وفخراً وأوله هو وخاصة عافية
دائمة ونجاحاً وتقى آمين يا رب العالمين »

وكتب القس افرام نقاشة من دير الشرفة رسالة بتاريخ ٢٣ كانون
الاول ١٨٩٩ الى عميد آل طرازي يهنئه بعيد الميلاد المجيد ومطلع القرن
العشرين نقتطف منها ما يلي :

(١) ارتقي الى مطرانية حلب باسم ديونوسوس افرام نقاشة في ٥ نيسان ١٩٠٣

« اما بعد فاذا كان ترنيم الملائكة : المجد لله في العلى وعلى الارض السلام والمسرة الصالحة بين البشر، يدعو في هذه الايام الناس اجمع الى الالفة والمسرة ، فكيف لا انتعش انا فرحاً وأقرئكم السلام واقدم المعايدة لكم خصوصاً يا آل طرازي الكرام؟ والعالم كله يعرف انكم فخر طائفتنا السريانية والمجدون في رفع شأنها وتقدمها ونجاحها . ولهذا فاني من محل انفرادي في شرفة كسروان رفعت اكفي الى العلى ودعوت لكم ان تردادوا عافية وفضلاً وتوفيقاً . . . فاهنئكم بهذا العيد وبعيد رأس السنة وبالقرن الجديد . . . واسأل الرب ان يحفظكم . . . بالتوفيق والاقبال والهناء مع العمر الطويل . . . »

وعلى اثر وفاة الكنت نصرالله دي طرازي عام ١٨٩٥ توافدت على أسرته رسائل التمزية من بني السريان وغيرهم من سائر الملل . نقتصر منها على العبارات التالية التي كتبها من حلب الخورفسقفوس جرجس شلحت عضواً للمجمع العلمي العربي بتاريخ ١٧ كانون الاول ١٨٩٥ وهي :

« . . . يا حَبْدًا لو كان موقفى هنا موقف خطيب لكنت . . . اشرح ما شمل القلوب من الاشجان حين اذ صكَّ الاسباع . . . خبر وفاة عميد ذلك البيت الشريف الذي تعتزَّ الملة السريانية بانه اعظم بيوتها العريقة في المجد والفضل . واعدد هذا الفقيد المفقود ناشراً على رؤوس الاشهاد طراز محاسنه ذاكرًا فعاله ومآثره التي تحاكي عدد النجوم كثرة . . . »

وكتب الخورفسقفوس جرجس عينه الى الفيكنت فيليب دي طرازي يعزّيه بوفاة شقيقه الفيكنت سليم . وشفع كتابه برثية اختتمها بالآيات الآتية :

يعزّ عليّ ان أبدي التعازي	وقلبي من أسي يحكي السعيرا
ولما كنت لا ألقى مناصاً	كتب بادمعي هذي السطورا
تعزّي من لنا فيه اعتياض	وإن كان الفقيد فتي خطيرا

ولا عجبٌ اذا عيني أُقِرَّتْ فان غاب الاميرُ ترى أميراً

وكتب فقيده اللغة العربية القس توما ايوب من حلب بتاريخ ٦ ايار ١٨٩٧ الى عميد اسرة دي طرازي قال :

«... شكري لسيدي ما لقيتُ منه ومن أسرته الكريمة من الحفاوة والايادي البيض لا استطيع الى توفيته سبيلاً . وأراني ولو اسهتُ فيه مقصراً كليلاً . كيف لا ونعمكم اللازمة الذكر ومننكم الواجبة الشكر على الطائفة السريانية وأجبارها وكهنتها مما يعجز الواصف عن عدها فضلاً عن حدها . على اني اقتصر على الدعاء الى الله ان يتمتع بكم ويكلاًكم من غوائل الدهر ويبقيكم متقين ظلال الرفاه والفخر ما تحقق نصرته وتائق فجر .

« اقد اتاح لي الله ان ازور بيروت الزهراء . واشاهد مرأى العين ما كنتُ اسمعه من الداني والقاصي عن مآثر أسرة دي طرازي الفخمة . فكان ما رأيته أعظم وأجل مما سمعته . فقد رأيتُ تلك الحلال الكريمة حلية الدهر وزينة العصر . رأيتُ العائلة المسيحية العائلة الجديرة ان تفتخر بها الكنيسة لمبارها وكرم عنصرها . ثم قفلتُ الى الوطن أتلو على رؤوس الاشهاد ما رآته عيني وسمعت به أذني من المفاخر الحسنة . ولا اجد تغزية اذا عرا خطبٌ او ادلهم مصابٌ الا في ذكرى ايام زجيتها في بيروت قرير العين مجبور الخاطر بالتفاتكم اليّ انا العبد غير المستحق . هذه فريضة الشكر والثناء ارفعها الى حضرة الفيكننت الجليل ووالدته المحترمة وعقيلته المكرمة وسائر من انتمى الى الاسرة العريقة في النبل والفضل... »

ونظم العلامة الدكتور لويس صابونجي قصيدة طويلة بعث بها الى الكنت انطون دي طرازي (١٨٥٧-١٩٠٠) يهنئه بولادة نجله الكنت فكتور عام ١٨٩٤ واختتمها بقوله :

هُبَّتْ يا انطون اذ ابلغتني نبأ سُمرتُ به سروراً زائداً

هَثَّتْ بِلْ أُسْعِدَتْ بِالنَّجْلِ الَّذِي فِيهِ اسْمُ نَصْرَاللهِ^١ يَبْقَى خَالِدًا
 نَجْلٌ تَقَاءَ لَنَا بِخَيْرِ قَدُومِهِ وَقَدُومُهُ بِالْخَيْرِ جَاءَكَ وَارِدًا
 مَنْ الْإِلَهِ بِهِ عَلَيْكَ وَنَجْمُهُ سَيَكُونُ فِي فَلَكَ النِّجَابَةُ رَاصِدًا
 سَيَكُونُ فَكْتُورُ النُّضِيرِ لآلِهِ بِالْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ غَضْنَا مَائِدًا
 سَيَكُونُ ذُخْرًا لِلْإِحْبَةِ عِنْدَمَا يُلْفُونَ مِنْهُ فِي الشَّدَائِدِ نَاجِدًا
 سَيَكُونُ لِلْفُقَرَاءِ غَوْثًا كُلَّمَا ذَكَرُوا نَدَى لَجُودِهِ وَمَحَامِدًا
 سَيَكُونُ لِلْأَبَاءِ فِرْعَاءً طَاهِرًا سَيَكُونُ لِلْأَبْنَاءِ أَصْلًا رَاشِدًا
 أَبْقَاكَ رَبِّي بِالْصَفَاءِ مِمْتَعًا لَتَرَى وَلِيدَكَ فِي حَيَاتِكَ وَالِدًا
 وَيَرَى ثَمَارَ بَنِيهِ فِي أَحْفَادِهِ فَيَسْبَحِ الرَّحْمَانُ فِيهِمْ حَامِدًا

وكتب الدكتور القس لويس صابونجي أيضاً بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٨
 من مدينة لوس انجلوس الى الفيكنت فيليب يقرظ جهوده المستمرة ونجاحه
 الباهر في تأسيس دار الكتب الكبرى في بيروت قال :

« ... انتقلت صداقتي العريقة اليكم منذ كنتم طفلاً . لانني انا
 الذي اخذتكم على يدي وعدتكم في كنيسة الرهبان الكبوشيين . . .
 بناءً على ذلك يسوغ لي القول ان صداقتي الخالصة لحضرتكم مقرونة
 بهمتي الموهوبة قد انتقلت الى جسمكم اللطيف وقت العباد . وكما جاء في
 الامثال « همم الرجال تنقل الجبال » هكذا حضرتكم بهمتكم السماء ما
 نقلتم الجبال العالية بل نقلتم محصول العقول السامية من دماغ العلماء الجهابذة
 وجمعتموه في دار عمومية لكتب نفيسة . وهذا العمل المنيف سوف يجتهد
 ذكركم الحميد مع ذكر الملك الاثوري اشور - بني - بال الذي انشأ اول
 مكتبة عمومية في نينوى . وسيخلد ذكركم ايضاً مع فراغة الديار المصرية

(١) لما ولد الكنت فكتور سُمِّيَ في العباد « نصرالله » احياء لاسم جده
 الكنت نصرالله وجد جده المقدسي نصرالله . وقد تقاب عليه اسم فكتور وهو ترجمة
 نصرالله في اللغة الفرنسية .

ومشاهير البطالسة ومن هذا حذوهم المدوح في انشاء مكاتب عمومية
لتنوير العقول البشرية . لله دركم ! انا لا أحسدكم على هذا الشرف الرفيع
بل أغبطكم عاياه بقلب يطفح سروراً . لانكم اول سوري نبيل صرف
فكره المنير الى هذا العمل الجليل^١ وسعى لاجراجه الى حيز الوجود
بنجاح عظيم . . . »

وكتب الاب الهمام الخورفسه قفوس جرجس ابرهمشا من القاهرة بتاريخ
١٦ كانون الثاني ١٩٣٢ الى صديق له في بيروت قال :

« . . . لقد طابت نفسي انشراحاً للافادة التي تفضلتم بها عن سعادة

(١) نشرت مجلة « رسالة السلام » البيروتية صفحة ٢٠٢-٢٠٩ في عددها الخامس
من المجلد الحادي عشر بتاريخ ايار ١٩٣٩ مقالةً عنوانها « اشهر الاعصر الادبية عند
الامم » . بحث فيها كاتبها عن عصر بريكز عند اليونان واوغسطس عند الرومان والمأمون
عند العرب ولاون العاشر عند الايطاليين ولويس الرابع عشر عند الفرنسيين . فلما انتهى
البحث به الى من يستحق ان يُترك اسمه لعصرنا في لبنان قال ما حرفة :

« فالسيد الذي يستحق ان نلقب عصرنا باسمه هو رجل له فضل كبير على الكتاب
في اواخر القرن الماضي وايماناً هذه . . . ذلك الرجل الجدير بهذا الشرف هو الفيكت
فيليب دي طرازي . وهماك حالاً الاسباب التي دفعتنا الى ان نلقب عصرنا بعصر طرازي .
اولاً لما له من الافضال على الصحافة وعلى رجالها بكتابه « تاريخ الصحافة » . ثانياً
لما له من الافضال على الشبيبة الراقية بتأسيسه المكتبة الوطنية العمومية . اننا لم ننظر الى
اصله الطيب ولا الى اخلاقه الكريمة ولا الى علومه الغزيرة ولا الى كثرة الاوسمة التي
وهبه اياها الملوك والاحبار والجمعيات العلمية الشرقية والغربية ، بل الى تأثيره في محيطه .
وأى رجل أثر في محيطه ونفع مثله ؟

« ولا نبالغ ابداً اذا قلنا انه قد قام وحده بتأسيس المكتبة الوطنية العمومية . . .
ولا يشعر بفائدة هذه المكتبة وتأثيرها في الشباب الا من كان شاباً او على الاقل من
زارها ورأى الشبان المظالمين كتبها . فاول مرة دخلنا تلك القاعة راعنا ما شاهدناه من
الرسوم في صدرها وهي رسوم اعظم كتاب لبنان تكاد تكون ناطقة . . . فنخطر على
بالنا فكرٌ وهو : لم يقم احد منا يوفي طرازي حقه ويشكر له اكرامه لكتابتنا
وجميلة لشباننا ؟ وعندئذ حانت منا التفاتة الى الشيخ ناصيف اليازجي فشعرنا كأنه يقول
لنا بحكمته المعروفة :

« لا يحمد القومُ الفتى الا متى مات فيعطى حقه تحت الثرى »

الفيكنت فيليب دي طرازي . لاني أدري الناس علماً بما لسعادته من
الايادي الحسنة والمآثر الغراء في سبيل طائفتنا واعلاء شأنها والاشادة
بذكرها في كل فرصة . ولو أردنا احصاء حسناته العديدة الى ملته وما
أتته أسرته النبيلة في خدمتها افاتنا العدة . واني ممن يعتقدون ان من كان
في أبرشيته مثل الفيكنت غيرة ومحبة واخلاصاً لوصل بها الى أوج العلا .
وقد قميت على الله لو يكون عندنا مثله في القطر المصري لينهض بنا الى
مدارج الرقي اذاً لغدونا في مقدمة الملل ! غير اننا نحن معاشر الامة الارامية
لا نقدر قدر رجالنا العاملين البارزين ولا نفاشيهم حسب افكارهم الصائبة
التي تعود عليها بالخير والفائدة أينسى فضل الفيكنت في خدمة دير
الشرفة وتنظيم مكتبته ؟ أينكر جميله وجميل أسرته النبيلة على كنيسةنا
في بيروت وجمعيتنا الخيرية ؟ أيجحد ما أتاه من الاحسان في سبيل مهاجري
السريان الذين قذفهم الحرب العظمى الى بيروت ؟ فقد ضمهم الى رعايته
واعتنى باسكانهم وتشغيل رجالهم وتهذيب اولادهم ثم أنفق عليهم من ماله
الخاص وما برح يتعهدهم ويساعدهم في قضاء حاجاتهم

« اني والحق يقال لو أوتيت سعة من المال لعملتُ تمثالاً له وجعلته
في بقعة تليق به تحليداً لذكره وتعنيًا بديحه . ولكن هذا سيقدر عاجلاً او
آجلاً ان شاء الله اقراراً بجميله على العلم والطائفة . اطال الله بحياته
الشمينة »

وكتب الشيخ الجليل والشاعر البليغ فتح الله بك خياط السرياني الى
آل طرازي رسائل كثيرة وقصائد عامرة . نجتزئ منها باثبات رسالة وجهها
من الاستانة بتاريخ ٢١ كانون الاول ١٩٢٠ الى عيد أسرة طرازي في
بيروت قال :

« بعد لثم الراحتين الكريمتين واداء فروض الدعاء الحميم اعرض :
اسعدني الحظ بعد تخلف بشائر صحتكم الغالية عني مدة ان أحظى

برسالتكم الغراء المؤرخة في ٣ من هذا الشهر . وقد جشوتُ على ركبتي
الضئيلتين وحمدت الله على دوام سلامتكم وعلى استمرار تعطفاتكم
الاريفية واستقرارها نحوي وقلتُ على الفور :

أمولاي يا نعم المجير ومن به مدى الدهر لم أبرح شكوراً أفاخرُ
مقامك مقصودٌ وقدرك باذخٌ ومثلك مفقودٌ وفضلك زاخُرُ
« وقد وجب عليّ اليوم ان اشكر لكم كل الشكر دوام منكم
عليّ . . . واختم عريضتي هذه بتخميس البيتين المسطورين اعلاه تحدثاً بما
طوqتموني به من قلائد المنى وفرائد النعم . فان صادف منظومي المنوه به
في ساحتكم الفسيحة الارجاء . محطّ الامل والرجاء . وحاز الرضى والقبول .
فذايك عندي أجلّ المأمول وأسنى المسؤول فاقول :

رعى الله قوماً قد غدا غوث صبحه وفاضت على العافين أنوارُ سحبه
فقلّ لمغيث الخلّ في يوم كربه أمولاي يا نعم المجير ومن به
مدى الدهر لم أبرح شكوراً أفاخرُ

لك الله من ركن به الودّ راسخٌ على أسّ صدق طود عليها شامخٌ
فلا بدع ان وفأك بالوصف صارخٌ مقامك مقصودٌ وقدرك باذخٌ
ومثلك مفقودٌ وفضلك زاخُرُ

ولما انشأ الفيكنت فيليب دار الكتب الكبرى في بيروت عام ١٩٢١
قرظه فتح الله بك خياط ايضاً بهذين البيتين :

هنيئاً لدار الكتب من انت عزها وبدر علاها الالمعي مديوها
اذا باهت الآداب فيك بني الوري فانك يا فيليب حقاً أميرها

وكتب السيد داود دائخ السرياني قنشليار دولة ايطالية في الاسكندرية
رسالة بتاريخ ٤ آب ١٩٢٢ الى الفيكنت فيليب دي طرازي ورد فيها :

« . . . عرفتكم منذ سنين فصارت بيننا صلة ودية وصداقة تزيهة عن
كل غاية شخصية . وكلما زاد تعرفي بك ازداد اعتباري لك . واصبح هذا

الاعتبار حباً يجعلني ان أُسرَّ سروراً قليلاً كلما سمعتُ عن اعمالك الحسنة .
وعن النتائج التي تكللها . ففي مدة الحرب كانت اعمالك الحسنة خفيةً
تسترها يدُ الشمال . شاهدتك مرات عديدة بجميعة فقير تغيشه فكنتُ اذ ذاك
اتوارى عنك لئلا تراني فاشغلك عن عملك . وأراك الآن بعد الحرب كما
يراك كلُّ وطني قد خصصت ذاتك ببث العلوم والآداب في روح شبان
هذا العصر . . . فاهنتك من صميم القلب ب مقامٍ سامٍ أحرزته وبنجاح باهر
أقرَّ لك به اهل بيروت . اخذ الله بيدك وساعدك على اعمال أعظم ممَّا
عملته حتى الآن . . . »

وكتب الاستاذ الالمعي السيد انطون فتح الله صباغ السرياني بتاريخ
٢٣ كانون الثاني ١٩٢٩ يودع الفيكنت فيليب دي طرازي قبل سفره من
بيروت الى حلب قال :

« مولاي العظيم الخالد

« ايه يا بيروت المدينة الجميلة وزهرة بلادتي المحبوبة التي تضم في
مدافنها عظام الابرار والاحباء . والتي طالما عرجت على ذكرياتها في قصائدي
الكبرى التي انشأتها في فلسفة الحياة والموت . اني قد رجعت اليك بعد
جهادٍ دام عشرين حولاً طوّحت بي خلالها طوائف الغربتين : غربة الارض
وغربة الاوطان . وعشتُ على أرضك الطيبة سبعة اشهر رشتُ فيها كؤوس
الغربة والمتربة والياس والالم حتى حثّلتها . وها انا راحلٌ عنك غداً ولعلها
رحلة الابد . فاذا وقفتُ لوداعك اليوم وارتدتُ ذكراك بعد اليوم فاني لن
أجد فيك مَنْ أودّع وَمَنْ أذكر سوى كائنين : كلاهما عظيم وكلاهما من
أرسخ ما يكون بنفسه . وما هما سوى الطبيعة والفيكنت فيليب دي
طرازي . اني سأذكر هذا الاسم العظيم كلما ذكرت سورية والطائفة
السريانية في تاريخهما القديم والحديث . بل اني سأذكر هذا الاسم الخالد
ما ذكرت العظمة على الارض . ولا غرابة في ذلك بل المستنكر ان لا

يكون ذلك .

« أفلست انت الطائفة بكليتها ؟ وما هي الطائفة لولاك ؟ ليست الامم هي التي تكون الرجال ولكن الرجال هم الذين يكونون الامم . لذلك كان من البديهي ان الطائفة هي التي تتشرف بالانتساب اليك . وليس مثلك من يتشرف بالانتساب اليها . هذا اذا محصنا حقائق الاشياء على ضوء المنطق المجرد . فانه اذا فرضنا ان انقرضت الطائفة لما خسرت الطوائف الكاثوليكية ولا المذاهب المسيحية شيئاً . لانها بانقراضها انما تندمج في اخواتها . ولكننا اذا خسروا مثلك ، لا سمح الله ابداً ! فقد خسروا كل شي . ذلك لان اخلاقك ومبادئك واعمالك انما هي جوهر تعاليم الاله المتجسد كما هي التاج المرفوع على هامة الدهر سواء بسواء . . . »

ولسنا نرى شهادة قاطعة تنطق لآل طرازي بالفضل والايادي البيض أصرح من وثيقة دونتها شركة مار منصور الخيرية في بيروت وبعثت بها الى رئيسها الفيكنت فيليب على اثر استقالته . ولما كانت تلك الشركة تضم اليها اعضاء من جميع الملل ، وفي جملتها الملة السريانية ، ساء لنا ان نثبت تلك الوثيقة تأييداً لما ادرجناه في هذا الكتاب من اليقينات الصادقة والحقائق الساطعة وهذا نصها :

« جناب الفاضل الهام الفيكنت فيليب دي طرازي الافخم رئيس شركة مار منصور دي بول سابقاً .

« ايها الاخ المحترم

« ان استقالتكم من رئاسة شوري شركة القديس منصور دي بول في بيروت كان لها تأثير محزن ومؤثر للغاية في نفوس جميع اخوانكم ابناء هذه الشركة المحبوبة لاسيا اعضاء شوراها . فانهم يذكرون بالشكر والافتخار ما لكم في سبيلها من الايادي البيضاء من يوم انضوائكم تحت لوائها وخصوصاً اثناء رئاستكم العامة عليها مدة ثماني سنين متوالية . نعم ايها الاخ المحترم لقد احببتم رسوم مؤسسي الشركة وجمعتم آثار الاولين من

اعضاءها الذين اتوا في جادتها ونهضتها كل اثر يُذكر فيشكر . ثم سعيتم في تجديد برنامجها السنوي وعنيتم باوقافها ومدارسها وجمعياتها واحتفالاتها وسائر مصالحها الخيرية قائمين بكل استحقاق بالمهمة السامية التي تقلدها اسلافكم الرؤساء الافاضل الذين طابوا اثرًا وذكراً وهم : يوسف برطالس الشريف نسباً وبطرس ديشان الملهب غيراً وبشاره خوري المتدفق كرمًا . فأحرزتم جميع هذه الصفات المعتمدة كما انكم توقفتُم الى استدرار البركات الروحية والامدادات الزمنية من لدن الاحبار الاعظمين ورؤساء الطوائف الكاثوليكية وسراة القوم . فضلاً عن التبرعات السخية والخدم الجليلة التي بذلتموها حباً للشركة التي تذكر لكم ايضاً ما امتزمت به من علو المهمة وشهامة النفس ونبل المقاصد وسائر المناقب الفريدة . وفي الحقيقة انكم جاهدتم في سبيل نجاحها جهاداً حسناً حتى انكم نلتُم ثناء الجميع وصارت الشركة في عهد رئاستكم تتفاخر وتباهي بين سائر الجمعيات الخيرية بانتظام احوالها وغنى وارداتها واتساع دائرة اعمالها المبرورة .

وبناء عليه فجلس الشورى في جلسته المنعقدة في مساء اليوم الرابع من شهر تموز الغابر قد قرر كتابة هذا الرقيم معلناً شكره الحميم لجنابكم ومعرباً عن اسفه الشديد لاستقالته من منصب الرئاسة . وبرهاناً على ما سبق ذكره رأينا ان نزين قاعة الاجتماعات برسمكم الكريم الذي سيبقى اثرًا خالداً يذكرنا بمساعيكم المحموده وغيرتكم الوقادة .

وفي الختام نتوسل الى الله سبحانه ان يوفق امورك ويوليكم مع اسرتكم العزيزة سوابغ النعم وقرائن القسم . وان يمد بحياتكم الشئمة ويكمل التوفيق لكم اليق والسعد حليفاً والهنا ملازماً والزمان خادماً بن الله سبحانه وكرمه «

صدر عن مركز الشركة ببيروت في ٣ آب ١٩٠٦ (مكان الختم)

الرئيس	كاتب الوقائع	امين الصندوق
انطون شحيد	شكري غلاييني	حبيب فرنسيس نادر

ويحلو لنا ان نختتم فصلنا هذا بستة ابيات شعرية ارتجل كلاً منها
شاعر من مشاهير شعراء لبنان وسورية عند اجتماعهم في دار الفيكنت
فيليب دي طرازي . وقد كتبوها بخطوطهم حول رسم ابنته الفتاة حنينة
يوم كان عمرها لا يتجاوز العشر السنوات . وكان سادس اولئك الشعراء
الاستاذ الياس بهنا الذي يتحدث من أسرة سريانية في راشيا الوادي . واليك
تلك الابيات واسماء ناظميها :

كتب الشيخ العلامة ابراهيم الحوراني في أعلى رسم الفتاة حنينة^١
دي طرازي هذا البيت :

حنينة صوّرها ربّها بديعة كاقمر المسفر

وكتب الشيخ سعيد الشرتوني صاحب «اقرب الموارد» في اسفل الرسم :

قد كتب الحسنُ على وجهها يا عين الناس قفي وانظري

وكتب الشيخ عبدالله البستاني صاحب معجم «البستان» الى يمين الرسم :

فوجهها قال لاحداقها اني فتان فانت اسحري

وكتب السيد خير الدين الزركلي مؤلف «تراجم الأعلام» الى يسار الرسم :

قد اوحى الشعر لاربابه لما بدت كالمالك الاطهر

وكتب السيد حلیم دموس ناظم ديوان «المثالث والمثاني» :

عاشت لفيليب سليل العلي من ذكره كالارج الاعطر

وكتب الاستاذ الفاضل المرحوم الياس بهنا :

بخلقها وخلقها انها فاقت حسان العصر والعصر

وأنشد الفيكنت فيليب والد الفتاة حنينة بيتاً سابغاً جعله مسك الختام

لسلسلة تلك الابيات المستظرفة قال :

والدّها سجّل شكراً لمن قرّظها يفوح كالعنبر

(١) غلب على هذه السيدة اسم جان (Jeanne) وهو ترجمة فرنسية لاسمها الأصلي
«حنينة» فوجه التنويه دفعا للالتباس

القسم الخامس

الفصل الفرد

منظومات الفيكنت فيليب دي طرازي

في الملة السريانية

كثيرة هي القصائد التي نظمها الفيكنت فيليب دي طرازي للملة السريانية في اوقات مختلفة . وقد المعنا الى شي . منها في بعض فصول هذا الكتاب ولا سيما في الفصل الثاني من القسم الثاني تحت عنوان « آل طرازي وتمظيمهم لاجبار ماتهم » . وهي اذا جمعت تألف منها ديوان طريف جدير بالاعتبار . ولما كان ما لا يُدرك كله لا يُترك جُلّه رأينا ان ننتقي من تلك القصائد مختارات أنشأها الناظم تكريماً للفضيلة والعلم في رؤساء ملته . ولا نرى مندوحة عن التصريح باننا لا نعرف رجلاً سريانياً من فئة العالمين سبقه في هذه الحلة لا في عصرنا الحاضر ولا في العصور الغابرة . فترى اذاً من باب معرفة الجميل ان نبدي عاطفة الشكر لصنيعه ونثني اعطر الثناء على عبقريته داعين له بالعيش السعيد والعمر المديد . واليك تلك المختارات نشرها سلسلة وفقاً لتواريخ نظمها :

قال يهنى السيد ثوفيلس انطون قدلفت بارتقائه الى الكرامة الاسقفية في كنيسة مار جرجس السريانية ببيروت صباح ٢٠ حزيران ١٨٨٦ . وكان انشاد هذه القصيدة على المائدة في دار آل طرازي مقر البطريك الانطاكي واساقفته الاجلاء :

أعظم بشأنك فالعلی تسور^{١)} ولأنت في شرفاتها المستنظر
والك السيادة سلمت فرمأها ملقى لديك وقد تباهى المنبر

(١) يقال تسور الحائط : صعد عليه

فالتاج يلمع والكنيسة تنجلي
والوعظ يسمو والمنابر قد زهت
سقياً لبيروت التي في عصرنا
برزت مجلّة بهجة فتهللت
بل نافست كل المدائن اذ علا
علم الفصاحة والخصافة من بدا
فبعد همته يقرب مبعده
تلقى الدماثة والرصانة كلما
زفت كنيستنا له في حفلة
هي مئة قد حازها من سيد
البطريوك الطاهر الورع الذي
حفت به الاحبار مثل كواكب
من كل طائفة أرى مطرانها
أكرم بساتين لنا بحضورهم
تشریفهم زاد الرسامة رونقاً
قد سابق الشعراء في أوصافهم
يا أيها المولى الجديد المنتقى
ترهو القوافي في مديحك دائماً
حلت عليك اليوم أقدس نعمة
رقاك بطركنا الجليل لرتبة
ناداك يا انطون دبر بيعة
عكاز شبي انت ثم ظهيره
مازجتي بتمام صفو محبة
كن لي اذا دهم الخطوب مظافراً
واسهر على خير الرعية مثلما

وبها الجلالة قد غدت لك تسفر
يوم ارتقائك والعباد تكبر
سعدت بحبر فضله لا ينكر
ولها عنا الحظ السعيد الأوفر
كرسيها هذا الخطيب الأشهر
حبراً له خير الثناء يحبر
وبذكره الفواح مسك أذفر
تلقاه اذ هو صامت او منذر
غراء والتاريخ عنها يحبر
هو في رعيته الامام الأكبر
يرعى النفوس بحكمة ويدبر
لاحت حوال البدر اذ هو يظهر
بجليل محضره يحل المحضر
عز ونحن لفضلهم نشكر
وضياء مجدي كل نور يهر
صيت لهم نشر القداسة ينشر
في حالك الغمرات انت النير
وبراح وصفك لا سواها تسكر
من عرش ربك ذي العلى لك تفر
انت الخلق بشأنها والأجدد
عني وُسْ شعباً بحذقك ينشر
وعلى الزمان بفرط عزمك أظهر
زمناً طويلاً بالرضا تستنصر
وأعز من بفعاله أستظور
ارجو فاني باعتنائك أظفر

باليمن أطلبُ ان تعيش معزراً
وَلَسَنُجْنُ نُخْلَصُكَ هُنَا لَكَ نَتَقِي
راجين ان توثق بكل رغبة
وترى بنيك كروضة مخضلة
وتقيم فينا راضياً مسترضياً
هذا رجاء الشعب نسأل ربنا
وعلى فلاحك كل عمري أسهر
دُرَّ الشناء كدُرَّ وعظك يُنثر
وترى الرعية بالرغائب تظفر
فيهم أُماليذ الفضائل ترهر
لله عنا صانعا ما يؤثر
تحقيقه ما راح خير يُشكر

وقال يهني السيد اغناطيوس جرجس الخامس البطريك الانطاكي بورود
الطغراء المهابونية المهداة اليه من الحضرة السلطانية. وقد أنشدت هذه القصيدة
يوم الاحتفال بتعليق الطغراء المشار اليها في الدار البطريكية بحلب في ٢٠
نيسان ١٨٨٧ كما ألعنا الى ذلك في الصفحة ٥٥ :

برزت تيمس بظهر وضاء
شمس تباهر بالسنى شمس الضحى
شمس تجلت من ملك زماننا
ملك على عرش الخلافة جالس
قد خص بطركنا بأشرف منحة
هو بطريك باسم جرجس خامس
سرت البشائر في البرية عندما
وافت تبلغه رضى سلطاننا
علم له النصر المبين مؤيد
هذا طراز بالمفاخر معلم
خفقت بنود المجد حول لوائه
فاهناً بما احزرت يا خير الورى
اذ انت متجه التهانى والثنا
ولانت افضل من زدد ذكره
وبدت تتيه بعزة وسناء
وتفوقها بخطورة وعلاء
ذي القدر والتدبير والآلاء
ولواه معقود على الجوزاء
جاءت بصدق ولائه كجزاء
وعصارة الاطهار والصلحاء
بزغت لديه طلعة الطغراء
عنه وعن أبنائه الامناء
قد بات يلمع في ذرى الشهباء
لا بل شعار الدولة الغراء
ظفراً ولاحت فوق كل لواء
يا صفوة السادات والروساء
وبلاغة في السن الشعراء
ومحط آمال الضئيل النائي

بل انت للسريان أعظم موئل. وملاذ أهل الذلّ يوم بلاء
لا زلت تسمو بين احبار الهدى كالبدر بين الأنجم الزهراء
وبقيت في كنف المهيمن رافلاً برداء عزّ دائم وهناء

وقال يرثي العلامة الكبير السيّد اقليدس يوسف داود مطران دمشق
على السريان الذي انطفأ سراج حياته الوهاج في ٤ آب ١٨٩٠ :

الموت مغوارٌ يشد^(١) على الوري
إن ينو مضار الهلاك فأنه
ينضو^(٢) على اهل الصرائم صارماً^(٣)
قتراه حران^(٤) الجوانح هائماً
ليث له في كل يوم صولة
لا يوم الا فيه صرخة نادب
لو عاد للأرض الذين طوتهم
نسعى على اثر الألى سلفوا وما
في الأمس كانوا مثلنا وغدا سنض
فالموت حصاؤ النفوس ولم يكن
ما انفك ذا كدٍ يُغيّرُ مداهاً
قد هد ركناً للكمال موثقاً
وبنا أهاب^(٥) الى رثاء محقق
ذاك الذي أبدى لنا من علمه
ذاك الذي شهد العداة بسبقه
ذاك الذي صرف الحياة بطاعة المولى ولم يعرف خنى^(٦) او منكرأ
فيسوقهم طراً الى بطن الثرى
لم يعمل غير الدهر فيه مضمرأ^(٧)
إن يعض في الاوصال عاد مشهراً
بدماء قوم لن تباع وتشتري
فتاكة ومساءة لن تغفرا
وعويل باكية ودمع قد جرى
لأيت فيها نشرهم متعذراً
احد يكون بسعيه متأخراً
يجي مثلهم تحت التراب بلا مرا
في الارض يترك يابساً او اخضراً
حتى دها العالم الرفيع الأشهرأ
واختار من بين الكبار الاكبرأ
قد كان أخلق بالمديح وأجدراً
غرراً تنافس في سناها الجوهرأ
أهل العلوم بكل علم في الوري
المولى ولم يعرف خنى^(٧) او منكرأ

(١) شدّ على العدو : حمل عليه

(٣) يسلّ

(٥) شديد العطش

(٧) الخنى : الفحش في الكلام

(٢) الفرس القليل اللحم

(٤) الصرائم : الغزائم. والصارم : السيف

(٦) اهاب بنا : دعانا

ذاك الذي خدم العلوم مُقَدِّمًا ومضى شهيدًا للعلوم مؤخرًا
 الحبرُ اقليميسُ داودُ الذي برَدَاهُ أصبح كل وجهٍ أُغِيرَا
 الفيلسوفُ الثاقبُ الآراءِ مَنْ برثائه كل يكونُ مقصرًا
 ما زال يدأبُ في المعارفِ وسعةً حتى غدا فيها الشهابُ الأنورَا
 فالدرسُ كان أليفه وحليفه واللطف فيه والثقى قد صُورَا
 قد حلَّ من عُقَدِ المشاكلِ جُلُهَا وبرأيه صبحُ الحقائقِ أسفرَا
 كشف الستائر عن مسائل جنةٍ كانت محجبةً الحقيقة أعصرَا
 أحيًا رسومًا للكنيسة اوشكت لتقادم الأيام ان لا تُذكرَا
 تنبيك عنها أمةُ السريان إذ أحيًا لها الأثر القديم وقررَا
 والشرفه اعترفت له بجميله فيها لاحكام المجامع سطرَا^(١)
 وله من الكتب المفيدة جملةٌ شهدت له بالسبق في ما حررَا
 ومن اللغات على اختلاف صنوفها خمسًا وعشرًا مثل أهلها درى^(٢)
 وإذا تحرّيت العلوم بأسرها أفيت كل الصيد في جوف الفرا
 حبرٌ إذا انفقتُ عمري كله برثائه لم أقض حقًا قُررَا
 في أمة السريان خلد صنعه صيتًا لديه صيتُ قيصَرَ قصرَا
 كانت شوائله تؤيد أنه ما مسَّ مرءًا بالأذاة وما افترى
 وأى عن الدنيا ولكن ذكره فيها يدومُ مكررًا ومقطرَا
 أبكى المنابرَ والمحابرَ مثلما أبكى المحاجرَ لهفةً وتحسرَا
 بكت الاراملُ واليتامى فقدهُ اذ كان غوثًا في البلاء وقد طرَا
 وتنهدت وتلهفت وتأسفت لما قضى وجرى القضاء بما جرى

(١) إشارة الى المجمع الذي عُقد عام ١٨٨٨ في دير الشرفة وكان الفقيد قد وضع احكامه كلها

(٢) المراد بذلك انه كان يحسن الكتابة والتكلم بنحو خمس عشرة لغة وقد أثبت الناظم ذلك في كتابه « القلادة النفيسة في فريد العلم والكنيسة » المطبوع عام ١٨٩١ في عشرين لغة مختلفة

فلتبكّه العلماء أصحاب الحجي
 فلتبكه الحدباء^(١) مسقط رأسه
 فلتبكه الشهباء^(٢) حيث بها سباه
 فلتبكه الزهراء بيروت التي
 فلتبكه الزوراء^(٣) مع ادائها
 فلتبكه الفيحاء^(٤) اذ فيها قضى
 فلتبكيه رومة العظمى وفا
 اذ حاز فيه شهرة ممتازة
 فوجعت به الدنيا ولازمها أسي
 سالت عليه مدامع لو جمعت
 ضجت لمصرعه الشام كآبة
 ولخطبه اكنست الكريمة حلة
 ضاقت على رحب بقوم قد أتوا
 وبطل مذبح قلب عيسى ربنا
 وهناك بات مزار كل أخي نهى
 ابداً يحج اليه أرباب الحجي
 ويكون محفوفاً بكل كرامة
 مني عليه ألف ألف تحية
 وعليه من لدن المهيمن رحمة

اذ كان بينهم الشهاب الأزهر
 فبموته فقدت عماداً كبيراً
 لرئاسة الكهنوت مرفوع الذرى
 من أنسه نالت نصيباً أوفراً
 بل كل مصر كان فيه منذراً
 انفاس عمر بالفضائل أزهر
 تكانها بسخين دمع أحمر
 في عهد مجمه^(٥) الذي شد العرى
 بفؤاد كل محصل قد سقراً
 لتوهمتها الناس ترخر أجراً
 بل كاد قلب الصخر ان يتفطراً
 سوداء تندب راعياً ومدبراً
 متلهفين من المدائن والقري
 أثوه خدراً ضم ليثاً مخدراً^(٦)
 يبكى عليه لفقدته متحسراً
 من كل ذي خطب تهز المنبر
 ابداً ويبقى للمراحم مظهر
 ممزوجة بالدمع ما قر سري
 ماراح يذكر فاضل فوق الثرى

(١) لقب مدينة الموصل

(٢) لقب مدينة حلب

(٣) بغداد

(٤) دمشق

(٥) مثل الفقيه المثل الشرقية في المجمع الفاتيكاني بمثابة لاهوتي وترجمان

(٦) الحدر : اجمة الاسد - ومخدراً من اخدر الاسد اي لزم الحدر

وقال يهني السيد اغناطيوس بهنام الثاني بارتقائه الى السدة الانطاكية
في ١٢ تشرين الاول ١٨٩٣ واختتم القصيدة بتاريخ شعري :

نادى البشير بصوت الفوز والجدل	الحمد لله نلنا غاية الأمل
ها قد ظفرنا بما كنا نؤمله	ونبتغيه لدى الأصباح والأصل
جاد الاله علينا من مراحمه	ببطيريك جليل طاهر الخال
ببطيريك بدت أنوار طلعت	تقول للقوم وفي السعد بالعجل
بهنام ذيالك الخير المغبط من	بفضله صار مصباحاً على القل
هذا الذي سارت الركب ان ذاكرة	آثار نعمه في حل ومرة تحل
طابت به بعد طول الحزن ملتنا	ففاخرت في البرايا سائر المل
مولي له في ديار الشرق منزلة	عليا وذكر غدا أحلى من العسل
حبر تميز اخلاقاً مطهرة	بجزمه صار فينا مضرب المثل
لذلك اختاره اجبار أمتنا	لمنصب يا له من منصب جليل
وبالرضا انتخبوه راعياً وأباً	فلم يكن ثم من خاف ولا جدل
قالوا له باتفاق الرأي قاطبة	انت الإمام فسد وأنه ومر وقل
وساموه العصا حتى يسوس بها	رعية نهجت في أقوم السبل
وتوجوه بتاج كل بهجته	في نصرة الحق لا في جوهر وحلي
رقوه كرسي انطاكية خلفاً	لسادة مجدهم أربي على رحل
فتلك سلسلة في الدهر ما انقطعت	وكان أولها من هامة الرسل
فقام بالحزم يرعى المؤمنين على	نور الهداية يقظاناً بلا غفل
وعزز الحق والآداب معتصماً	بالله لا بشفار الهند والأسل
وشاد للعلم اركاناً موطدة	وأجمل السعي في قول وفي عمل
نعم الإمام الذي في كل معضلة	نراه بالحزم معصوماً من الزلل
سامي الفضائل فكأنك المشاكل	محمود الشائل ذو نهج بلا ميل
موفق السعي والاعمال متصف	بالنبل والحلم والارشاد والجول
كريم أصل بعيد الشاؤ في فطن	مؤيد حازم ناهيك من رجل

هو الطبيب لداء النفس إن مُنيت
هو النصير لمن حلَّ الشقاء به
في كنفه لشريد الدهر ملتجأ
جل الذي قد حباه من مكارمه
أيا نذير الهدى يا خير من شخصت
لسنا نهنيك في ما حُزت مرتقياً
ملكنت سدة حق نستغيث بها
رفعت شأننا لنا بين الأنام كما
نلنا الأمان بيوم صرت بطركنا
شرقاً وغرباً بنو آرام قد نشروا
باهوا بفضلك اهل العصر قاطبة
تسعى اليك القوافي كالقوافل إذ
اليكها بنت فكر بالوقار بدت
تأملت مثل غصن البان زاهية
تضمنت فيك بعض الوصف فكتسبت
أهدت اليك مديحاً يُستطاب كما
لا زال فضلك في ذا العصر منتشراً
يحفظ مولاك يا مولاي سداً ابداً
ختمت شعري مع مدح نوّرخة

بعلة راح يشفيها من العليل
وغوث كل فتى بالناثبات بُلي
ما أمه مجتهد يوماً ولم ينل
محامداً قصرت عن وصفها جملي
آمالنا فيه مثل الأعين النجل
بل الهناء لكل الناس فيك ولي
لا بالصوارم عند الحادث الجلل
شملتنا باعثناء جل عن مثل
فيه لذاك حمدنا منّة الازلي
أعلام مدحك فوق السهل والجبل
بل فاخروا فيك كل الاعصر الأول
بك التهاني اشعب عنك لم يمل
في ثوب عز بهي منك مُنتحل
لكن زاهيها لدى عليك في خجل
مجداً يطاول مجد السبعة الطول
دُرّ الثنا نسقت في أجمل الجمل
حتى تدوم كبدر فيه مكتمل
قريب عين بلا بؤس ولا وجل
حوى ثناك وهذا منتهى أمني

١٨٩٣

وقال مؤرخاً جلوس البطريك المشار اليه على السدة الانطاكية عام
١٨٩٣ بهذه الابيات :

يا حبذا الخبر الذي سيعود في
طابت نفوس الخلق حين جلوسه
أيامه مجد لانطاكية
واعترافاً مفتخراً سرير الغبطة

فأله رقاه لأشرف منصب
ولذا الصفا شمعون أرخ قائلاً
اذ قال سنس شعبي ودبر بيعتي
ناداه يا بهنام انت خليفتي

١٨٩٣

وانشد يهنى السيد الموما اليه بالوسام العثماني الاول عام ١٨٩٤ مؤرخاً :

وافاك يا حبر الكنيسة والهدى
فالكون تاه وبات يزهو من سنى
نوط اقتضار كالفزالة مشرق
تاريخه غريبه والمشرق

١٨٩٤

وقال يهنى السيد اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الانطاكي
ببلوغه السنة الخامسة والعشرين (١٨٨٧-١٩١٢) من عهد اسقفية :

قف في الرُّبى بين الفرات ودجلة
وانظم بمدح البطريرك المصطفى
عدد محامده وردد فضله
اعني به خلف الحواريين^(١) من
افرام راعينا الذي يوبئله
ثاني البطارك باسمه من عهد شه
لكنه بفعاله وصفاته
حبر سما برئاسة وقداسته
حبر بسفر المجد علق ذكره
ما شابه عيب ولا دخل^(٢) ولا
وغدا بعلم الدين مصباح الهدى
ومن اللغات أنيل عشرًا نابغاً
وبها أفاد مصتفاً ومؤلفاً
وقل السلام عليك يا ذا العبطة
دُرراً لها الشهب الدراري ذلت
واذكر مناقبه بكل تجلة
هو خير نبراس بداجي الظلمة
شمل القلوب جميعها بالبهجة
عون الصفا في عرش انطاكية
هو اول فيهم وبغد الهمة
ورصانة وصريمة^(٣) وعزيمة
فطوى البسيطة مستفيض الشهرة
نقص عيس كاله في الشية
يهدي الضال الى قويم الخطة
فيها وأحرزها بأوسع فكرة
لذوي البصائر فالعقول تروّت

(١) الحواريون هم رسل السيد المسيح عز شأنه

(٣) خديعة ومكر

(٢) العزيمة

وبني بهتته الكنائس والمداد
 فاذا استجير بدا كسهم نافذ
 من مصر حتى أرض بابل صيته
 وله بأرض الغرب ذكر عاطر
 جمع القلوب على الوثام فحبذا
 أتباع عيسى أحرزوا فخراً به
 فعدا إماماً بالمعارف والنجى
 في كنفه الاحبار يلمع نورهم
 أرجو من الله الكريم يزيدهم
 ويطيل مدتهم بوارف ظله
 يزهو به تاج الكرامة مثلاً
 جئنا نهتته بعيد باهر
 في الاسقية ربع قرن كامل
 سرت بني السريان بهجة عيده
 فترنخوا في الخافقين تميدهم
 وردت تهانثهم وجاء وفودهم
 ضاقت بهم بيروت لما أقبلوا
 عرضت هداياهم فكانت متحفاً
 والناس من كل الطوائف أظهروا
 أبقاه ذو الملاكوت مغبوطاً الى
 بالعر متعه ومتعنا به
 لا زال في أفق الكنيسة كوكباً

رس ثم مطبعة بدير الشرفه
 واذا استشير مضى كسيف مصلت^{١)}
 قد ذاع مشكوراً بكل مدينة
 وبنذوة العلماء رياً سمعة
 عمل نفى عنها ذري النفرة^{٢)}
 منذ ارتقى للسدة الرسلية
 وعلى الرعاة سها بحكم الرتبة
 مثل الكواكب في سماء البيعة
 عدداً وإثماً بكل فضيلة
 ويصونه ويصونهم بالنعمة
 يزهو لديه صولجان السلطة
 والعيد مرجعه اكل الملة
 قد جاز منصرفاً لخير رعية
 فتسابقوا شكراً لهذي المنة
 كأس المودة لا كؤوس الحمرة
 يقضون واجب طاعة ومحبة
 وغدا لنا اليوبيل روض مسرة
 لائزائين وقرة للمقلة
 فرحاً فزاد بهم جمال الحفلة
 يوبيله الذهبي تلكم منيتي
 دهرأ بجاه الغزة الصمدية
 يرعى خراف المؤمنين بحكمة

(١) مجرد من غمده

(٢) ذري اي مبذور . والنفرة الشقاق والخصام

وقال يهنئ السيد اغناطيوس افرام الثاني الموماً اليه بوسام «جوقة الشرف» المهدى اليه من الدولة الفرنسية . وقد التزم ان تكون القافية في جميع الابيات لفظة واحدة يختلف معنى كل منها عن معنى الاخرى . وقد اشرفنا الى هذه القصيدة المستبدعة في الصفحة ٥٦ :

سما اليك كمن يسمو الى الشرف ^١	وسام فخر يسمى جوقة الشرف ^١
فلم يزدك جلاً انت مطلع ^٢	فثلثه نلت سباقاً الى الشرف ^٢
قد زنت يا حبر حبراً لا يباع ولا	يُشرى بما لذوي يسر من الشرف ^٣
هو الوسام الذي في الجيد شارته	بدت لنا ذات لون ناصع الشرف ^٤
لا غرو ان باهر السيار فهو اخو	قدر بصدرك ما ضاهاه من شرف ^٥
فقد اصار بني آرام في جذل	من الرها ونصيبين الى شرف ^٦
وقد رأينا فرنسا اليوم رافعة	معنا فروض الهنا للبطرك الشرف ^٧
فاوفدت من سراة القوم مؤتمناً	حيالك والدهر يعنو مرغم الشرف ^٨
لو كنت في نجد امتهام بركبة	تطير في الفلك السامي على شرف ^٩

(١) وسام افتخار انشاء نابليون الاول في ١٩ ايار ١٨٠٢

(٢) الشوط والغاية

(٣) الخبر بالفتح السيد وبالكسر الوسام . والشرف : اليسر وخيار المال

(٤) المغرة او نبت احمر تصبغ به الثياب

(٥) القدر والقيمة

(٦) اوردنا ذكر الرها ونصيبين لانهما المدينتان اللتان امتازتا منذ القرن الثاني

للميلاد بمدرستيهما الشهيرتين . ففي مدرسة الرها نبغ فطاحل كتبة السريان كبرديصان

ومار افرام وربولا واسحق الكبير واجييا وفيلكسين ويعقوب وغيرهم . وترينت

منابر التعليم في مدرسة نصيبين يعقوب اسقفها ونرساي واليشاع وابرهيم الربان ويوسف

الاهوازي وقيورا الرهاوي ومار سهدونا (الشهر وباباي الكبير الخ . . . ويراد هنا

بشرف موضع في دمشق على طريق حاج الشام يعرف بشرف البعل

(٧) الشريف (٨) الانف

(٩) جبل قرب جبل شريف وشريف اعلى جبال بلاد العرب

- او كنت في المغرب الاقصى اليك سعت
 انت الخطيب الذي اُعييت فصاحتُه
 بنيت للحق برجاً عزَّ جانبُه
 أدركت منزلة في الفضل سامية
 حفظت آثار اجداد لنا سلفوا
 بك العلوم زهت والنفوس فيك زكت
 منار شرفتك القعساء اشرف من
 باقت ديارك عز الوافدين كما
 تدني القصي من النعمى وتبذلها
 ان راع ذا الفقر اشفاء على خطر
 او اوقع الدهر اهل العمر من شرف
 قد نالهم منك احسان يصير به
 من منهم اثقلت بؤسائه منكبه
- على جساد المعالي لا على الشرف^١
 خطيب قرطبة المشهور من شرف^٢
 كمعقل قد دعاه الناس بالشرف^٣
 فاقت مكانة ذي مجد وذي شرف^٤
 تظل انباؤها كالشرف في الشرف^٥
 طهرأ كرياً نسيم في ربي شرف^٦
 منارة الشرف الاعلى بل الشرف^٧
 بنو تميم اقاموا العز في شرف^٨
 لمن بحاجته يصبو الى الشرف^٩
 فانت احرز من يرجي لدى الشرف^{١٠}
 فانت منقذهم من آفة الشرف^{١١}
 من كان ذا ضعة منهم اخا شرف^{١٢}
 زحزحت ائقال بؤسائه عن الشرف^{١٣}

(١) سنام البعير وهو حذبة في ظهره

(٢) موضع كبير الزيتون والتين كريم التربة دائم الخضرة في اشبيلية بالاندلس
 اشتهر منه ابو اسحق (الشرفي خطيب قرطبة وصاحب شرطتها . ومنه ياقوت بن عبد الله
 الشرفي الموصل الكاتب توفي سنة ٦١٨ للهجرة

(٣) قلعة تدعى ايضاً شرف قلحاح لانها قائمة في جبل معروف بجبل قلحاح

(٤) علو الحساب (٥) الاذن

(٦) ماء لبني غنم في نجد

(٧) الشرفة هو اعظم معهد علمي ينتمي الى البطريك الممدوح مشيد على قمة في جبل
 لبنان تعرف بالشرفة . والشرف الاعلى جبل قرب زيد عليه حصن منيع يعرف بالشرف
 او حصن الشرف

(٨) شرف او شرف الارطى منزل لتميم

(٩) الاشفاء على خطر من خير

(١٠) الاشفاء على خطر من شر

(١١) الزبدة اي الشدة

(١٢) المجد (١٣) المنكب

لآل كندة في امصارهم شرف^١ ففقتهم شرفاً لم يُروَ عن شرف^٢
تشدو بذكرك انحاء العراق وفي قطر الشام لك الحسنى وفي شرف^٣
لاذت بقدسك اجباراً نُجلهم^٤ لانهم صفوة الاطهار والشرف^٥
فالدين عندك مرفوع اللواء وقد اولاك خفضاً لعيش تالي الشرف^٦
زاك في هيكل الرحمان معتلياً عرش الوقار وهذا منتهى الشرف^٧
فالمرء بالجِد لا بالجِد رفعة ولو تسلسل من غسان او شرف^٨
روي نظمى في عليك مبتكر^٩ لذاك نافس آل النظم في الشرف^{١٠}
قد كان من قبل شعري تافهاً قلقاً واليوم مدحك اعلاني على الشرف^{١١}
احياك ربك ذا مغنى يُريك به بنداً من النصر خفاقاً على الشرف^{١٢}

وأُشَدُّ يُوَرِّخُ جُلُوسَ البَطْرِيْكَ المِشَارِ اليه على السدة الانطاكية عام ١٨٩٨ :

على الكرسي تجلى بطريك^١ بفطنته تملك كل قلب
سما بقداسة وجزيل علم^٢ وفرط حصافة وصفاء لب
لذا احبارنا نصبوه حبراً عليهم بالرضى وبمحض حب
فعمَّ جلوسه الانحاء بشراً وسر الكل من عجم وعرب
ستلهج باسم افرام البرايا مدى التاريخ من شرق وغرب

١٨٩٨

- (١) الشرف الاول والثالث كبد نجد وكان من منازل الملوك من بني اكل المرار من كندة . اما الشرف الثاني فعناه المجد
- (٢) محلة بمصر تسمى (جبل الرصد) نبغ منها المحدثون الشرفيون كعلي بن ابراهيم الضيرير الفقيه وسعيد بن سيد القرشي وعتيق بن احمد
- (٣) اي الاشراف جمع شريف
- (٤) هو قولك شريف الدين على حد قولك عز الدين الخ . . .
- (٥) العلو والرفعة
- (٦) اسم علم لبعض مشاهير الرجال
- (٧) لفظة الشرف
- (٨) لقب الشاعر المشهور ابراهيم بن محمد الشرفي الاندلسي المتوفى سنة ٣٩٦ للهجرة
- (٩) اعلى المنزل كالشرفة

وانشد يؤرخ عيد السيد البطريرك الموماً اليه عام ١٩٠٨ :
هتئت يا راعي الرعاة بموسم وافاك بالاجلال والاسعاد
عيدك عليك يعاد وهو مبارك رقت سنه نواظر الرصاد
سجعت به كل البلابل سحرة وزهت بطلعه زهور الوادي
أمتك فيه تهاني من أمة قد قت ترعاها بكل رشاد
وجميع سريان البرية أرخوا اليوم عيدك غرة الأعياد

١٩٠٨

وأنشد يؤرخ باسم الملة السريانية عودة غبطة السيد الياس بطرس
الحويك البطريرك الماروني الذي اوفدته الشعوب اللبنانية عام ١٩١٩ الى
باريس ليدافع عن استقلالها لدى مؤتمر السلام :

اهلاً بمن عاد من باريس منتصراً وكل قلب بتقواه قد اتعظاً
نلقاه ملتهاً وجداً على وطن عليه أضرم شرُّ الترك شرَّ لظى^١
سعى حيثاً الى استقلالنا ولذا رعى الاله مساعيه كما لحظاً
هذا الامام عظيم في فضائله إن صام او رتل الانجيل او وعظاً
يا حبذا بطريك أرخوه نرى في عصره مجد لبنان له حفظاً^٢

وكان الفيكت فيايب قد دعا الى مأدبة في منزله الحبرين الانطاكيين
اغناطيوس افرام الثاني بطريك السريان الكاثوليك واغناطيوس الياس
الثالث بطريك السريان الارثوذكس . ونظم القصيدة التالية تكريماً لهما
واجلالاً لمقامهما . قال :

قرت العين برأى البطركين فأذيعوا الحمد فوق الخافقين
وارتعدوا باليمن في ظليهما فهما في أفقنا كالفرقدين

(١) سمير

(٢) اشارة الى آية اشعيا النبي (٣٥: ٢) وهي : « مجد لبنان أعطي له » . وقد
اتخذها بطاركة السريان الموارنة شعاراً لهم .

وهما الملقوم مشكاة التقي ولنفع النفس خير السيدين
 يا بني آرام هبوا وابذلوا كل غال لانضمام البيعتين
 نحن أحفاد الألى قد عززوا كل علم راسخ في العالمين
 نحن أحفاد الألى آثارهم تدهش الفكر وتجلو المقلتين
 نحن أحفاد الألى شادوا لنا معلم الحق بارض الرافدين
 درجوا من هذه الدنيا وشكر هم يبقی مدى الأزمان دين
 كاد ينسى مجدهم في عصرنا ونراه أثرًا من بعد عين
 فأتى من جدّد المجد بما قد بناه بنصار ولجين
 ولتوحيد قلوب قد سعى فتلاشى بعد هذا كل بين
 أنشأ الله لابناء الهدى بيعة واحدة لا إثنين^١
 فرق الخناس دهرًا بيننا وتغادى البعد بين الاخوين
 انما الآن تصافحنا وذا السبع يا إخواننا عيب وشين
 حبّذا يوم به اجبارنا في رئيس يجمعون السلطين
 فيكون الكل شعبًا واحدًا ولراع واحد لا راعين^٢
 لا رعى الله زمانًا أضرمت فيه نيران خصام المآتين
 غفر الله لمن قدمًا جنى وتناسوا ما جرى آني وأين
 هوذا افرام في ايامنا خير ساع لاتحاد الفرقتين
 ونرى بالخبر إلياس لنا ضامنًا ينفي انقسام الامتين
 حَقَّ الله أماني شعبه بهما للجمع بين الفتنتين
 وبقلب خاشع ندعو بان يعضد الباري جهاد البطركين

(١) تلك هي الضالة التي ينشدها كل مفكر سرياني كالفيكنت فيليب دي طرازي
 تائق شديد التوق الى اتحاد الملتين السريانيّتين معاً عملاً بالآية الانجيلية الكريمة «وتكون
 الرعية كلها واحدة والراعي واحدًا». وقد اثبتنا ذلك في كتابنا «الرئاسة البابوية
 في الكنيسة السريانية» الذي نشرناه عام اول.

الخاتمة

نقف عند هذا الحد في ما رأينا ان نثبته من الحقائق الراهنة التي اشرنا اليها في مقدمة الكتاب . وكان بوسعنا ان نتبسط في الموضوع لزيادة الفائدة انما اجتأنا بما قل ودل تفادياً من الاسهاب . وقد آيدنا ما كتبناه بوثائق صحيحة وحجج صريحة لا تدع مجالاً للارتياب كما يتضح ذلك لالي البصائر وأهل النقد . وهو يتفق مع الغرض المشكور الذي توخاه حضرة صديقنا الورع الجليل مؤلف « الذكرى الذهبية » أمدّه الله تعالى بالتوفيق والعمر الطويل .

واننا في الختام نوذي مفترض الحمد والشكر للعزة الصمدية التي قيضت لنا ان نضيف هذه الحلقة الجديدة الى سلسلة الحلقات السابقة التي خدمنا بها ملتنا السريانية العزيزة . وناهيك انها تشتمل على وقائع خطيرة وفوائد جزيلة لا يعثر عليها القارئ الا في هذا المؤلف . وقد تحررنا في اثباتها دقة البحث والصدق والصراحة كما ألوف عادتنا في ما وضعناه حتى الآن من الكتب ونشرناه من المقالات . فانتقدنا بلا محاباة ما وجب انتقاده وأثنينا بحق وتزاهة على ما وجب الثناء عليه . نسأله تعالى ان يهيئ لنا الوسائل للنهوض بمثل هذا العمل خدمة للتاريخ وتعزيزاً للحقيقة وتخليداً لمآثر مشاهير الملة وفضلاتها . فهو سبحانه موئلنا وعليه في كل امرٍ معولنا .

انتهى



فهرس

صفحة

٣

مقدمة

القسم الاول آل طرازي وابرشية بيروت السريانية

- ٦ الفصل الاول نظر انتقادي في اغلاط الذكرى الذهبية
١٥ الفصل الثاني آل طرازي وتكوين الملة السريانية في بيروت
٢٣ الفصل الثالث آل طرازي وبناء كنيسة بيروت وقلايتها
٢٧ الفصل الرابع آل طرازي وتزيين كنيسة بيروت الكاتدرائية
الفصل الخامس آل طرازي وجمعية المساعي الخيرية السريانية
٢٩ واولقافها في بيروت
٣٦ الفصل السادس آل طرازي والمقبرة السريانية في بيروت
٤٠ الفصل السابع آل طرازي واقدم المدارس السريانية في بيروت
الفصل الثامن آل طرازي ومجلة النحلة والمطبعة السريانية
٤٤ في بيروت

القسم الثاني آل طرازي واحبار الملة السريانية

- ٤٦ الفصل الاول آل طرازي وضيافتهم لاحبار ملتهم
٥٣ الفصل الثاني آل طرازي وتعظيمهم لاحبار ملتهم
الفصل الثالث آل طرازي ونقل الكرسي البطريركي من ماردين
٦٠ الى بيروت

- ٦٩ الفصل الرابع آل طرازي وسلسلة بطاركة السريان الانطاكيين
٧٢ الفصل الخامس آل طرازي والبطريك مار اغناطيوس افرام الثاني

القسم الثالث آل طرازي والملة السريانية عموماً

- ٧٦ الفصل الاول آل طرازي ودير الشرفة
الفصل الثاني آل طرازي والكنائس والاديار السريانية

- ٨٨ ١ : الكنيسة الكاتدرائية في حلب
٨٩ ٢ : كنيسة مار إلياس الحبي في القاهرة
٨٩ ٣ : دير مار افرام الملقان في ماردين
٩٠ ٤ : الكنيسة والنيابة البطركية في اورشليم
٩١ ٥ : كنيسة الخرطوم
٩٢ ٦ : الرهبانية الافرامية للعداري
٩٤ ٧ : كنيسة مار افرام في باريس
٩٦ ٨ : كنيسة المصيطبة في بيروت
٩٦ ٩ : كنائس شقي
٩٦ ١٠ : التواريخ الشعرية للكنائس السريانية

الفصل الثالث آل طرازي والابرشيات السريانية في نكباتها

- ٩٨ ١ : زلزال حلب عام ١٨٢٢
١٠٠ ٢ : ثورة حلب عام ١٨٥٠
١٠٠ ٣ : فتنة دمشق عام ١٨٦٠
١٠١ ٤ : مجاعة الموصل عام ١٨٨٠
١٠٣ ٥ : ثورة عرابي باشا في مصر عام ١٨٨٢
١٠٤ ٦ : مذابح تركيا عام ١٨٩٥
١٠٤ ٧ : المجاعة في بيروت اثناء الحرب العظمى (١٩١٤-١٩١٨)
١٠٧ ٨ : المنكوبين في بيروت بعد الحرب العظمى
١٠٨ ٩ : مهاجرو تركيا الى بيروت عام ١٩٢١ فما بعد

صفحة

١٠٩	الفصل الرابع آل طرازي وآثارهم القلمية في الملة السريانية
١٠٩	١ : المقدسي نصرالله طرازي (١٧٥١-١٨٠٨)
١١٠	٢ : المقدسي يوسف طرازي (١٧٨٥-١٨٤٥)
١١٠	٣ : المقدسي انطون طرازي (١٧٨٩-١٨٥٥)
١١٢	٤ : المعلم جرجس طرازي (١٨١٤-١٨٤٧)
١١٤	٥ : الخور فسقفوس اندراوس طرازي (١٨٢٦-١٨٥٩)
١١٥	٦ : الكنت نصرالله دي طرازي (١٨٢٢-١٨٩٥)
١١٦	٧ : الكنت انطون دي طرازي (١٨٥٧-١٩٠٠)
١١٧	٨ : الفيكنت سليم دي طرازي (١٨٦٢-١٩٠٥)
١١٨	٩ : الفيكنت فيليب دي طرازي
١٢٨	١٠ : سائر ادباء آل طرازي

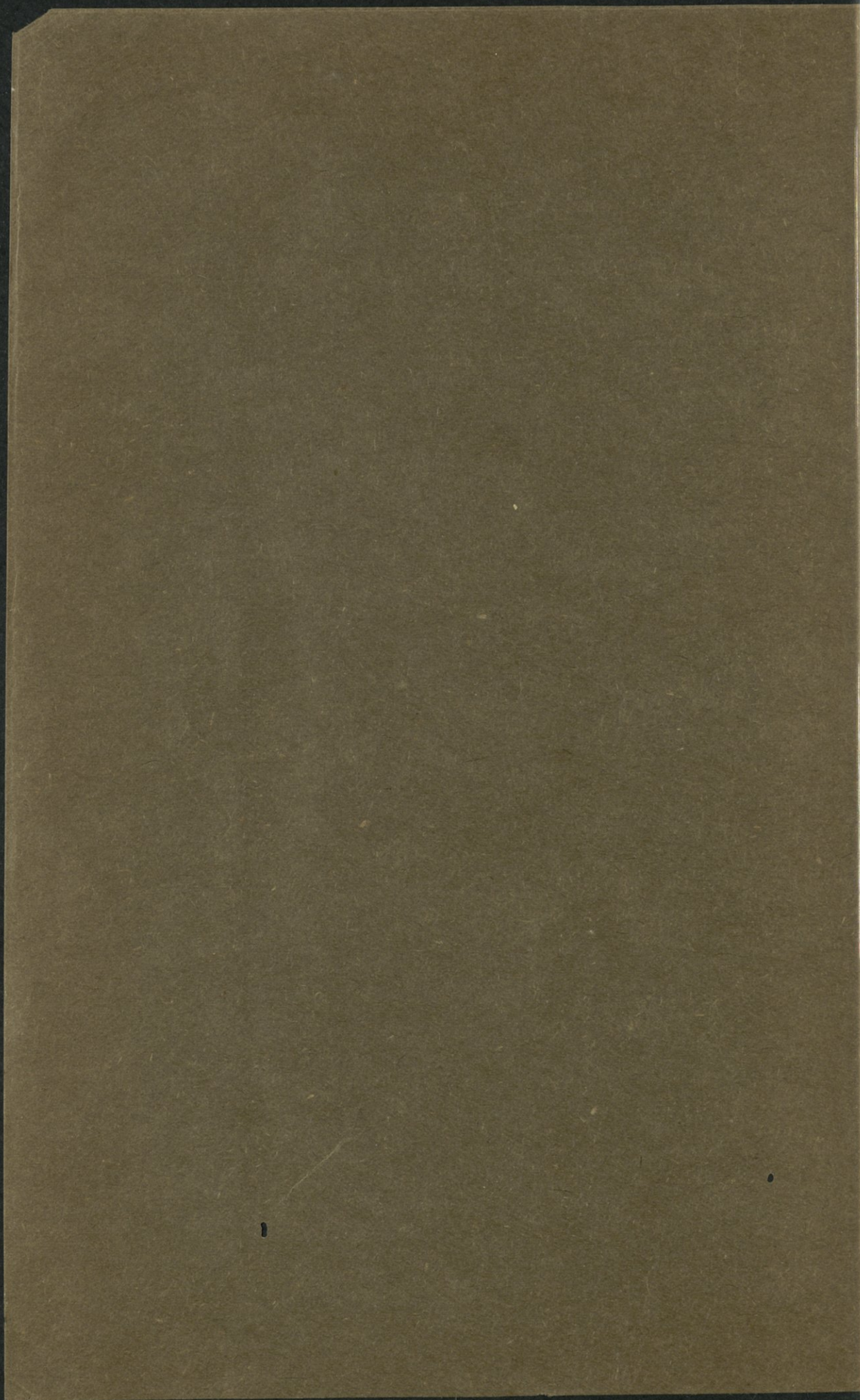
القسم الرابع آيات معرفة الجميل لآل طرازي

١٣٢	الفصل الاول الاحبار الرومانيون وآل طرازي
١٤٢	الفصل الثاني تكريم آية السريان وكتبهم لآل طرازي

القسم الخامس

١٥٩	الفصل الفرد منظومات الفيكنت فيليب دي طرازي في الملة السريانية
-----	---





DATE DUE



281.5:A72wA:c.1

ارملة، اسحق

وثائق خطية في علائق آل طرازي بال

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01001173



281.5
A72wA
c.1

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
LIBRARY

281.5
A72wA
C.1